رواية

# الحب الطموح

الطبعة 2



إبراهيم الأعاجيبي

الفؤاد للنشر و التوزيع

رواية

# الحب الطموح

إبراهيم الأعاجيبي

الكتاب: ..................... رواية ( الحب الطموح )
المؤلف: ............................. إبراهيم الأعاجيبي
الطبعة: .................. الأولى ١٤٤٠هـ - ٢٠١٨م
المطبعة: ............................... مؤسسة العطار

**مؤسسة العطار للطباعة والنشر**
**العراق – النجف الأشرف**

**التصميم والإخراج الفني**
**مكتب محمد الخزرجي ٠٧٨٠٠١٨٠٤٥٠**
**العراق – النجف الأشرف**

**رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد ( ٣١٨٩) لسنة ٢٠١٨م**

# الفصل الأول

# القرية

إستيقظ أحمد عند بزوغ الفجر الأولّ ، متأملاً في فضاء السماء الواسع ، نَحىّ الغطاء عنه ، ونهض والنشاط يدبُ في جسده ، إخوته حوله ممددين ، وهم ما بين شخير وضجيج وعبث ، نزل من السطح إلى ساحة الدار ، والتي هي عبارة عن حديقة مخضرة غنّاء تحيط بها أنواعُ الورود والخضار وتملؤها العصافير وأنواع الطيور تغريداً وصفيراً وتسرح وتمرح بعض الخراف والماعز ومجموعة من البقر ، فبيتهم يحتوي أربع ، غرف واحدة لأبيه وأمه وواحدة لجدته الأرملة وواحدة لأخوته البالغ عددهم ستة ، سابعهم هو والغرفة الأصغر لأخواته الخمس ، وتتوسط الدار ساحة كعادة أهل القرى في أن تكون ساحة الدار مكشوفة للسماء ، خرج قُبيل أذان الفجر، وجلس مستلقياً أمام الورود يشم عطرها وذابت نفسه بعبق نسيمها الفواح ، جلس متأملاً حياته ، وما ستخفي له الأيام في مستقبلها ، فهو دائم التفكير في مستقبله لأنّه لا يود أن يكون فلاحاً ولعلّ نفسه كانت تودّ لو ولد بمكان بعيد عن الروح الريفية ، لأنّ أحلامه وطموحاته هي أن يكون مهندساً معمارياً ، وهذا الهاجس ظلّ يراوده مصبحاً وممسياً ، فمتى ما يسمع أهله وجميع أصدقائه ينادونه مهندس احمد حتى يسرح خياله لبلوغ هذا اللقب ! وبينما هو غارق في أحلام يقظته أخذته سنة من النوم بين إغفائه واستيقاظ ، سرح الخيال بعيداً هناك حيث الجمال ، حيث الدراسة ، حيث الشهادة ، حيث الحُب ، أي في بغداد التي ستكون قبلته أن حان وقت إعلان نتائج امتحان البكلوريا الذي أتمه أمس ، الانتظار يحتاج إلى طاقة صبر جبارة ،

لكي يتحمل وإلاّ فهو ملّ الصبر وسأم الانتظار وأخذ يتحين الفرص ليصل إلى مبتغاه ومناه ، وأخذ فؤاده ينبض على وتر حساس وكأنه مهيأ لنبض سيدوم إلى الأبد ولمشاعر ستبقى رقراقة على الدوام ، وكانت تلك الغفوة في وسط تلك الحديقة هي بمثابة حُلم لا يريد أن يفيق منه ويود لو ينام هكذا أبداً ! كي يعيش الجمال ولو في نومه ! لكن أذان الفجر قد أدركه وسمع صوت المؤذن يلهج بالبسملة التي سبقتها تعويذة من الشيطان الرجيم ، نهض مبتسماً ، فتوضأ ومشى خطوات باسماً للدنيا ضاحكاً لهذا الفجر الجميل ، خطواته كانت كأنها وقعٌ موسيقي منتظم وربما كان الفؤاد يغني أغنية ما وخصوصاً أغاني الريف تبعث في النفس صفاء ورقة وعذوبة ، إلى أن وصل المسجد وجد عدداً قليلاً من المصلين ، سلّم عليهم ثم صلى صلاة الصبح تبعها تعقيبات وتسبيحات فأدعية ، ثم قفل راجعاً الى البيت وهو يمشي الهوينا ، كأنّه عذراء تتغنج بمشيتها ، لديه مخاوف على شهادته ، لكنه كان كلما خرج من امتحان ، أختبر أجوبته فيجد نفسه أنّه قد تجاوز هذا الامتحان بكلّ جد واجتهاد ، نفوره من حياته ليس لأنّه لا يحبها ، بل على العكس كان دوماً وأبداً أفضل إخوته حباً للأرض ولم يشكُ من تعب ، ولم يقل كلمةَ تبرمٍ من عمله ولا من كده بالرغم من طول ساعات العمل التي كان ملتزمّاً بها ، لكنّه سأم الحياة وضيق أفقها ، فهي عبارة عن أرض يكدون من أجل زراعتها وبيع ما تثمر في الأسواق ويدخروا ما حصلوا عليه لأيام محنتهم وعسرهم وكم كانت كثيرة هي تلك الأيام ، فهو عاش المحنة بكلّ روحه وكيانه وبقيّ كأنّه صاحب الهم بين إخوته ، أخوته ينظرون إلى

الحياة كما كان ينظر آباؤهم وأجدادهم واقتنعوا بها ومضوا على هذه الحالة لا يحيدون عنها ، رجع والصباح في أولّهِ فوجد جدته تدعو بأوراد السحر وتتمتم بالأدعية ورأى أمه تعمل الحليب لكي يشربوه وكسرة من الخبز لكي يتوجهوا لعملهم وفي معدتهم شيء من الأكل ، خرج إلى العمل ومعه مسحاة ممسك بها ، مشى هو وأخوته خالد ، خزعل ، مشاري ،منير وكان أحمد اكبرهم ، أحمد يحب عمله لأنّه مؤمن بمقولة حب ما تعمل حتى تعمل ما تحب ، فهو يجد ويكد بعمله لكي يكون حافزاً له في أن يكون مهندساً تعنو له الرقاب ويشار له بالبنان ، استيقظت القرية على صباح بهيّ كعادتها ، كلٌّ يخرج الى عمله ، الرجال والشباب للعمل في الارض ،أو رعي الاغنام ، والنساء للطبخ وترتيب أمور الحيوانات التي كانت تعتبر من أبنائهن، فهذه البقرةُ ، تسرح وتلك المعزة تمرح وهكذا هو البيت صاخبٌ مضطربٌ ، والصبيان يلعبون مع أقرانهم إلى أن يحين وقت الظهيرة ، فيعودَ كل طفلٍ إلى بيته ، ليأكل ثمَ يستأنف لعبهُ ومرحهُ من جديد ، ويعود أحمد والجهد أضناه وسلبه كل تفكيره وَجرّدهُ من أي شاغلٍ يشغل به قلبه وعقله ، رجع ويودّ أن ينام لكي يعطي للجسد حقه من الراحة والرخاء ، ثم ليخرج بعدها إلى حيث يلتقي الأصدقاء وأبناء العم والجيران ، أحمد من عشاق الشعر وهو يتمنى أن يعيش حالة حُب ، لكي ينشدها ما يحفظ من دواوين الغزل العذري ، لكي يفصح عن عاطفته ، فهي كالجمر في لهيبها ، فأحمد شاب خلوق يملك الخُلق والأدب وطهارة القلب واللسان العذب حتى سلب لُب بنات عمومته وعلم الله كم تمنت إحداهن لو يكون نصيبها ، لكي تباهي

قريناتها بأنّها قد حظيت بالنصيب الذي تحلم به النساء ، كان يذهب مع رفيقه غازي وكانا متقاربين بالأفكار وبأوجه النظر وأحدهم ينظر إلى الأخر بأخوة وبرابطة قوية ، كان الملتقى عند الشط مقابل بيت غازي حيث يجلس أحدهم ليقص على الثاني ما يحلم به وما يود أن يكون في مستقبله ، فغازي حلمه أن يكون أديباً كبيراً يذاع صيته في الوطن العربي ويشتهر بين المثقفين ويحلم لو يأتي يوم ويقرأ أبناؤه في درس الأدب انجازاته الأدبية من شعر أو نثر وكم تمنى لو قرأ سؤالاً عنه يمتحن به الطلاب ، وأحمد كان يقص عليه انه يتمنى أن يكون مهندساً معمارياً ، يُغيّر ملامح وهيكلية البناء ويأتي بصرح جديد خلاّق ، مهندس هندسة معمارية مبدعة ، فلديه خرائط كثيرة يحلم لو سمحت له الظروف أن يعلنها على الجامعة ، لكي تعرضها على الجهات الحكومية المسؤولة ، لتباشر بتحقيق حُلمه ، كلاهما لديهم أحلام وأمنيات ويودّ أحدهم لو تحقق ما تصبو نفسه إليه ، آمال الشباب وطموحاتهم إذا لم تجد ما يعينهم على تحقيقها تموت وتذبل عقولهم إذا لم يجدوا البيئة التي ترعى وتراعي تلك الآمال وتلك الأحلام ، يبدأ اللقاء بحُب وينتهي بود وبين الحُب والود حكايات وحكايات ، يستمر الكلام حتى يقبل الظلام أن يطرد الشمس ويبقى هو محلها ، لكي تعود الناس إلى بيوتهم وتسكن ويأخذ كُلٍ منهم عباءته يلف بها نفسه ، لكي يذهب إلى مضيف الشيخ ، الذي عنده يجتمع الجميع لسماع حكمة أو ليتعظوا من حادثة ، وكان والد أحمد يصرُ على أحمد الحضور والتزود من هذه المدرسة العلمية حسب قناعة أهل القرى والأرياف ، بأنّ مجلس الشيخ هو المنظم

والمرتب لكل أمور الناس ، وأما أحمد ، كان يرى إنّ النظام العشائري هو سبب جمود العقل العراقي وبالأخص في القرى الريفية التي يسيطر عليها هؤلاء ويستفحل نشاطهم وسر قوتهم تكمن بطاعة الأتباع وأبناء العشيرة لهم ، فكيف له أن يقول إنّ هذا النظام لا يمكن أن يعبث ويستمر بعبثه إلى الأبد وتمنى لو رأى من يحاول معه لتصحيح مفهوم هذا النظام الجاهليّ الذي جعل العقل إلى الخنوع والرضوخ لقيم بدوية جاهلية سحقها ولفها الزمن لكن ما زالت عالقة في أدمغة العراقيين ، فهو في الأعم الغالب عبارة عن مجتمع عشائري حتى طغت هذه السمة على طابعه المدنيّ الثقافي وأحمد يدرك ويعرف وقرأ الكثير عن تاريخ العراق بأنه بلد ثقافي مدني حضاري ، فيعجب ويأخذه العجب باستمرار هذا النظام الجاهلي إلى هذا اليوم !

أحمد يكثر من التأمل حتى يغرق بـه ويتيـه في فضـاءاته اللامتناهيـة ، وتأخذه سنة من التفكير فيما حوله ، فهو غير راضٍ وممتعض من نظام حياتهم ، فهو يرى البـؤس والحرمـان والتخلـف الـذي يهـيمن علـى الطابع العام لقريته ، كانت نفسه تحثه على المضيّ إلى هناك ، حيثُ الجامعة وحيث كلية الهندسة ، ليكون متحضراً ومتحـرراً مـن قيـود المجتمع الريفي الذي لديه عادات وطباع لم يحبذها أحمد وتمنى لو أتى يوم وسمع ورأى تقدم مجتمعه فكرياً ولو بحدود بسـيطة ، فهـو يـرى إنّ الـروح الجاهليـة الـتي هـي صـاحبة النفـوذ في حـل النـزاع والتخاصم بين النـاس ، فكـم هـي المـرات الـتي شـاهد كيـف تحـل النزاعات بين العشائر ويرى المجاملات على حساب صاحب القضية وما على المسكين إلاّ الرضوخ والقناعة بما أقره شيخ العشيرة ، نظام

قبلي جاهلي غير متحضر ذو نزعة دموية متهورة ، أراد أن يثقف أبناء جيله وبعضاً من أقرانه نحو تغير هذه العقلية التي مازالت مهيمنة بترسباتها القديمة على أدمغة الناس إلى اليوم ، فذات مرة بينما هو يمشي مع زميله رافد ، إذ رأى أثنين يلّوحان كل منهما بمسحاته ويهدد ويعربد على الثاني ، فأسرع أحمد ورافد ، ليعرفا سبب النزاع ، فسألا هذين الشخصين ، قال أحدهم : إن هذا يمنع الماء من الوصول إلى أرضي ، لأنه أقرب إلى النهر من هذا ، فهذا يلوح بحديدة ممسك بها ، فتشاتما وتضاربا ولم يعد ينفع معهما أي إصلاح فسرعان ما أقبل أهل هذا وأهل ذاك وأصبحت معركة حامية الوطيس ، سالَ الدم فيها من الجميع وجرح الجميع وكاد أن يهلك الجميع فسقط رجل بعد أن أعياه نزف الدُم حتى فاضت روحه وعرجت إلى السماء ولا يعلم هل سيحاسبها الرب على حميتها الجاهلية أم سيعدها من الشهداء ! حتى تدخل جمعٌ من الوجهاء وفَضوّا النزاع الدموي لكن بدأت لغة الوعد والوعيد تشتد نبرتها وبدأت لغة الثأر التي قريباً ستسقط رؤوس ورؤوس من جراء تلك المعركة البسيطة ، ولا لغة إلاّ لغة الدم ولغة قتلتم منا شخصاً فسنقتل منكم شخصاً ونحن نحن وأنتم أنتم !

وهكذا هو التذمر الذي كان يؤرقُ عليه سباته ، يعود إلى البيت وكأنه ليس من هؤلاء الناس ممتعضاً من هذه الحالة التي تكاد تغلب على نظام حياتهم ، وكلما رأى ما يسوؤهُ يتذمر ويأتيه حافزٌ قويٌ لكي يجتهد في دراسته ويحقق النجاح ، لكي يلتحق بركب الحضارة

والتمدن ، يُعيره أصدقاؤه ويعيب عليه إخوته نفوره من الواقع ، لكنّه مصمم على إن هذه المعيشة هي لا بد لها أن ترقى لما يحفظ كرامة الإنسان ويحمي دمه وعرضه من أية نعرة جاهلية عنوانها الفصلية أو ما شاكل ، فذات يوم بينما هو جالس مع أهله برفقة بني عمومتهِ ، ذ قالَ أبوهُ : لو إن ولدي فعل هذا الفعل لطردته من العشيرة وجردته من الانتساب إليها وهو يشير إلى حالة ما وقعت وهي إن أحد الشباب من أبناء القرية ، خرج عن أهله بعدما رأى أنهار الدم التي عزمت عشيرته أن تسيلها ، التفت أحمد إلى ابيه وقال : وإن طرد من العشيرة فإنه لن يموت ، بل العكس سيتحرر من قيود تجمد العقل وتجعله خانعاً لأيديولوجيتها ، هنا ثار جدل عنيف بين الحضور ، حتى كادوا أن يطردوا أحمد من العشيرة لو لم يركن إلى الصمت ويذعن لترهاتهم المزعومة ، كان هاجس التغير يلحُ عليه لكن أنى يستطيع ذلك بمجتمع منغلق ومنطوي على نفسه ، أحمد كان منذ يفاعته الأولى وهو يرنو إلى المستقبل وكله طموح وأمل وأخذ يسعى نحو تحقيق طموحاته وأحلامه ، مر الأسبوع الأول على نهاية امتحاناته التي تؤهلهُ إلى الجامعة التي أخذت كثيراً من وقته حتى أمست الهاجس الذي أرق عليه نومه ، وكم هي المرات التي أخذ يسائل نفسه يا ترى كيف تكون الجامعة وكيف تكون الحياة الجامعية وكيف يكون المستقبل ؟ يرددها حين ينام وأول ما يصحو أنا يجب أن أنهض بنفسي لأحقق مستقبلاً مشرقاً لي ولأبنائي ، قليلون هم الشباب الذين يرسمون خطة لمستقبلهم ويسعون للاعتماد على أنفسهم دون معونة أحد ، وأحمد كان من أولئك الشبان الذين ذاقوا شظف العيش ،

ومعاناة الحرمان ، وقلة ذات اليد ، لكن طموحه الجامح وقوة تجلده جعلته يسحق على آلامه ويقول غداً أفضل لا محالة ! غداً سأدخل الجامعة وسأحقق تفوقاً وسأقدم المزيد من المشاريع التي تفيد الوطن وأكون من أولئك الذين ذابوا بحب الوطن فأحتضنهم الوطن وحقق لهم سُبل الدعم والحضن الدافئ والبيئة الصالحة وظروف العمل ، إذ العلاقة بين الوطن والأفراد علاقة محبين عاشقين هذا يعطي الحب ، فعلى ذاك أن يعطي المزيد ويضيف أكثر ، أحمد كتلة مشاعر ملتهبة بحب الوطن ، فهو يرى البؤس والفاقة التي اعترضت وطنه الحبيب ، فعزمَ أن يكون كبش فداء لهذا الحبيب المتيم ، وأعلنها كثيراً سأفديك بدمي وكل حواسيّ يا عراق ، وكلمة عراق لها وقعٌ موسيقي يسلب لُبه ويجعله يتغنى بهذه الكلمة ويكتب القصائد والقصائد في حُبه والتغزل والوله به ، حياتهم بسيطة ، سُكانُ القرىُ ، كبساطة عقولهم ، فهم قليلوا الميل نحو العلم ، لكن عندما تجد أحدهم مال إلى سُلّم العلم والثقافة ، فإنك واجده وقد بزّ أقرانه به حتى فاقهم ، رأى أحمد إنّ قريتهم النائية عن مركز المدينة يميلون إلى النزعات والطقوس الدينية ، أيّ إنهم قد يميلون مع صاحب أية دعوة ولكن يجب إن تكون مؤطرة بإطار ديني ينطبق مع طقوسهم وعاداتهم المحلية ، فرأى كثيراً منهم يميلون إلى المراقد يطلبون منها شفاء مرضاهم ويقدمون الذبائح عند قبور الأولياء ، لكي يقبلها ويساعدهم في محنتهم التي داهمتم ، حاول أن يقول لهم إن هذه الطريقة ليست بصائبة ولا تمت إلى الوليّ الذي تتقربون إليه زلفى ، لكنه كانَ يجاب ، بأن المدرسة ، حرفته عن التربية وعادات أهله ،

وأصالتهم ، وكثيراً ما كان يُعاب عليه إنه دخل المدرسة فغيرت من تربيته وجعلته ينظر إلى الطقوس الدينية وكأنها خرافات وأباطيل ، دعواه لم تلق أذناً عند أهله فكيف لها أن تحدث صدىً عند الغرباء ! هموم وآمال وأوجاع تعترضه على الدوام فهو من ناحية يود أن ينتشل محيطه من تلك العادات التي جعلته يقبع في مكانه لا يعدوه ، ومن ناحية كان يجابه بأقسى رد وأعنفه ، وكان يجيبهم ، ألم أحفظ القرآن الكريم ، ألم أصلي الصبح دوماً ، ألم أكن خلوقاً مع الجميع ، لكن يقولون له نعم لكنك انحرفت عن هذه كلها وأصبحت متمدن وتكره الدين ! فملؤا قلبه ألماً ، وأصبح قليل الحظ من الأقران إلاّ رافد ، صديقُ العمر، والجار الوفي الذي بقي معه أمام كل أولئك الذين وصموه بأقسى التُهم وشتى الأباطيل ، قرر أحمد ، أن يترك هذا الدعوة إلى الثقافة ، لأنها كلفته كثيراً من الإساءات له ولعائلته التي ما انفكت تفتخر ، بأنه سيدخل الجامعة ويكون مهندساً كبيراً يشار له بأنه باني هذا الجسر وتلك المستشفى وذلك الصرح وذلك البرج ، ويكون قد حقق شيئاً لوطنه الذي يفتقر لمن يهندس له طريق الحياة ، ويعبد له نهجها القويم ويعيد للمواطن العراقي حريته التي لم يشعر بها كاملةً في طوال تاريخه ، إذن طموحٌ وأمل هما نصب عينيه وعليه أن يسعى بكل جهده لتحقيق هذا الهدف وهذا المشروع الذي يخدم به أبناء شعبه وينهض بهم ثقافياً وفكرياً ليواكبوا سلم الحياة وينظروا لما بين أيديهم فيستثمروا تلك الخيرات لصالحهم يبدأوا ببناء وطنهم شيئاً فشيئاً ، الشباب الواعي المثقف والمتنور هو مرآة الوطن وذخيرته وسلاحه القوي الذي به يصول ويجول ، لكن هل كل الأوطان

تحتض وتربي وتنشأ شبابها لكي يكونوا درعاً حصيناً لها ! الإحباط واللاأبالية هي سمة غلبت على طابع الأنظمة التي تعاقبت على حكم العراق ولم تجعل للشباب دوراً ريادياً في صنع القرار والبناء مما جعلهم في خيبة وقلة ثقة بأنفسهم ، لأنهم وجدوا الاهمال وسوء الادارة قد حدّ من طموحاتهم وقيد فكرهم عن الإنتاج الفكري المبدع ، ذات يوم مرّ وكعادته ، غارق في أحلامه التي ما انفكت تلازمه صباحاً ومساءاً ، هل سيشهد مستقبله قصة حُبٍ ما ، أم سيتزوج زواجاً تقيلدياً، وكعادتهم أهل الجنوب ، يتركون الحرية والرأي للأم هي التي تأخذ ذات اليمين وذات الشمال لتختار من هي أجملهن وجهاً وأمهرهن طبيخاً لتكون كنتها وقرة عين ابنها وما على البنت ولا الولد إلاّ الرضوخ لما يتفق عليه الأهل ، رجع للبيت ، وإذ رأى أمه تزين في البيت وترتب وتغدو وتروح وكأن هنالك مناسبة لا يعلم بها ، سأل أمه ماذا يكون اليوم؟ قالت له : ستأتي إلينا زوجة عمك عبد الرزاق لتخطب أختك لابن عمها راهي ، هنا انتفخت أوداجه ، فهو يعرف راهي ويعرف أخته ، راهي ابن عمه لكن راهي لا يناسب أخته فهو ذميم الخلق والأخلاق وذو لسان حاد ومزاج متلون وأعصاب على الدوام متشنجة وفوق هذا ، فهو يكبر أخته بثلاثة عشر عاماً ! وأحمد على معرفة بنفس وهوى أخته فهي لا تحب ابن عمها ولعلها لا تطيقه فكيف لها أن تقترن به وتعيش معه تحت ظل سقفٍ واحد ، رأى وهو الغيور على أخته إنها أبدت امتعاضها ونفورها من هذه الزيارة التي ستقتلها وهي في ريعان الشباب وغضارة العمر ، فأقبل أحمد على أمه بحضور ابيه وقال :

هل اختبرت ميل أختي وهواها بهذا الزواج ؟

-الأب وكأن أفعى لدغته ومنذ متى ونحن نأخذ رأي بناتنا ! نحن أولى وأعرف بمصلحتهن من أنفسهن.

أحمد في ذهول من أب سيكون هو السكين التي سيذبح أبنته ، فعزم أن يخلص أخته وينقذها من هذا الزواج المشؤوم المفروض عليها ، كعادتهم أهل الريف لا يسألون البنت عن رأيها ، بل عليها متى يسألها الذي يعقد قرانها أن تقول نعم وأنت وكيلي ، أحمد قالها أمام أبيه وبمسمع من أمه : لن تتزوج أختي أبن عمها ولو كلفني حياتي فداء لمنع هذا الزواج المشؤوم ، أتغصب أختي على زوج لم تحبه ولن تحبه ولا يربطها به إلاّ إنه ابن عمها وإن كان ذلك! كلماته جعلت من أبيه ينتفض كمن لدغته افعى ، أيها الحقير، أتقول هذا بحضرتي حقاً إنك ابن عاق وغير مؤدب ، بل سأزوجها رغماً عنك وعنها ، وأنت مطرود من البيت من الآن حتى تتأدب وتتعلم ألاّ ترد الكلام على أبيك ، أراد أن يدافع عن نفسه إلاّ إنّ اباه دفعه دفعاً ورمى به خارج الغرفة وأخذ يدفع به حتى طرده من البيت ورجع الأب ، أراد أن يغلق الباب وإذ بأحمد رافعاً صوته : والله و الله والله بكسر الهاء لن تتزوجي هذا الشخص ، وخرج لا يلوي على شيء وترك أهله في ذهول ما بعده ذهول ، وساح في الأراضي حتى أدركه التعب ، أستقر عند ضيعة وأسند ظهره على نخلة وأخذ يتأمل ما حوله ويسأل كيف لي أن أخلص أختي من الموت البطيء ، وكيف لي أن أقنع أبي بأنه على خطأ ، أراد أن يبقى على موقفه ولا يتزعزع تحت أي ضغط يعترضه ،

أخذ يخاطب نفسه حتى متى والحال هكذا فقد مللت ظروف حياتي وملّتني ، متى آخذ نصيبي مـن النعـيم ، فقلـد مللـت حيـاة الشـظف والبؤس حتى سأمتها ولم يعد لي طاقة من صبر على ما يعترضني ، فقد خارت قواي ولم يعد لي متسع من الصبر أحيا بـه ، ومشـكلة احمـد كمشكلة كل العظماء فهم يعانون الوحشة والألم ، لأنه يعيش بروح المجتمع وبضميره ولن يتخلوا عنه فهم يعيشون آلام الجهل والتخلف والغربة بين محيطهم وأترابهم ، يا ترى هل ستحدث كلماته تغييراً ما في وجهة نظر أبيه وتعدل من اسلوبه في تزويج بناته أم عصبيته وجهله وثقافته القروية تحول دون ذلك ؟ خرج والأرض لا تكاد تسـعه ولم يكن هنالك ما يخفف عنه حدة الألم والزعل إلاّ أن يذهب إلى صديقه رافد ليتسامر معه ويرمي له بهمومه و آلآمه وما يكابده ، ذهـب إليـه وأخذ يسير معه وتجاذبا أطراف الحديث وكلٍ يشكي إلى رفيقه مما يعانيه وما يعترضه من محن شاقة وخطوب مؤلمة ، أحمد يسأل رافد ، متى تعرض نتائج الامتحانات الوزارية ؟ قال له يوم الأحد قال أحمد : يعني علينا أن ننتظر أربعة أيام لنرى ما يخفيه لنا حظنا وجهدنا ، قال رافد : أنا واثق أن معدل درجاتي لا يتجاوز السبعين بالمئة ، وأما أنت يا أحمد ، فأرجو أن تحصل على كلية الهندسة الـتي هـي طموحـك وحُلمك الذي يراودك صباحاً ومساء ، لكن يا أخـي وهـل تعتقـد إنّ الحكومة ستوفر لك الدعم والوظيفة لكي تحقق أهدافك ، يا سيدي أنت في حكومة همهـا مـلء بطونهـا وبطـون مؤيـدويها ، فـأين هـم والأعمار والبناء ، حكومتنا ليس لها عقل نحو الاعمار والبناء ولـيس لها نظرة موسـوعية تنظـر لمـا بعـد الغـد فضـلاً عـن الغـد ، نظـرتهم

محدودة وليس لديهم طموح أو هدف لبناء وطن وأعمار أرض واصلاح مجتمع ، أحمد قال : كلامك يفلّ العزم ويقلل من الطموح لكنه واقعيّ ، لكنّ هل تريد مني أن أكتفي بالرضوخ والخنوع ، بل يجب أن أسعى وأحقق ما تصبو إليه نفسي ويرنو له عقلي ، فأنا أعشق الهندسة وسأكون مهندساً معمارياً ، ضحك رافد وقال : أذا اذا حصلت على المعدل المطلوب تكلم!

يارب يرددها على الدوام وكله أمل ورجاء من الله ، لكي يحقق له حُلمه الذي سيكون بوابة الخلاص من بؤسه الذي يعانيه ولعلّه فعلاً سيكون كذلك ، أدركهم الليل قال أحمد : إني مطرود من البيت واليوم سأكون ضيفاً عندك ،

رافد : نحن نرحب بالضيوف في كل وقت وتحت أي ظرف لكن !

لكن ماذا ؟

إلاّ المطرودين؟

المطرودين!

نعم تعال معي ، لنأخذ أبي معنا ونذهب إلى أبيك ، لكي تأخذ السماح منه ويرضى عنك ، فمهما يكن يبقى هو الأب وأنت الابن وعليك الطاعة والاحترام والتقدير

أتعز عليّ أن أنام في بيتكم ليلة واحدة!

لا . فأنت تعلم كم هي المرات التي نمت عندك وخصوصاً فترة إمتحاناتنا ومراجعتنا الوزارية لكن؟

ماذا !

حبي لك واحترامي لك أن أصلحك مع أبيك ، فأنت صديقي المقرب ، وأنت أخي وسَنَدي يجب أن تعود إلى أهلك فهم قلقون عليك الآن في أرجح الظن

-لن أذهب وقد انحطت كرامتي وذلّني أبي

-لا تحسب الأمور ذلاً ، فلا يوجد بين الأب والابن ذل ، قط ، لا يا أحمد ، فأنت قرةِ عين أبيك ، فلا تجعله يخيب الظن بك وأنت السمع والبصر والفؤاد له ، ماذا يقول أخوتك إذا كنت أنت كبيرهم ولم تحترم أباك ولم تطعه ، وإياك أن تصل لدرجة تغضب بها أباك مهما كانت الأمور حبيبي أحمد

أقبلا مع والد، رافد وسارا إلى بيت أحمد وطرق الباب والد رافد، ففتح لهم الباب أخو أحمد وأدخلهم غرفة الضيافة لكن أحمد بقيّ خارج البيت واجم ، فدلف أبو رافد ومعه رافد ورحب بهم والد أحمد وبعد التحية والسلام والسؤال عن أحوال بعضهم البعض قال والد رافد : أبا احمد أتيت إليك بطلب ورجاء وأرجو ألاّ تردني خائباً

-على العين والراس ، أنت الآمرُ الناهي مرنا يا أبا رافد

–لن يأمر عليك ظالم ، سمعت بأنك طردت أحمد من البيت وأنا لن أقبل على أحمد فهو أبني كما ابنك وكلاهما أبناؤنا فأتيتك به وهو الآن واقف في الباب حياء منك ويودّ لو ترضى عنه وهو في حالة لا تليق به وبثقافته فهو سندك ومفخرتك وأخذ يعدد خصال أحمد حتى أحجم والده وأكتفى بالصمت وأطرقَ برأسه إلى الأرض

صاح أبو رافد أحمد ، أحمد تعال وأعتذر من أبيك وخذ رضاه ، ليعفو عنك ويقبل منك ، فأنت أبنٌ مطيع يجب ألاّ يصدر منك هكذا إساءات يا حبيبي

دخل أحمد بخجل . وقبل رأس أبيه ويده ورجله ولثم يده منحنياً عليه حتى بكى ، عندها رفع والده رأس أبنه وقبله وقال : أنت نور البيت وعموده ، رضيت عنك يا قرة عيني وثمرة فؤادي ، وتلك هي الروح الأصيلة التي تطغى على الأبناء ، فهم يطيعون آباءهم طاعة مطلقة ويكنون لهم عظيم الاحترام والود ، حالما خرج والد رافد وابنه دخلت عليه أخواته وأمه وكلهن عاتبات عليه عدم الانصياع لأوامر الأب ، كعادته في الليل ، يختلي في حديقة البيت التي يكسوها الهدوء وتنعم بالصفاء حينما يجنُ الليل يبدو متأملاً غارقاً في أحلامه فأخذته الأفكار هناك حيث مركز الوطن ، حيث بغداد ، ما أجمل وقع كلمة بغداد وما أعذب سحر وقعها في لسانه ، وكأنه كان ينتظر أن يعيش الحُب في بغداد ولكن متى يا بغداد يخفق الفؤاد ومتى يأخذ بالتغني والهيام بمعشوقة لم يعرف عنها شيئاً ، لربما رسمها بمخيلته فهو يريدها بيضاء كأنها الملح ، وطولها معتدل يميل إلى القصر ، وليست

بالضعيفة ، بل بين وبين ، ويكون لديها شعرٌ طويل تدليه على متنها فتتغنج أمامه بعد الزواج ، ووعد نفسه أن يكون لها خيرَ حبيب وخيرَ زوج ، ولعلّ أغلب الشباب في عمر أحمد ، يحلمون بذات الأحلام ، أيام قليلة وسألتحق بركب الجامعة وأكون طالباً للهندسة وأغدو من الجامعة وأروح إلى القسم الداخلي وكلّي نشاط وحيوية وإنعاش ، عندها سمع عبث إخوته وأخواته وهم يدعونه لتناول الطعام والجميع مجتمعٌ حول المائدة ليتشاركوا اللقمة معاً ، أخته سلبت مشاعره وأخذت مجامع قلبه ، فهل سيسلمها لقدر لا تحبه ويساهم في ذبحها وهي على قيد الحياة ، أم سيقف أمام غضب أبيه و دكتاتوريته المتسلطة على الجميع ! ترمق أخاها ويرمقها ولغة العيون تشي بما يجول في القلب واللسان من كلام ملؤه الحُب ما بين رقة الأخت وغيرة الأخ ، وكأنها تقول هل سيقف أخي وقرة عيني وسندي لينقذني من زواج لا أحبه ولن أحبه قط ؟ أم سيركن لما يقره أبي وأخي أبنًا مطيعاً ؟ همسات ونظرات تعرب عن مكنون ما يجول في القلب بين الأخ وأخته ، لكنه قرر وعزم أن يكون كبش الفداء في منع هذا الزواج الذي يؤدي إلى طرده خارج البيت مشفعاً بلعنة الأب ونفوره منه ، ابتسم لها وكأنّ ابتسامته ردت له قليلاً من الأمل ، فضحكت ، فأبتسم لها وأطرق يكمل طعامه ، نهض الجميع كلٍ إلى عبثه وإلى عمله وإلى همه واما هو فهو منشغل بهذا اليوم الذي ستعلن فيه وزارة التربية إنها قد أطلقت إعلاناً عن يوم توزيع نتائج الامتحانات الوزارية ، لكي يرى هل سيتحقق حُلمه أم هل سيخيب سعيه ! فالأرض قد أكسبته قوة صبر وجلادة وجعلته لا يتزعزع ولا

ينهار ، هموم وطموح وما بينهما تكمن قصة شاب يودّ إن يحقق لنفسه مستقبلاً يغير طبيعته من خلاله، فهو لم يرضَ عن معيشته ولم يقبلها وروحه مجت هذه الحياة البائسة الساذجة التي لا تنمي قدارته ولا تطور مواهبه ، فهو في داخله جنوح ورغبة نحو الحضارة والمدينة ويود أن ينهل من مركز الإشعاع الحضاري لإصلاح تركيبة النظام الذي يسود بلد كالعراق ، أحمد قرأ تاريخ العراق القديم وألمّ بالحديث وصهر في بوتقة النظام الحديث وعايش آيديولوجيته وفهم طبيعة عقليته ، فعزم على أن يبدأ بالتغيير والإصلاح والتطور نحو التقدم ، فالحياة تسير إلى الأمام ولن تلتفت إلى الوراء قط ، قالها وعزم عليها سأبدأ بتغير نفسي وطبيعة تفكيري لكي أستطيع أن أبدأ بتغيير غيري ، ولكن هل فعلاً سأستطيع تغيير مجتمع قروي ناءٍ عن المدينة والحضارة يعد التراث القبلي كأنه دستور أوجده الآباء ولا محيص عن العدول عنه ، فكيف لم يتمرد عليه من داخل المجتمع القروي ذاته ؟ في كل يوم يرى مشكلة ما ، لن يحلها النظام ولا القانون ولا الدين ، بل يلجأ المتخاصمون إلى الحل العشائري ، لكي يلتمس الحل وفعلاً يتم الحل ويكون الصلح ، لكن الأحقاد تبقى في النفوس ولن تمحى ؟ فرأى وهو يسير في ضحى النهار طفلين يلعبان بقرب شجرة ويمرحان كعادة الأطفال ، إذ بادر أحدهم إلى أخذ عصا صديقه ، فبادر الثاني إلى الثورة ضده وضربه على صدره فسقط الطفل أرضاً متأوهاً من قوة الألم لكنه سرعان ما انتفض وبيده عصاه التي اختطفها من صديقه ، وضربه بها حتى بكى الأثنان معاً فسارع أخ أحدهم، فأخذ يضربُ الطفل الثاني ضرباً مبرحاً حتى أدماه وسال الدم من أنفه

ولطخ ثيابه به ، فبادر إلى أهله وهو ملطخ بدمه وممزق الثياب رث الهيئة وعندها انتفض إخوته الأكبر ثائرين لأخيهم وبادروا مسرعين إلى بيت خصمهم ، وحدثت معركة شارك بها اكثر من عشرة اشخاص وتصايحت نساؤهم وجرح من جرح وكسر من كسر ولم تحلّ حتى تدخل السلاح بينهم فسقط من أولئك القادمين ثلاثة قتلى عندها أصبحت معركة حامية الوطيس ، بادروا مسرعين إلى بيوتهم حتى إنهم لم يحملوا إخوتهم وتركوهم مضرجين بالدماء حتى يدركوا بثأرهم وإلاّ فالعار العار لاحقّ بهم ، أقبلت الأسلحة والرصاص يثور ومعركة صغيرة وولت النساء من هولها وأرعبت الصبية من ذعرها ! فلم يقتلوا منهم أحداً حتى تدخلت رؤوس كبار واستأنفت المعركة لتعاود الكرة لاحقاً ، فالثأرُ هو الثأر ، والدم بالدم وسنقدم عليكم وشيكاً لندرك بدل ثلاثة تسعة عوضاً عن غدركم أيها الرقعاء !

وذهب أهل المقتولين مدحورين واجمين لا ينطقون ببنت شفة فقاموا بتغسيل موتاهم ودفنهم لكنهم لم يقيموا مجلس عزاء على أرواحهم حتى يدركوا الثأر ثلاثة رجال دية الرجل الواحد ، وينظر احمد إلى هؤلاء الضحايا ويسأل نفسه هل هؤلاء سيكتبون شهداء عند الله ؟ هل سيدخلون الجنة أم النار ؟ وبالأخص أنّ دافعهم نحو الموت كان نعرة جاهلية قبلية ، أودت بحياتهم فكلفتهم أن جعلوا نسائهم أرامل وأبناءهم أيتاماً وأهلهم ثواراً ، فلا ينبغي أن يغمض لهم جفن ولا يستلذ لهم عيش حتى يبلغوا من الثأر ما يطفي لهيب النار المتأججة

فيهم ، هذا الموقف سلبه طعم الرقاد فكيف له أن يذيب هـذه النعـرة ويجعلها تخمد وتضمحلّ شيئاً فشيئاً ، فلقد مجت نفسه القرية لما بها مـن عـيش لا يهـدأ ، فهـم يتصـارعون دومـاً ، وإذا لم يجـدوا مـا يتصارعون معه اتخذوا إخوانهم نداً لهم وجعلوا بينهم خصومة وعداء ، نفسه تواقة إلى تعديل نظامهم وتربية أبنـائهم نحـو الـروح المدنيـة المسالمة التي لا تعترف بهذا النظام ولا تلجأ إليه ، أخذ يصبر نفسـه ويخبرها إن هي إلا أيام وستظهر النتائج ويلتحق بركب الحياة حيث الجامعة والثقافة والفكر ، ويترك قريته في سُبات لا يـود أحـدهم أن يفيق منه ، وأقبل على أهله مغتاضاً فسألته أمه ما بك ؟

– أهذه هي الحياة التي خُلقت من أجلها !

– وما بها فهي جميلة وماذا تحتاج لكي تكون بأفضل حالاتك إنـك يابني على الدوام متضايق من الدنيا وتحمل همومها

– أحمل همها لأني غير مقتنعٌ ، بها فهي ليست الحياة الكريمة

– أجابته باستهزاء وما الحياة الكريمة يا علاّمة !

– أتسخرين مني يا أميّ ! نحن نعيش في القرن الحادي والعشرين وما زالت قريتنا تعيش القرن الأول أو ما قبله يا أمـي ، فقـد مللـتُ حيـاة القرية وملّتني وأريـد الخـلاص مـن هـذه التعاسـة ، ثـارات ونعـرات ومشاكل وجهل ولا عمل والأرض لم تعد تسد مؤنتنا ، يا أمي العراق يعاني من شحة المياه فقد بنت الجارة الصديقة إيـران السـدود علـى

نهري دجلة والفرات وتركيا أخذت تتحكم بمنسوب المياه وتساومنا عليه ، فالأرض لن تكون دراً لنا فالزراعة وشيكاً ستموت في العراق وسيكون العراق بلداً مستورداً ومستهلكاً لا منتجاً مصدراً ، حكومتنا ليس لديها عقل اقتصادي ولا رؤية مستقبلية لبناء بلد ، وكعادته يحُب أن يلجأ إلى صديقه رافد ليتسامرا طرفاً من الليل حتى يجنُ عليهم آخره فيذهب كُلٍ إلى مأواه ، يعود أحمد وهو شارد الذهن محلقاً في عوالم ليست الأرض ولا في السماء أظنها في كوكب لا تعرفه البشرية ، فنفسه متعطشة لإنتهال قسط وافرٍ من النعيم والراحة المنظمة التي تواكب الحياة وتسير جنباً إلى جنب معها ، فهو كان يزدري من الثياب التي يرتديها أهله والتي هي ملابس عروبتهم التي يفتخرون دوماً بها ، وكلما تحدثوا سمعهم يرددون إننا عرب ومعدان ، أي لنا أصالة وتاريخ وشرف قديم ، وأصولنا عريقة ومعروفة ونسبنا واضحٌ بين لا شائبة فيه ولا مذمة ، نفسه مجت هذه التُرهات وعدها سفاسف لا تغني ولا تسمن في شيء ، بينما هو يسير وحيداً على حافتي الشط في حدود الساعة العاشرة مساء ، يرى كيف يأتي الموج ويغدو ولا يقف عبثه وضجيجه وكأنه بحركة منتظمة ، يغرق في التأمل ويتيه في الصمت ويأخذه التأمل هناك بعيداً ليسأل نفسه يا ترى هل ستشهد حياتي قصة حُب ما ؟ سؤال استفزه كل حواسه ، وجعل قلبه يفيق من بعد سُبات دام ثمانية عشر عاماً ، واخذ يبتسم إلى أحلامه التي صنعها هو مردداً ، أريد أن أعيش قصة حُب ووعدٌ وعد لأكون عاشقاً لمن أحبها لكن من تكون هي العاشقة يا ترى فنفسي لم تحدد أي النساء سأحُب ولا من أي المدن ؟ أمن هنا من القرية ، أم من

المدينة أم من بغداد ولي أمل بأني ربما أثير مشاعر إحداهن ؟ لكن وهل تتلاءم معي وأنا فتىً من الجنوب في أقصى قراه النائية التي أخذ منها الفقر مأخذاً وجعلها لا تعرف من حياتها إلاّ ما يسد صوت بطونها الخاوية عندما تصرخ مستغيثه جائعة ، أم الحُب لا يعرف الفوارق الشكلية ، بل الحُب يعتني بالجوهر أي بالروح والقلب فقط ، يطرب ويأخذه الطرب كل مأخذ ، وكأنه نفسه تعُده لعشقٍ تكون نهايته زواج يدوم أبداً أم سيخيب سعيه ويعود إلى أمه مقتنعاً بما ستختارها عروساً له ! أحمد قارئٌ نهم للشعر وكتب التاريخ مما ولدّ عنده سِحراً بالكلمات وموسيقى إيقاعية خلاّبة ، النفس تارةً تفارق الجسد بعيداً محلقة في أفق الخيال فمنهم من يسير خلفها وهو مقتنع بأنها سترضي حاجته ومنهم من يجعل من العقل والواقع مرشداً وموجهاً ، الحياة تكون جميلة عندما نشعر بجماليتها في أنفسنا لا كما تبدو عليه الحياة ، فمثلاً لن يؤثر مظهر كله صفاء لم يكدره ويغبره شيء مادامت العيون لا ترى هذا الجمال مؤثراً فيها ، إذن أحمد من أولئك الذين لم يروا في الحياة جمالاً ، لأنه لم يكن يحبها ولم يتكيف معها إلاّ على مضض ، الهموم عندما تعصف بالمرء قد تسلبه محاسن نفسه ، على الشاطئ تنبعث موجات من البخار ، فتزيدُ الجو رطوبة ويكون مملاً ، لكنهم يتحملون كل ظروف الطقس ، فقد أكسبتهم تقلباته جلادةً وجعلتهم يصبرون وإن على مضض على شتى تقلباته ، إين ينام ولا يجد مكاناً لم يبعث الضجر عنده ويسلبه طعم الكرى ، هنا الذباب ينهش اللحم ويتغذى على لحوم البشر ، وهنا الحر الشديد والرطوبة التي تأتي إليهم من الشط الذي يمد القرية

بالماء والذي هو عصب حياتهم الزراعية والذي لولاه لما تمكنوا من الاستمرار في العيش بهكذا مكان ، في صباح يوم الخميس ، أقبل رافد مستبشراً ضاحكاً مهلالاً ويطرق الباب بقوة على أحمد قائلاً : أحمد يوم الأحد ستعلن النتائج وتنشر على المواقع الإلكترونية وسنرى نتيجة سعينا وما سهرنا من أجله ، أحمد ما بين فرحٍ وإستبشار ، فرح لأنه عرف بقرب الإعلان عن النتائج ووجم لأنه عرف إن نسبة النجاح ضئيلة وتكاد لا تبشر بخير ، فهو لم يخشَ الرسوب لكنه خشي هبوط الدرجات والتي ربما تؤثر على دخوله كلية الهندسة بقسمها المعماري الذي يتوق للحصول عليه ، رافد معلقاً : النتائج تزيد قلقي وأنا غير مطمئن لها وخصوصاً وأنا كنت غير متقن الإجابة في مادة الفيزياء وانا واثق من إنني لن أتجاوز معدل السبعين في المئة ! أحدهم يثبت قلب صاحبه ، ونظرات الترقب تزداد والخوف هو الغالب على وجههم ، يعود أحدهم إلى البيت ولم يشغل باله شيء إن حصل على معدل التسعين أو المئة أو الخمسين ، وهو رافد ، بينما أحمد همه الحصول على ما تصبو إليه نفسه وما حلم به طوال عمره ، متى أثلج صدري وأقرُ عين أبي وأمي ويرفع أبي رأسه مفتخراً بإبنه المهندس الكبير ، يعود وقد خارت قواه من الخوف والجوع فوجد إنّ أهله قد انتهوا من العشاء ولم يبقَ ما يكفي لعشاءه إلاّ رغيف خبز وكوب الشاي الذي هو طعام إفطاره صباحاً وها هو الآن يكون عشاءه أيضاً ، أحمد شاب متمرد على نظام معيشته كله ومتبرم أشد التبرم من معيشة ظنكى على الدوام وعسيرة في كثير من الأحايين ، رقد الجميع وكأنهم موتى من شدة تعبهم طوال النهار ، فالأعم

الاغلب في نساء القرى ، إنهن يساعدن الرجال على الحياة وهـذا مـا يفتخرون به عندما يرددون في أحاديثهم عن النساء حيث يقولـون إن النساء صنفان : صنفٌ تقول لك أنا معك على الحياة ، وصنفٌ تكون مع الحياة عليـك وشـتان بـين الصـنفين ، فلـذلك تجـد الخشـونة في تعاملهن وكلامهن ، فقد يتعبن أكثـر ممـا يكـد الرجـال ، ومازالـت عندهم المرأة محتقرة مهانة ذليلة ! تقدم بلا مقابل وتعطي بلا منّة ولن تجد من يشكرها ويحنو عليها ، فهـي تـرى الشـتم وبعـض الأحيـان الضرب إن عصت أمراً ما من أوامر الرجل سواءً من أبيها أو من أخيها وزوجها إن كانت متزوجة ، قد يسأل البعض ماهي أسـباب تراجـع التعليم ، في العراق؟ بل ماهي أسباب انهيار الواقع التربوي فيه؟ فكلنا يعلم أن العراق كان من اكثر دول الجوار تميزاً في مستوى التعليم بل والمتقدم؟ السؤال الآن اين العراق من هذا التقدم في الوقـت الـراهن؟ حقيقةً اتساءل ، كيف ستكون الاجابة بل ماذا ستكون؟ فلكي نبحث في أسباب التراجع وما رافقه من تدهور علينا الوقوف على مقومـات التربية والتعليم اولاً والتي تتضمن: المعلم (الأستاذ) ،التلميذ، وولـي أمر التلميذ، فكما هو متعارف عليه فالطالب طفـل بـين يـدي معلمـه وعليه فسيكون دماغه ورقة بيضـاء تُمْلَـأُ كيفمـا شـاء هـذا المعلـم، والدليل على ذلك اسلوبه المتبع في التعامل ومـدى تـأثيره في أيصـال المادة العلمية واستيعابها بالشكل الصحيح من قبل طلابه، وهو نفس التعامل والذي بات يتغير تدرجياً عن سابقة في ظل تطور التكنولوجيا ودخول مواقع التواصل او ما يدعى بال ( مواقع التواصل الاجتماعي ) فما يحتضنه العراق اليوم مـن نِسـب الأميـة الـتي ترصـدها الجهـات

المعنية سنوياً والتي شارعت بالتزايد العام تلو الآخر على عاتق من تقع؟ المعلم، التلميذ ،ام ولي امره ؟هنا حتما سيقع اللوم على المعلم من قبل الطالب والاهل وعلى الطالب والاهل من قبل المعلم، فالقليل منا ممن يعترف بخطئه محاولة منه لتغييره، لكن الكثير والكثير جداً يأبى ذلك حتى أمام نفسه وعليه سوف ينخرط تدريجياً تحت مصطلح (مظلوم ) والتي غالباً ما تتبع كلمه ( طالب ).

، لكن هذا سابقاً ، حيث كان الطالب يمتثل لأمر معلمه، فالتطاول بالكلام وما شابهه بات شائعاً بل ومتداولاً وبكثره هذه الايام، انطلاقاً من مبدأ ( من أمن العقاب أساء الادب).

لما نصت عليه وزارة التربية من إقرار منع القيام بأي عقوبة توجه للطالب وتحت اي ظرف يذكر، وهنا تكون قد ساهمت الوزارة باندلاع نواة هذا الفشل، من خلال تشريع انظمة وإقرار قوانين لا تمت للواقع بصلة وبالتالي فهي لن تعود على الدوائر التعليمية إلاّ بالضرر، بالإضافة لعوامل اخرى كعدم توافر الوسائل التعليمية ، والتي تعتبر هي الاخرى ، مصادر مهمة لإيصال المعلومة كاملة وبصورة اسرع لذهن المتلقي، أو التنقلات غير المدروسة للملاك التعليمي وعدم الاخذ بنظر الاعتبار التخطيط والعمل لمعالجة مسالة الفيض او النقص في الملاكات في بعض المدارس او المراكز التعليمية على حساب اخرى، أو ظهور ما يسمى (بالدوام الثنائي ) أو ( الدوام الثلاثي ) نظراً لقلة الابنية المدرسية بل وانعدامها تماماً في البعض من القرى والارياف، ادى لضيق الوقت ، وبالتالي صعوبة أنهاء المنهج

الدراسي وفي الوقت المقرر له، مما ينعكس سلباً على مستوى الطالب العلمي، فالكثير منهم يتخرجون بشهادات مرموقة ودرجات تقديرية جيدة ولربما عالية جداً ، لكنها لا تتناسب اطلاقاً مع الكم الضئيل لما تملكه عقولهم من ماده علمية رصينة والتي يُفترض أن يستطيع بموجبها القيام بما يتوجب عليه كمواطن يافع، وبدا ذلك جلياً من خلال الانطباع السلبي الذي تركه بعض الخريجين لدى الدوائر التي عملوا بها نتيجة لضعف المادة العلمية، وهنا تتحمل المدارس او الجامعات التي انخرطوا منها المسؤولية كاملة، ولربما هو الواقع ... فالتربية والتعليم كانت ولاتزال الدرجة الاولى في سلم التطور الحضاري، للإرتقاء بالأمة.

من خلال اكتشاف المواهب الشابة والاستفادة منها عن طريق صقلها بالشكل والوقت المناسبين ووفق أسس علمية رصينة ومبادئ مدروسة ابتداء بإختيار المنهج الصحيح والحث عليه وضرورة تعلمه منذ الصغر لإعداد جيل واعد وشعب مثقف الفكر عالي الهمم . يتأمل في هذا الوجود وفي هذه الحياة ، مغرقاً في التفكير عن سر خلق الله للإنسان والمخلوقات ، العقل الذي هو افضل ما في الإنسان ، لماذا مخدر هو ومحجوب عن الحياة المتطورة التي يعيشها غيرنا ، ترى الماء سيجف ربما يوماً ما والزراعة ربما ستضمر وتضمحل ، والعمل يتوقف والحياة تتعطل فكيف لي إن أحقق صحوة فكرية بالناس وأنتشلهم من واقع مرير يعانونه ، لكي ينظروا لأنفسهم وللعالم من حولهم ، حكومة انتهت بأن تسرق وتركت أمور الشعب إلى

المجهول فتترك لتضيع ، وقد سأل وعجب من الناس إذ يقول خبراء القانون : أقتل شعب لا يثور ولكن جوع شعب يثور والعراقيون هم شعبٌ جوع وقتل فعلامَ لا ينتفض ويثور لنفسه ، كلها اسئلة لا تجد إجابة ، ولعلها لن تجد ، فهذا واقع العراق بلد الفتن والاضطرابات ولم يكن بلد الثورة والثورات بمعناها الحقيقي ، فالثورة هي التغير الجذري في النظام ، أي استبداله بنظام آخر وليس تقليداً له ، أخذ حديث السياسة الليل كله حتى شارف الفجر أن يحل ويطرد الظلام حتى نهض وقد أرقه ذلك الحديث الذي تمجه النفس ولا تحبذه ، نهض لعله يجد لذة من النوم ولتكن ساعة أو بعضها لكن أبت عليه ليلته تلك إلاّ تزيد الطين بلّة وسلبته طعم الكرى ولذة النوم والإغفاء ، يذهب هنا ويجيء هناك ولا يعلم كيف تنتهي هذه الليلة ، عندما يتعب الجسد يحتاج إلى نوم لكي يعيد توازنه وتوازن نظامه ، لكي يمارس العمل بحيوية وديمومة دون إرهاق أو ملل ، ماهي إلاّ لحظات ويسمع صوت المؤذن يلهج بذكر الله ، قارئاً لبعض السور القصار التي في خاتمة القرآن الكريم حتى استرعت إنتباهه وحفزته على المضيّ إلى المسجد ، ليجد الراحة والسلام في بيت الله لينعم بالطمأنينية والصفاء الداخلي الذي ينتشل النفس من أي تعكر يعكرها ويغير من مزاجها ، فذهب مرتدياً ملابس رياضية مما يلبسه الشباب بعمره ، أهله نيام وإخوته في سابع حُلم غارقين وهو لم يذق طعم الرقاد لحظة ، مشى خطوات وقد دب النشاط في جسمه وأخذه أمل إنه سعيد بأنه سيصلي صلاة الصبح واجبة وفي المسجد ، إذن لهي نعمة عظيمة ، وصل إلى المسجد بعد قطعه مسافة تبعد مئة متر عن

منزلهم فوجد المسجد يخلو من الشباب ولعله لم يرَ أيّ أثر لهم فتمنى لو وجد رفيق له يصحبه إلى المسجد لينعما بالصفاء الروحي والقلبي معاً ، لكن جميعهم غارقٌ في نومه ولعل أكثرهم لا يصلي ! صلى ومعه خمسة اشخاص ولما انتهى سأله رجلٌ يدعى أبو رامي

– أحمد أيّ مرحلة وصلت الآن ؟

– امتحنت الوزاري ، واليوم ستعلن النتائج

– جميلٌ يا طيب الأصل ، أنت شاب تستحق كلَّ التقدير ولك مستقبل وأنا واثقٌ من هذا

– اتمنى أنا اكون مهندساً معمارياً ، يشيدُ ويرسم خرائط لبناء عراق أجمل من كل بقاع الأرض – لا تحلم كثيراً فبعض الأحيان الأحلام تضر ولا تنفع

– سأسعى لأساهم في نفع العراق بمد الجسور وبناء المستشفيات والمراكز الترفيهية والبنى التي تكون ألقاً في سماء العراق

– بني لديك رغبة وفي داخلها حماس بعون الله لن يضعف هذا الحماس وستحقق ما تصبو إليه وانا واثق من ذلك

– بعد ابتسامة طيبة يا رب يا عمي، فلقد مللت الانتظار ، وأريد ان أستلم الشهادة التي هي أملي لكي ألتحق بركب الجامعة

– ابتسم وقال : بعون الله

– ودع كل صاحبه ومضوا إلى بيوتهم ، أحمد رجع إلى البيت وقد وجد إن أهله بدأوا يفيقون من النوم ، لأن هذه الأيام هي أيام عملهم والجو يكون حاراً جداً فيجب أن ينهضوا مبكرين ليعودوا قبل أن تشتد الشمس من شدة توهجها وتزيد من حرارتها ، صبح على والده ، ورأى أمه وقد تهيأت للعمل وأخوته واخواته ينهضن وكأنهم في قاعدة عسكرية وعلى الجميع القيام للعمل ، أخذ مسحاته وارتدى حذاءاً بالية مرقعة من كل صوب ، وارتدى ملابس رثة وممزقة من هنا ومن هناك ، ومضى لا يلوي على شيء ، وصل إلى الأرض فخاطبها يا أرض إنا لي صبر كصبرك ولكني بدأت أنهار وخارت قواي ولم أعد اتحمل قسماً بمن خلقني ، وكأنه يريد أن يشكو ويود أن يجد من يسمع شكواه ويسمع صدى آلامه التي ما إنفكت تعصف به بين حين وآخر سالبة منه طعم ولذة العيش ، جميل أن ترى شاباً بالضمير الحي وبالروح النقية ،يخاطبُ جماداً لعله يجد عنده ضميراً يهفو او قلباً يخفق ، مشكلة أحمد أنه متمرد ولكنه يكتم في نفسه ويتحمل العذاب ويقطع الف مرة ولم يشكُ ولن يشكُ من أي ألم ، لجأ إلى الماء، ليروي به أرضه وجرى الماء بإنسياب وتدفق وأخذ مسحاته يقلب ويفتح المجرى هنا ويسد ذلك ، فالأرض تريد الماء وهي ظمأى إليه ، سقى أرضهم ومعه إخوته يعملون بكد وجد ، فأشفق على صغر سنهم ويراهم يعملون من فجر النهار حتى مغيب الشمس ، صباحهم في الأرض ومساءهم في رعي إبلهم حيثما تشبع يعودون بها إلى البيت ، ليعود القطيع شابعاً ومرتوياً بينما رعاته جوعى وبطونهم خاوية تتلوى من ألم الجوع ، أشفق عليهم وهو يرى أحوالهم وأمورهم

فدعاهم إلى جنبه وضمهم إليه وأخذ يداعبهم ويمرح معهم ويحكي لهم الطرف حتى رأى البهجة في محياهم ، ففرح لمنظرهم وأخذته سنة من الفرح بعدما رأى إخوته وحبهم له واحترامهم له ، الأخ الأكبر هو السند الذي يأوي إليه الإخوة وهو المحمل الذي يتحمل الصعاب والمحن ، واحمد كذلك هو نموذج اصيل بكل ما تحمل الكلمة من معنى فهو طالب مجد وكاسب متقن لعمله وماهر ، صباحاً في المدرسة تلميذاً مهذباً واجتماعي مرح مع باقي الطلاب ، وفي الظهر إلى أرضهم ليقوم بمساعدة إخوته الذي يتناوبون على العمل وحتى أخواته كن يعملن طوال النهار حتى يجن عليهن الليل وقد عملن الطعام وأعددنه ، ثم يذهبن إلى الفراش وقد أثر التعب والكد في أجسادهن حتى سلب التعب روعة وأناقة أجسادهن وجعل منهن شجرة أو كالشجرة اليابسة التي جفت ويبست ، هكذا هن نساء القرية يكون العمل شاقاً وعسيراً وكلفاً فيتحملن شدته ويخلدن إلى الصبر ، وتود نساء القرية إن تسمع كلمة تصدر برقة وعذوبة لكن أبت نفوس رجالات القرية إلاّ غلظة وعدم إكتراث ، المرأة في القرية قيمتها كقيمة البهيمة فهي تكد طوال النهار حتى يجن عليها الليل تتعب وتكد ولم تجد جزآء ولا شكورا ، قربت ساعة إعلان النتائج بوقتها ، أحمد يعمل في الأرض ويترقب الوقت وينتظر وصول رافد له لينبئه بالبشارة العظمى ، حان وقت الغداء فعاد والهموم بدت تساوره كعادة كل سنة قرب الإعلان تبدأ الشائعات إن نسبة النجاح منخفضة وإن الرسوب متفشي بين الطلاب ، هل يا ترى إنا منهم من أولئك الذين فشلوا أم سأجني ثمرات كدي وجهدي المظني ، أقبل العصر

وأعلنت النتائج وأحمد مع رافد عند صاحب الإنترنت ليبحث لهم عن نتائجهم فكتب أولاً رافد مطيري خزعل وأرفقه بأسم المدرسة فوجئ بأنه نجح لكن معدله ثمان وخمسون ! وهي الصدمة العظمى ليس لرافد فحسب بل لأحمد الذي يذوب وتخر قواه لسماع هكذا معدل ، دُهش رافد وأصابه ذعر ، قال لصاحب البحث أخي هذا ليس إنا ربما اشتباهً في إسمي فأنا أعرف إن أجوبتي وإن كانت ليست بالمستوى المطلوب الذي يقرب التسعين فهذا المعدل لا لا لا لن يكون لي ، احمد أترى الكارثة ، ما بين ذهول وحيرة أحمد حاول أن يخفف من وطأة الألم انتظر ربما هنالك خطأً ما ، ومن هول دهشة و خيبتهم بمعدل رافد نسوا البحث عن نتيجة أحمد حتى ذكرهم صاحب المحل وهل تريد أن أبحث عن معدلك ؟

احمد أوه لقد نسيت أني قدمت لمعرفة معدلي !

قال له : أنا معه بذات المدرسة ، فحرك مؤشر الماوس إلى حرف الهمزة فوجده إسم أحمد الخامس والعشرين بترتيب حرف الألف ، نطق فقال أريد البشارة ؟ أحمد قل لي كم المعدل ؟

لا أريد البشارة ، أحمد لك البشارة وهذا وعد

قال : مبارك يا احمد لقد نجحت ومعدلك ثلاثة وتسعون فألف ألف مبارك لك ولأهلك ، قال دعني أرى فأطمئن فرأى اسمه ودرجاته كلها فسجلها وحفظها فارتاح قلبه وقرّت عينه ، حقيقة إنك تستحق ذلك ومن صميم قلبي أبارك لك النجاح المتميز هذا ، فرح وغمرته

السعادة ومن فرط سروره إن ترك رافد وذهب مهرولاً لأهله ، ليبشرهم ولم يشعر بشيء وكلما مرّ عليه أحد دهش لما يراه منه ، فدخل إلى البيت مسرعاً أمي أمي ، لقد نجحت ومعدلي ثلاثة وتسعون فهللهت الأم وإستبشرت وزغردت أخواته وقبلنه وقبلهن ، فسأل إين أبي قالت في المضيف عند الشيخ قالت :اذهب إليه بشره بنجاحك ، قصد مضيف الشيخ كعادته مهرولاً كأنه طائرٌ محلقٌ في الفضاء وقد غمره الفرح وطغى عليه الأمل ، وصل إلى مضيف الشيخ ، فوجد جمعاً كبيراً وحشداً من الناس لكنه تجاهلهم وقال : السلام عليكم ، فلم ينتظر ردهم حتى قال : ابي لقد نجحت ومعدلي ثلاثة وتسعون ، طفحت موجات من الفرح والسرور على محيا ابيه ونهض من مجلسه نحو ابنه فأعطاه قبلةً فردها الابن فتعانقا معاً وبكى الأب ورد بالمثل الإبن وماهي إلاّ دموع تنهمل مع صمتٌ مفرح يتبعه سكون والعيون ترمق الأب وابنه فتركوهم ليكملا مشهد الفرح حتى يبادر الشيخ فيقول : أبا أحمد ألف مبروك لك ولأحمد هذا النجاح ومباركٌ لنا ، فأحمد هو ابننا وحبيبنا ، فمسح الأب دموعه وابتسم للجميع فقال أترخص منكم الآن وخرج ويده بيد ابنه فجعل الناس تتهامس عن هذا المشهد الذي يودون أن يعيشون مثله ، إنه مشهد يؤطر مساحة كبيرة من احترام الأبن لأبيه ويجسد مشاعر الأب نحو ابنه ، خرجا معاً يسيران على عجل والصمت يسودهما لكن كلمات القلب لم تسكت ولم تقف ، بل بقيت تردد صداها عليهم فطغت على حديث اللسان ، فوصلا إلى البيت فزغردت أم أحمد بوجههم ، فقابلها أبا أحمد بوجه مبتسم وبعيون تنهمل دموع ، لمَ البكاء ؟

إنها دموع الفرح !

نعم . فقد أثلج صدورنا وأفرح قلوبنا ونثر الحياة فينا هذا اليوم ، بعون الله ستكون كل أيامنا أفراحاً ومسرات، فأحمد عازمٌ على بث الحياة فينا وهو قد أقر عيوننا به ، والآن ننتظر فرحتنا بزواجه !

-زواج !

-نعم ، قالت وكلها فرح وغبطة بإبنها

لا يا أمي أريد أن أكمل الدراسة وبعدها نلجأ إلى الزواج ، أرادت أن تحاججه لكنها اكتفت بأن قالت إن شاء الله ، أقبل الليل ، وأحمد لا يعرف من النهار شيء فهو مشغولٌ بنجاحه وبقُرب حُلمه الذي انتظره طويلاً ، وجلس في سطح الدار وحيداً متأملاً ، بأن الحياة بدأت تنظر له وتستجيب لطموحاته ، وإن له مستقبلاً ينتظره ولربما عشق قد طال انتظاره طويلاً وطويلاً جداً ، متى سيفتح التقديم للجامعة ومتى سأقبل في الجامعة ومتى سأدخلها ومتى وكيف ولمَ وماذا هي اسأله طرحها على نفسه وظل يجاوب عنها ، ولم يهتدِ إلى رشده إلاّ على صوت أمه وهي تدعوه لتناول العشاء فقد حضر الجميع ، إنتبه ونزل مبتسماً مشرق الوجه ضاحك الثغر ، تقربه أمه لها وتقول هنا بجنبي يا قرة العين وثمرة الفؤاد ورفعة الرأس ، قبل يدها وردت القبلة بأن لثمت جبهته تقبيلاً واحتضنته وطغت مشاعر الأمومة عليها وهم على مائدة العشاء والجميع ينظر إلى هذه العلاقة الحميمية بين أم وضناها ، أكمل عشاءه ، وأرادت أمه أن تعطيه الشاي لكنه أنبأها بأنه سيذهب إلى

بيت صديقه رافد ويشربه هناك حيث جلسة السمر التي ستطول اليوم ، لأنها ستطعم بأحلام واقعية وطموح على وشك أن يتحقق ، مشى خطواته الأولى وإذ بأمه تقول لأخته صبي الماء وراء أخيك فهو نظر العين وأخشى عليه من الحسد والعين التي تسوؤه ، خرج من البيت يسير على ضفتي الشط ، وكأنه يردد أبيات للجواهري ويختمها بمعروف الرصافي ويأخذه الطرب في الشعر كل مأخذ فتذوب نفسه في تيار فؤاده الذي ينتظر حبيبة ليعرب لها عن مكنون هذا القلب الذي كله صفاء ونقاء مطعم بأصالة وممزوج بطهارة ، وصل إلى بيت رافد ، فطرقَ البابَ ، فخرجت أمه واجمة عبوسة مقطبٌ حاجبها عليها أمارات السخط واللؤم والخيبة .

- السلام عليكم

- جئت لتشمت ؟

- ماذا ؟!

- لأنك نجحت ومعدلك ثلاثة وتسعون !

- ماذا تقولين !

- تفهم ؟

- يا أم رافد والله إني ساخط على الحظ والظرف الذي جعل رافد يحصل على هكذا معدل ، لكن .

- ماذا ؟

بإمكانه أن يعيد العام هذا ويستأنفه ويبدأ في العام الجديد على أن يشد العزم ويواصل القراءة ويترك اللعب والمرح والعمل ،

- ابتسمت باستهزاء ، لذة النجاح سلبت منك حتى الأدب

- لماذا هكذا تقولين ؟ وأنتِ تعرفين أصلي وأهلي وحبي لكم ولصديقي رافد ، لمَ تبدين عليّ أمارات اللؤم والحقد وكأنني أنا السبب.

- نعم أنت السبب

- ماذا !

- أي والله أنت السبب !

- بذهول وصدمة وحيرة واضطراب كيف ؟

- لأنكما صديقان وقرأتم معاً ، ولعبتم معاً وقضيتم العام الدراسي معاً لماذا أخفق أبني وتفوقت أنت !

هنا أصابه الدوار مما سمع وأراد أن يعود أدراجه ، لكن أبت نفسه الطيبة وروحه الأصيلة حتى السؤال عن صديقة ورفيقه رافد ، قال لها : وأين رافد الآن ؟

– هناك بغرفتي كالنساء يخفي خيبته ليضم به انتكاسته ، لعنة الله على اليوم الذي دخل بـه المدرسـة ، فهـو فاشـلٌ وغـبي مـا شـأنه وشـأن المدرسة ؟ كلماتها تشي وكأنه تحت لسانها شيطان يلقنهـا الكـلام المسموم الذي فاق الرقطاء بدرجة سميته ، دلـف إلى حجرتـه وفـتح الباب فوجده محمر العين من البكاء وذبل الشفاه وخمص البطن ،

– أخي رافد ، ماذا بك ؟ وأنتَ الشاب الذي كل شباب قريتنا تخشاه ، وأنت الرجل الذي يتحمل مصائب الدهر وشتى نوائبـه مـا بـك يـا عزيزي ؟

لا كلام ولا حتى ببنت شفه ، أمعقولٌ يـذوب أقـوى الرجـال هكـذا ويبدو ضعيفاً لا حراك ولا نطق ، رافد، قسماً قسـمَ همـي كلـه لـك وألمي عليك، فأني مكسور الجناح ولم أهنئ بلذة نجـاحي ، لأنـك هكذا مغمـوم مهمـوم ، عزيـزي وأخـي فهـذه الإنتكاسـة بإمكانـك علاجها ، تستطيع إن تعيد العام الدراسـي وتطلـب تحسـين المعـدل وستنجح وتأخذ الطبية بعون الله تعالى ، مازال الصـمت هـو كـل مـا يفعله رافد ولكن بدت روحه تود إن تعبر عن طاقة ورغبة في الكلام ، لكنه مازال محتاجاً لكلمات تزيده إثاره وتلـهب الشـعور في داخلـه لكي ينطق فيريح نفسه ويخفف عن كاهله هـذا الهـم الـذي لحقـه ، تمتم رافد ، وكأنـه يريـد أن يبـوح بكلمـة مـا ولعلـها نقطـة انفجـار الكلمات التي ستطلق بوجه احمد وعلى احمـد أن يتحملـها ، ابتـدأ رافد أولى كلماته والتي تنم عن نفس مريضة وذات طابع أناني : جئت لتشمت ؟

احمد : لا ألوم أمك إذن إذا كنت أنت صديق عمري وتقول هكذا !

وبدأت كلماته تخرج كأنها رصاص من يد رجل حقود بداخله نار مستعرة ، فهو من ناحية متبرم من خيبته ومن ناحية من تعيير وتأنيب أمه له وعدم شعوره بالمنعة لكي يقاوم لسع كلماتها الجارحة ، سأخرج الآن ، لكي تأخذ قسطك من الراحة ، ولكي تهدأ من أعصابك ولا تعود تجرح صديقك

أفضل ألاّ تأتي إلى البيت ، لانّ أمي إذا رأتك فستموت حنقاً وغيضاً عليك ، اذهب يا احمد واتمنى إن يكون آخر لقاء هذا ! تعجب أحمد من هذه الكلمات التي ألمت بنفسه حقاً وجعلته ينصدم بواقع صديقه ورفيق دربه طوال هذا العمر ، لكنه مجروح الآن ومأنب الضمير سأتركه وأعود إليه لاحقاً علّه سيهدأ ويرتاح ويقنع نفسه بما آل إليه مصيره ، خرج أحمد ، والهموم تساوره ليس فقط لما سمعه من كلام قاسٍ بل لما يعاني منه صديقه رافد ، فهو يعاني من أزمة نفسية دمرت كل قواه وجعلته فريسة للهموم ولتأنيب أمه وسخطها ، فكر وهو راجع إلى بيته أن يجد حلاً لحل مشكلة صديقه وحبيبه ورفيق العمر من الصغر حتى مرحلة شبابهم معاً فكانا معاً على الدوام ولم يفترقا قط ، يمشي الهوينا على حافة الشط وإذ بروائح النسيم تقبل عليه وبهواء معطر بأريج يدخل أنفه فيستنشقه برحابة صدر ، وهنا قرر أن يجلس للحظات أمام هدوء الشط وسهولة انسيابيته ، جلس والوقت في التاسعة مساءاً، جلس وأعطى وجهه لهذا الماء ورأى إنه يسير ولن يتوقف ولن يرجع إلى الوراء بحركته العفوية ، قرر إن الحياة تشبه هذا

الشط ، فهي متجه دوماً نحو الأمام ، فلماذا لا نساير تقدمها ونسير معها ؟ قرر إنه سيركب بموجة الحضارة متوجها شطر قبلة العلم ، وأخذته غفوة بسيطة ، لأنه لم ينم البارحة ، إذ رأى في حُلمه ، كأنّ الناس مجتمعين بالمئات وينادون بإسمه أن أحمد هو الطالب الأول على قسم الهندسة المعمارية وسيرسل لأوربا لإكمال دراسته في فرنسا على نفقة الدولة ، وسيكون نجماً لامعاً يحلق في السماء العراقية ونوراً لامعاً ينير قريته في أشد عتمة تمر بها ، إنها عتمة الجهل والتخلف الذي هو طابعها العام ، والعجيب إن القرية ترى بأحمد فتىً طيباً لكنه متمرد على تراث الآباء والأجداد ولن نسمح لطارئ ما أن ينتقد تراثنا وتراث آبائنا الأوائل ، فأحمد حتى بأحلامه يود صلاح قريته وإنتشالها من الركود والخنوع لهيمنة الجهل المتفشي فيهم ، اغفاءهُ وحُلم بسيط تمنى أن يطول لكنه سرعان ما استيقظ منه ضاحكاً للدنيا وإذ به ينهض ويعود ماشياً ببطء وكأنه يريد أن يتمتع بقسط وافر من هذه القرية الجميلة التي هي أصله وجذره الذي انحدر منه ونما واشتد عوده حتى درج لمراحل شبابه الأولى ، قريتي الجميلة شكراً لكِ وإني سأشتاق لكِ دوماً ، فلا أنسى لسع الذباب في الصيف ولن أنسى برد الشتاء ، ولكنكِ حنونة ، طيبة ، أصيلة ، وسأذكر طيبتك لكل الأقران وأعدد مآثركِ عليّ وفضلكِ ، هنا كنت ألعب مع صديقي رافد بصحبة جمعٌ من أبناء جيراننا وأبناء عمومتي ، وهناك كانت مدرستي ، وذاك المكان الذي كنت أجلس عنده أنا ورافد نتسامر أطراف الحديث وهناك كنت أذهب لأرضنا لأعمل وأكد معي أبي وإخوتي ، وهناك وهناك وهناك أخذ يعدد أسماء الأماكن

التي هي محفورة بدماغه والتي له بها ذكريات جميلة ولن تنسى مهما دار الزمان وانقلب الحدثان ، يخاطب نفسه وكأنه لن يعود إلى هذا المكان بعد حين ، تراه يطيل التأمل ليحفظ الأماكن وصورتها لتطبع بعقله الباطن ، وصل إلى البيت ، وكانت الساعة تشير إلى منتصف الليل ، افترش فراشه وتوسد وماهي إلاّ إن وضع رأسه على الوسادة حتى أخذته إغفائه سريعة ليذهب بعدها إلى أحلامه التي لازمته مصبحاً وممسياً ، نام وغرق في نومه ولما أفاق أهله في الصباح لم تقبل أمه من أحد أن يدعوه إلى العمل وقالت دعوه يرتاح فقريباً سيذهب إلى الجامعة ، نام وكأنه لم ينم لأكثر من اسبوع أو شهر ، فلم يستيقظ حتى أقبل الظهر ، أفاق ويخال نفسه إنه في السادسة صباحاً ، نظر من حوله فلم يجد إخوته ممدين غارقين بأحلامهم وعبثهم وشخيرهم ، نهض وإذ بأمه تستقبله يسعد صباحك يا نور العين ، يسعد صباحك أمي ، قالت له تركناك لترتاح ، فأنتَ منهك ليومين لم تذق طعم النوم ، صدقتي والله ، فإني نمت نوماً لم أنم بمثله قط فأشعر براحة جسدي وفتور الاضطراب الذي يراودني ، غسل وجهه ونظر في المرآة فقال : سيتغير شكلي ربما قريباً وسأكون شاباً حضرياً ، ابتسم لنفسه ورجع إلى غرفته ليغير ملبسه ، فارتدى ثيابه ، وخاطب أمه إنه جائع وبطنه تصيح من ألم الجوع ، فعملت له وأقبلت بيديها النحيلتين ووضعت له الطعام وأخذت تشارك ابنها ، لتفتح شهيته للطعام وأخذت تأخذ قطعة الخبز لتغمسها وتضعها في فمه وهو يشرح لها ما يطمح له.

- أتمنى أن تعجل الوزارة بإطلاق حدود الدنيا

– وما حدود الدنيا ؟

– هذه استمارة قبولي في الجامعة

– يا رب تعجل الوزارة في ذلك لكي تريح قلبك يا بلسم فؤادي

ابتسم لها ووعدها بأن سيكون أبنها ناراً على علم بتفوقه ونبوغه ، فينال إعجاب الفتيات هناك ! ضحكت ضحكة قوية والتي ستكون الحبيبة إحداهن ! لم ينبس ببنت شفة إلاّ ابتسامة تشي بأمنية هل سيحدث هذا حقاً؟ هل سأقع في قصة عشقٍ ما ؟ هل سأحُب ؟ ولمَ لا، فأنت شاب تملك الأصالة والطهارة والشرف والغيرة وألآف النساء تتمنى الاقتران بك ، فأنت مفخرة القرية يا حبيب أمك ، أكمل غداءه ونهض فاغتسل ولجأ إلى مكتبته ليقرأ وليكتب ، فهو يشتهي الكتابة اليوم وبشكل مثير حقاً فبدت تنكشف له الحياة عن جمالها ، حقاً إنّ الحزن ليس ما حاولنا ولكن ما نراه نحن ، فبإمكاننا أن نرى الحزن فرحاً والفرح حزناً حسب درجة وعينا بتغلب أحدهم على الآخر ، وغالباً ما يكون الحزن ردة فعلنا الطبيعية لأي حادثة تدعوا إلى ذلك ولكن الفرح عندما يقبل فأنه تزول به كل الهموم ، أمسك كتاب الكشكول للبهائي وراح يتصفح ويتصفح فأعجب بأسلوبه في الكتابة ، الكتاب خليط غير متجانس ، فإنك تجد الحكمة والموعظة والطرفة والشعر والنثر وكلها مما يضفي على القارئ حُب الكتاب وعدم السأم أو الضجر من محتواه ، وعندما أعترضه التعب أمسك قلمه وبيده دفتراً اشتراه قبل شهر وتمنى أن يملأه ذكريات وقصص ، لكن

ها قد حان وقت الكتابة ، فتح الدفتر فوجـده حقـاً مغـري للكتابـة ، كتب في أعلى صفحته الأولى ، متى يا حُب ستقبل إليّ ؟

متى يا حُب ستنير حياتي ؟

متى يا حُب أجد طعم الحياة بك ؟

ثلاثة أسئلة وكلها بذات المعنى ، فهو يشتهي الحُب ليعـيش ، وإنـه يريد الحياة بمعناها ، فالحُبَ هو المعنى الحقيقي للحياة الـتي خُلقنـا نحن البشر لها ، ومن لم يحُب يوماً في حياته فلا يقل عن نفسه إنسان ذو مشاعر ، فالإنسانية هي الحُب ،،، الحُب لا غير

أن تحب كل الناس ، كل الحيوانات ، كل الجماد ، كـل الوجـود ، وإنك إن فعلتها فحقاً إنك لإنسان وأحلـى وأعـذب إنسـان ، وأخـذ يكتب ويكتب ما شاء الله ، حتى تجاوز أحَد عشَر صفحة فيما كتب ، ولم ينتبه لنفسه بما كتب ولم يَشكُ من إعياء ولا ملـل ، بـل بمرونـة وانسيابية وطلاوة تود المزيد ، سؤالٌ سأله لنفسه ، ومن هي الحبيبـة التي تكتب لها وترسم ملامحهـا في مخيلتـك ، وهـل سـتعرف هـي بحبك وهل ستدرك كم عانيت في سبيلها ، ردّ على نفسـه لا ، بـل عانيت في سبيل الحُب ليس لها ، جميل إنك تقدس الحُب أكثـر مـن الحبيبة ، نعم ، لأنّ الحبيبة شيء لا أعرفه الآن وإن عرفتـه ، فـأني مـا زلت أجهله ، وأنا أريد أن أحب الأشياء التي أعرفها لا التي أجهلها ! سأعيش لأحب وأحب لأعيش ، عبارة كتبها وجعل يرنو إليها حتـى ذابت نفسه بها وجعلت هذه الجملة تزيـد مـن لهيـب العشـق عنـده

وتزيد من جدوة الغرام في نفسه ، فقد ذابت نفسه بالحب وأمسى الفتى عاشقاً ولهانا ، هكذا يكون العشق جميل حتى بعدم وجود حبيب ؟ إنه شيء مثير حقاً ،

ما أجمل الحُب !

ما أطهر الحُب !

ما أعذب الحُب !

نسيَ نفسه وتاه في متاهات الحُب ، وهل للحُب متاهة ؟ بل هو ربُ المتاهات أجمعها ، فحالما تدخل به يحسبُك الناس غريباً أو هكذا تبدو لهم ولنفسك أيضاً ، ما أجمل الحُب ، فلولا جماله واحتياج الإنسانية له لما وجدت أناساً يخلقون عالماً افتراضياً يصنعونه بأيديهم ليعيشوا قصة عشقٍ وأن تكن وهمية أو من صنع الخيال ، لم ينتبه حتى طرق الباب عليه طرقاً خفيفاً فأنتبه وتمنى أن لم يطرق هذا الباب عليه ، وجد أخته تدعوه ليساعدها في حمل ينقله من هنا إلى هناك ، لكنه ما زال غارقاً بحُلمه الجميل ولن يريد أن يصحو منه ، أهل الحُب سكارى على الدوام ، فهم قد أسرهم الهوى وذابت نفوسهم بالغرام .

# الفصل الثاني

# المدينة

هناك في القلب من العراق ، حيث النبض الحساس ، وحيث الزهرة المتفتحة ، وحيث الجمال كل الجمال ، حيث الحُب ، ونعني به بغداد ، المدينة التي لعبت دوراً حضارياً عالمياً منذ أنشأت وتكونت مدينة ، فهي مدينة شمولية عالمية تحضرت وتمدنت وأمست وهي ملاذ العلماء ومقصد الأدباء وملجأ النوابغ الذين لم يجدوا المنزلة المرموقة في مجتمعاتهم ، قصدها طلاب المعرفة من حدبٍ وصوب وأمُها الناس من كل الأمم ينتهلون من علومها ومن معارفها ، فهي الأم الرؤوم التي تملك المشاعر المرهفة والعواطف الجامحة التي تترك أثرها على أبنائها وحتى الغرباء عنها ، هي بغداد واكرم ببغداد ، تستقبل كل يوم حبيباً لكنها ليست بعاهر ، فهي اشرف واطهر من اي خزي ، إنها مدينة السلام والحُب والحنان ، وبقرب مقهى يدعى الكرادة الشرقية على بعد ثلاثمائة خطوة يقع بيت المحامي محسن عبد الرحمن والد كل من مصطفى وكمال وعمر وندى ، وبيتهم بمساحة مئتي متر مربع وذو طابقين ، في الطابق الأول مطبخ ومكان للضيوف وصالة وممر وفي مقدمة البيت ، حديقة خضراء جميلة تسلب لب المارة ، ولدى ندى غرفة في الطابق السفلي صغيرة تطل على شباك من خلف البيت ، وينام إخوتها الثلاثة في الطابق الاعلى حيث مخصصة لكل منهم غرفة له ، أخوها الأكبر مصطفى متزوج ولديه ولد وبنت ودوماً تمرح وتلعب معهم ندى وكانوا هم سلوتها ومدعاة سرورها وبهجتها ، فكثيراً ما أقبلت أمهم إلى ندى وتعطيها ولديها لكي يجدا الحنان والعطف والرفق والمداعبة ، فتنيم أولاد

أخيها على وسادتها محتضنة إياهم حتى يناما وهما فرحين ، ندى هي البنت الوحيدة والصغيرة إذن الحنان لها مضاعف ، والحُب أضعاف ، فقد ملكت مشاعر الأب والأم وملكت قلوب إخوتها وعطفهم وأمست وهي الأميرة المدللة التي لا يرفض لها طلب ولا تهضم ، ندى قررت إن تدخل دورات تقوية ، لأن السادس العلمي هو الدرجة التي تكون مفترق طرق في كل المجالات ، وحُلم ندى الصيدلة وكانت دوماً تعشق ان يناديها أهلها أين الصيدلانية ندى ،،، أين الصيدلانية ندى ، وكانت هذه الكلمة هي من أكثر الكلمات التي تثير حفيظتها وتغير من مزاجها وتجعلها في دعة وأمن وأمل ، دخلت في مادتين كانت تشعر بضعف فيهما ، وهي مادة الكيمياء ، الرياضيات وكانت دوماً تكره هاتين المادتين ولم تطقهما أبداً، فقررت إن تدخل عند أستاذ لكي تتجنب الرسوب أو المعدل الضعيف ، الذي يغير مجموعها ويجعلها لن تحصل على الصيدلة ، وكانت صديقتها ساره قد دخلت في ستة مواد ورؤى في خمسة وأحلام في أربعة ونادية في سبعة مواد بحجة تريد أن يلزمها الأساتذة ويقيدون حركتها لكي تتهيأ وتكون دوماً مستعدة للامتحان ، كانت تسخر وتنصح ، أن هذه البادرة خطأ ولن تستطيع التوفيق بين كل هذه الدروس ، لكن من هذه التي تعي وتفهم ما تنطق به أميرة البنات ندى ! كعادتهن بنات المدينة ينشغلنّ بترتيب وتنسيق ملابسهن والخروج بأجمل صورة ، وأبهى منظر ، ويمشينّ بغنج وبتمهل لكي تعتصر وتذوب قلوب الفتيان في الطريق ، فبعض البنات ، يجب أن تكون في السجن ، لأنها كم سلبت قلب فتىً و كم اذابت قلب فتى متيم يود أن يحظى بحب

إحدى تلك الفتيات التي ستغير مجرى حياته بالكامل ، نـدى كلـها تشاط وحيوية وكلها حركة ، فهي داخل البيت لن تفتر ولن تركن إلى السكون والدعة ، فهي اللسان المرح ، والنبض الذي يبث الحياة في هذا البيت ، أبوها رجلٌ محامي ودوماً مستاء من الحياة ، لأنـه يـرى المشاكل ويرى الباطل ويرى و يرى وكلها ألمـت بنفسـه وجعلتهـا تنحو منحى أخر ، فله طابعٌ مزاجي تراه اليوم مبتسماً وتراه غداً عبوساً ، فهو ذو مزاج متقلب ولعل وصف أم ندى له دقيق ، أي إنـه مـؤمن الرضا كافر الغضب ، لكنه حنون ولديه قلب ولديه المشاعر الفياضة تجاه الجميع وبالأخص عائلته ، فهو يرى الحياة بهم ، ويرى السعادة عندهم ، ويرى البهجة في محياهم، ويستلهم القوة والتجلد مـنهم ، فهم عينيه وقلبه ، وأم ندى ربة بيت لا تعرف من دنياها غير الغسـيل والطبيخ وتجيد الثرثرة في الكلام كعادة النساء

غداً على ندى أن تذهب إلى المحاضرة الأولى في مادة الرياضـيات في الساعة التاسعة صباحاً مع صديقتها ساره ، أكملت عشاءها ولكنها لم تذهب إلى غسل الموائد والصحون كعادتهـا يوميـاً ، بـل لجـأت إلى غرفتها وأمسكت بدفترها الذي كثيراً ما أفضت إليه وكثيراً ما أسرته بأسرار لم يعرف عنها أحد ، وكتبت وكانت بحاجة إلى الإفصاح عن محيط من الكلمات التي تجيش في قلبها فتتزاحم في فمها فتسجلها في مذكراتها والتي أغلبها خواطر وليست بمذكرات ، فعمرها أقرب إلى كتابـة الخـاطرة والغـزل لا إلى الولـوج في دوامـة الحيـاة وصـخبها

وضجيجها الذي لا ينقطع ، أمسكت قلمها وأخذت تسترسل في الكتابة وخطت بكلمة واحدة وقالت غداً ،،، غداً ،،،

ماذا يعني غداً سوى إنه يوم سيأتي بعد اليوم متكون من صبح وضحى وظهر وعصر ومغرب وليل ، أي لن يختلف عن سابق الأيام في شيء ! لكنه يختلف طبعاً فما يحمله الغد ربما مصدر تعاسة لي أو مصدر فرح يسود معظم سنين عمري ، ماذا سأكون عليه غداً ، هل سأكمل دراستي وأتزوج وأنجب أطفال وأربي أولئك الأطفال ثم أهرم وتقبل ايامي الأخيرة ، فألج عالماً أخر وهكذا تنتهي مسيرة حياتي وكأني لا شيء ... لا ، لن يكون هذا ، قالتها بعزم وبشجب لا وأمدت الكلمة ولحنتها لحناً بغضب لن أكون شيئاً تافهاً سخيفاً ، بل سأكون محط إعجاب وتقدير الجميع وسأكون سبيلاً أو يداً في النهوض والرقي في ثقافة ووعي صديقاتي وأجعلهن مثلي تحلم أحدهن لكي تباشر بتحقيق هذا الحلم ولكي تعيش في كبرياء الملوك ولا تكون عبارة عن جيب جنسي لا اكثر ، قالت : سأكون وأسعى لكي أساهم في تأسيس مؤسسة تعنى بشؤون المرأة ، فالمرأة العراقية قد عانت ومنذ الأزل إرهاصات وذل ومهانة من الرجل حتى هبطت منزلتها عنده ، وكل الرسالات السماوية أعربت إن لا فرق بين الجنسين ، ويصر الرجل على أفضليته وترجيح كفته عليها ، فبقيت لا تعرف من دنياها سوى كيف تغسل الملابس وكيف تطهي الطعام وماهي أشهى وألذ الأكلات عندها ، هذه فقط لا غير مما يشغل المرأة ، قررت أن يكون لها رأيٌ في كل شيء ولها شخصية وكرامة محفوظة ، هذا ما كتبته

ولكنها لم تكتفِ ، بل ذهبت هناك أو لعلها لم تبتعد ، بل لامست الشغاف من القلب وكتبت كلمة واحدة لا أكثر ، وهي ... الحُب ...

كل البنات تود أن تقترن بحبيب يأتي به الحُب لا الظرف ولا الأهل ولا الجيران ولا المعارف والاصدقاء ، لأنّ القلب عندما يأتي بأحد فهو مؤتمن وصادق بأن مضيّ الحياة معه لجميل وجميل جداً ، هنا إسترسلت بأفكارها ولعلها مهيئه لتكتب بما يجول في قلبها ، فلم تكتب عن الحب مسبقاً ولكنها اليوم أستاذٌ في العشق وكلام الغرام ، قالت هل سأعيش قصة حُبٍ ؟ وابتسم ثغرها وواصلت هل سأقع في قصة عشقٍ ما ؟ يا رباه انت فقط من يعرف بمستقبلي وأود أن أعرف ، هل ستشهد حياتي فارساً لأحلامي يغير حياتي كلها وأقع في قلبه وأسيطر عليه ويكون أسيراً لي وأسيرةً له ! ونعيش الحياة بالحُب أو تكون الحياة هي الحُب كل الحُب ، فجأه انتبهت إلى نفسها وقالت آه ماذا كتبت ! وأي سُخف هذا ! لا لا لا تقولي عن كلام الحب سُخفاً ، بل ما عداه هو السُخف والهُراء الكاذب ، فما أطهر الحُب وما أعذب كلماته وما أطيب وقعها في النفوس وأجلاها للقلوب ، وقد أقبل عليها النعاس ، وأخذ يدُب إليها ويقصدها فسرعان ما استسلمت إليه ، وأخذها النوم فنامت كطير محلقاً في السماء ، أي كعصفورة هامت في متاهات الفضاء أو كوردة ناعمة إتكأت على وردة فنامت ، نامت وبيديها القلم وعلى صدرها ذلك الدفتر الذي ذهب بها أيما مذهب ، فهي بنت قد تكون في قمة المراهقة والعنفوان الجامح ،

فَهي إنسان يود أن يرى الحُب حتى وإن كـان في الأحـلام والأوهـام والخيالات ، نامت نومة الملاك أو لعلها ملاك بشري ، فهي الأمـيرة المحبوبة والصديقة الوفية الطيبة ، نامت نومتها ولـم تنم بمثلها قـط ، فقد رأت من الأحلام ما جعلها تود أن تبقى نائمة لشهر أو لعام كامل أو لعمر كامل، في تمام الثامنة صباحاً أقبلت إليها أمهـا لكـي تناديهـا للإفطار معهم ، وقالت نداوي يا حبيبتي أفيقي فقد حان وقت الظهر ، أفاقت بضجر وودت لو بقيت نائمة

صباحك ورد يا وردة البيت

صباح الخير ماما ، قالتها وهي ما بين تثاؤب ونعـاس وفتـور أزالـت الغطاء عنها فوجدت بيديها قلمها وعلى صدرها ذلك السجل الـذي أخذها كل مأخذ .

قالت أمها : لمَ هذا السجل على صدركِ طوال الليل قالت : لقد نسيته ونمت ولم أكد أشعر بشيء جلست على فراشها مبتسـمة لأحلامهـا وما عاشته في هذه الليلة من حياة ولعلها لو استمرت لكانت هي الآن متزوجة ولديها أطفال ، لكنه الليل ها قد انتهى وأقبل النهـار وقريبـاً سيقبل الضحى يتبعه الظهر . غسلت وجهها ويديها ثـم اقبلـت نحـو أبيها مصبحة عليه بأعذب صباح وهو : صباحك خير بابا

– صباح خيرات يا روح بابا

–لمَ هذا الكسل يا نداوي ؟

– لا أعرف ، لكني عشت أحلاماً كثيرة هذه الليلة ولعلـي لم أنم ولا لحظة ، فقد عايشت أحلاماً كثيرة وما أجملها .

– مبتسماً وهل من بينها ما لامس الفؤاد أو اقترب منه ؟

– أطرقت برأسها حياءاً ،  فردت أمها بدلاً عنها وهل غير الفـؤاد مـا يفكر به بنات هذه الأيام ! ابتسمت نـدى ولم تجـب ، قـال أبوهـا : اتمنى أن تكوني كما تحبين أن تكوني وأن يقبـل إليـك مـن يجعلـك أميرةً له ، أنا لا أريد سوى رجلٍ يسـعدك ويـريح بالـك ويجعلـك في سعادة على الدوام ، ولكن ندى لم تجـب ولم تجـادل ، بـل اكتفـت بالسكوت الذي يدل على حيائها ورضاها بما يقوله الأب ، تناولـت إفطارها وهي فرحة ، فأسرعت إن ارتدت ثيابها وخرجت فرآها أبوها وقال تبارك الله في هـذا المـلاك الـذي هـو السـعادة والبهجـة لـي مـا أجملكِ وما أحلاكِ يا قرة العين ،

ردت أمها من المطبخ ، هذا من الذي يخونني ويتغزل بغيري ،

– ردت ندى هذا زوجك يتحرش بي ويتغزل بجمالي !

أقبلت أمها غاضبة على خيانة زوجها وقالت له ما أجرأك أنت في بيتي وتخونني ! ابتسمت ندى وأخذ الأب يبرر موقفه ، بأنها ابنته ولكـن الأم لم تقتنع وقالت له كلمات الغزل والحُب لن تقال إلاّ لـي حصـراً مهما يكن ، فأخذ يسترضيها ويداعبها ويقول لها : إنها وإنها وانهـا معلناً لها إنه يحُبها ويموت في غرامها ويعشق طلتها ومتلهف لروحها

وشغوف بكلامها ، حتى رضيت فتعانق الزوجان أو العاشقان اللذان مضى على زواجهما ، أكثر من سبعة وعشرين عاماً وهم بذات الحُب وبذات العشق ، وبذات الغرام ، كلّ يذوب بصاحبه ، رأت وتمنت لو وجدت قصة حُب كهذه وولع بالآخر كأبيها وأمها ،

خرجت مرتديةً قميصاً نيلياً ، وتنورة سوداء وحذاءاً أبيض سبورت وحجابها أبيض مطعم بنقط سوداء وركبت سيارة ابيها ، لكي يوصلها إلى محاضرتها الأولى في مادة الرياضيات ، فأوصلها الأب إلى المحاضرة وذهب على أن تتصل به حالما تكمل أو تعود مع صديقتها ، دخلت وقد رأت مجموعة من صديقاتها وبعضهن غريبات ، فأخذن يلمحنها بعين كأنها سهام ، فهي جميلة المنظر ، أنيقة القوام ، بيضاء الشكل ، حلوة الملامح وعذبة الحديث ، لها عينان تسحر بها كل الرجال ولها نظرة تقطر حُب وتنشر محبة ، فوجدت صديقتها ساره سلمت عليها فتعانقت كلتاهما ، فكل واحدة مشتاقة ، وبلهفة إلى الأخرى ، ونظرات باقي البنات تقطر شزراً ، فدخل أستاذ المادة وكان كبير العمر يقارب الخمسين ذو شعر ابيض بالكامل وبدون لحية ومتخم نوعاً ما يميل إلى الدعابة ، سرعان ما بدأ يتعرف على البنات الواحدة تلو الأخرى حتى وصل الدور إلى ندى فردت عليه أسمها فوقف عندها مبتسما انتِ جميلة وأنيقة ولك كل المستقبل أيتها الوجه البريء ، لم تأخذ كلماته على إنها سم ورذالة من شخصه ، لأنها لم تعرف إلا التربية والخلق الطيب والنبل ، فما عرفت إن مشاعره تجاهها كانت تشير نحو الرذيلة ، فهي تنظر إليه وكأنه أبوها

وهو ينظر إليها وكأنها عاهر يـود إلتهامهـا والنيـل منهـا لكـي يشـبع غريزته الشيطانية التي طغت عليه ، وأخذت نظراته وكلماته لم تعبرها وكلما التفت إلى الطالبات وجـه نظـره صـوب نـدى ويسـألها لكـي يجذب انتباهها نحو اهتمامه بها ، ولم تشعر تلك البريئة برذالة خُلقه وخسة أخلاقه ، فأكمل المحاضـرة الأولى وقـال مودعـاً الطالبـات : لكنه خص ندى بتحية جلبت الأنظار نحوها وقال مع السلامة يا وردة البنات ، فأثارت حفيظة البنات تلك الكلمة وجعلت احداهن تنظر إلى ندى بعين حاقدة خبيثة ، فقال لنـدى : مـن سـيعود بـك إلى البيـت ، سأتصل بأبي وإلاّ سـأذهب مـع سـاره ، نأخـذ سـيارة أجـرة فبيوتنـا متقاربة ، تريد ان تتصل ندى بوالدها لتقول له إنها ستعود مع ساره ، لكنه سرعان ما بادرها بأنه سيوصلها إلى البيت وليس لديـه أي عمـل وفي طريقه يقع بيت ندى ، صـعدت معـه نـدى وسـاره بكـل بـراءة وعفوية وشفافية ، لكنه أحب أن يوصل ساره أولاً لكي ينفرد بنـدى وليبدأ شيطان افكـاره يلهمـه الكـلام الرذيـل ، نزلـت سـاره مودعـاً أستاذها وصديقتها وبقيت ندى في المقعد الخلفي واذ بهـذا الأسـتاذ يخاطبها لمَ لا تجلسي بجنبي هنا في الأمام ولـوحَ بيـده نحـو المقعـد الامامي ، لكنها ابتسمت خجلاً وقالت : أسفة أستاذ أنا أودّ الجلوس هنا، فأخذ يبدأ يلحـن في كلامـه ، ويتلطـف ويتغـزل واذ بهـا تنبهـر وتنصدم من كلامه فهو يقول لها هل احببتي أحداً ؟ هل تحـرش بـكِ أحداً ؟ أنكرت وبشدة ومتعجبة من سؤاله لكنها لم تثيرهـا الريبـة في أمره وأيّ ريبة وهو بمقام أبوها أو أكبر ، فأوصلها إلى البيت ونزلـت مودعة له واذ به يبادرها بكلمة تتعجب لها : سأشـتاق لـكِ ، لكنهـا

أطرقت برأسها وولت وجهها شطر البيت فدخلته مسرعة فرحة نشطة ، لأنها قضت المحاضرة الأولى وقد استساغتها وفهمتها ولديها رغبة وحُب لقراءة المحاضرة فور عودتها ، لكي تبقى في دماغها وسلسة عليها في وقت المراجعة ، قضت يومها وهي ما بين فرح واغتباط بما وصلت إليه ، فهي على وشك الوصول إلى العالم الجامعي ، لتعيش أجمل أيامها ، قرأت محاضرتها وأتمتها ووجدت سهولة ويسر فيها ، وأخذت تقص على أمها كيف كانت المحاضرة وكيف كان الموضوع الاول وأمها تسمع ومؤيدة لكلامها وطالبة المزيد ، ندى قالت لم لا أبد بحفظ مادة الأدب العربي لكي أتمه في أوقات الفراغ قبل أن يقبل الدوام وأكون منشغلة ولا وقت لديّ ، فبدأت بالأدب وأخذت تحفظ وتقرأ وتلخص ما تقرأ ولديها ميل وحُب للأدب وشغف للاطلاع على تراجم الشعراء والكتاب ، فأتمت في اليوم الأول ثمان صفحات من الأدب البالغ عدد صفحاته المئة ، فأحست بضعف تركيز ونعاس يخيم عليها وبال أخذ يتشتت ، قررت أن تترك القراءة ، لتلجأ إلى النوم ، لتأخذ ساعات تريح وتستريح من الكد والجهد البدني والعقلي ، فتنام وتأخذها الأحلام كل مأخذ وهي طالبة للمزيد من هذه الأحلام التي تنفس عما تجده في داخل نفسها من حب نحو الحياة وميل لها للعيش بسلام وبحب وبود ، صباحٌ قربُ إشراقه فأحست ببرودة أول الصباح ، إذ أقبلت عليها نسمات باردة رطبت وجنتيها وداعبت خديها وعبثت بشعرها ، فتنهض نومها متثائبة وهي ما بين عودة إلى الفراش وما بين نهوض لكي تطرد الكسل ليحل محله النشاط والحيوية ، فقررت إن تنحي الغطاء عنها وتنهض

لتغسل وجهها فتنظر في المرآة الى وجهها فتبدو جميلة في كل وقت وبراءتها هي السمة الغالبة على محياها ، توضأت وقررت أن تناجي ربها بكلمات هو وهي يفهمها وأخذت كلماتها الرقراقة تصعد إلى أعنان السماء مخترقة كل الحجب لتصعد نقية خالصة بريئة إلى السماء ، صلّت صلاة الصبح وأمسكت القرآن الكريم متأملة في سورته الثانية _ البقرة – فتتأمل في صفحتها الأولى وآياتها الأولى والتي هي مطلوبة في المنهج المقرر في مادة الاسلامية ، فقرأت العشرين آية الأولى بصمت وكأنها شيخ عرفاني يقرأ ما بين السطور ليستلهم الإلهام والوعي واللاشعور منها ، نهضت نشطة والساعة تشير إلى السادسة والعشرين دقيقة صباحاً قررت إن تمسك قلمها ، وتلجأ إلى ذلك الدفتر الذي تصارحه في كل شيء ، وأخذت تكتب مقالاً بعنوان خاطرة خطرت إلى قلبي ، وكتبت و كتبت إلى أن سمعت أمها مقبلة عليها تريد أن تصبح بوجهها الحسن لتتزود منه أملاً وحُباً وصفاءً ونقاء وبراءةً ، تعمل لها فطوراً وتجد في نفسها رغبة إلى الطعام فعملت مع أمها وأقبلت على أبيها فوجدته ما بين النوم واليقظة نادته : صباحك خير بابا فلم يستطع إلا أن نحى الغطاء ورد عليها : وكيف لا يكون خيراً إذا عنوانه انتِ ، هيا بابا تعال لنأكل ، فأنا جائعة ، يرد عليها نداوي جائعة سمعاً وطاعة وما أجمل هذا الصباح وهذا الفطار ونداوي تأكل معي ، فأكلوا معاً وهم يتضاحكون ويتغامزون ، إلى أن حانت الساعة الثامنة ، قررت أن تغتسل وتبدل لمحاضرة في التاسعة صباحاً ، وكالعادة هي وساره ستذهبان معاً ، غسلت الصحون والأكواب التي تناولوا الشاي بها

ورتبت المطبخ ولجأت إلى الحمام لتغتسل ثم تسرح شعرها وترتدي ثيابها فتتصل بها ساره تقول لها إنها ستقبل إليها بعد ربع ساعة ويذهبنَ معاً إلى المحاضرة ، فتعجل من ترتيب أناقتها وتنسق ثيابها ، فأقبلت ساره وحالما طرقت الباب ، حتى خرجت إليها ندى وذهبنّ إلى المحاضرة ، ندى هي بنت ، لكنها ليست ككل البنات ، فهي تعيش بعيداً عنهن في فكرها وطموحها ، فهي تملك قدرة إبداعية وتملك إرادة صلبة وعزيمة أقوى من الجبال ، تريد أن تكون عنصراً له أثر في مجتمعها وتريد أن تقفز بمجتمعها وبلدها إلى الأمام خطوات وخطوات ، مشت خطوات بصمت فتسألها ساره هل قرأتِ المحاضرة أمس ؟ تجيب نعم وقرأت معها الأدب وحفظتُ قصيدتين من الشعر ، تتعجب ساره وتقول هنيأ لك على هذا النهم الموجود عندكِ أتمنى لو عندي مثلما عندك لكي أحقق المزيد والمزيد من الرقي في الدرجات ، تدخل ندى فترى الأستاذ قد دخل قبلهن وتراه منتظراً قدومهن لكي يبدأ الدرس ، تسلم ندى فيرد السلام بلطف لكنه يخفي وراءه سُماً زعافاً ، ويبتسم لها ابتسامة كلها خُبث وغريزة ، يبدأ الدرس في سؤال ندى لكي يجذب انتباهها نحو اهتمامه بها وتعلقه بها ، فتجيب ندى على سؤاله ومن سوء الصدف إن الجميع أحجمن عن الجواب على الأسئلة إلاّ ندى ، كانت تجيب وبكل طلاقة مما أثار إعجابه وإعجاب صديقاتها ، فبدأت كلمات المديح والإطراء تنهال على ندى كالمطر ، وأخذ يتزلف لها فأفرط في المديح حتى بات مسخرة لجميع الحضور ، فأتم الدرس وحين خروجه عرض على ندى همساً أن يصحبها في طريقه إلى بيتها لكن وحدها

وليس معها أحد ، ساره أقبل عليها أبوها فأوصلها إلى محاضرة ثانية كانت قد دخلتها ، أما ندى ، فقررت إما أن تعود مع الأستاذ ، وإما أن تأخذ سيارة أجرة وتعود إلى البيت فقررت الرجوع مع أستاذها وهو في طريقها ولا يكون هناك ضير إن أوصلها ، جلست على المقعد الخلفي ولكنه قال لها تعالي أجلسي هنا مشيراً إلى المقعد الأمامي بقربه لكنها أبت وتمنعت حياءً ، بدأت كلماته تكشر عن مكنون باطنه المريض وكشفت النقاب عن سوءِ أخلاقهِ ، فأخذ يلين ويلحن في كلامه معها ويستلطفها ويحاكيها بكلمات الرومانسية الفاحشة وهي مصدومة مذهولة مرعوبة ، لم تعرف ندى هذه الكلمات وزاد تعجبها عندما علمت إن أستاذها هو من يقصدها بذلك الفحش الفاضح والخزي ، كلمات لا يمكن ان تقال إلا للزوجة وهي بحضن زوجها ،. عندها طفحت كلماته وصارحها بأقبح وأرذل كلمة وهي دعوة إلى الفراش ، هنا طفح الكيل عندها وأمست وكأنها ذئباً متوحشاً وردت عليه القول بأضعاف وكثر صراخها وطلبت منه أن ينزلها لكن أبت نفسه إلاّ أن يزيد من ألمها ومرارتها ومعاناتها حتى ضربته على رأسه فأحدثت خللاً في توازنه مما أدى به إلى الاحتكاك ببعض السيارات الذاهبة والعائدة ، وقف ويعاني من ألم في رأسه ولكن ندى خرجت من السيارة راكضة تستنجد بالناس ولا من مجيب تركض وتركض ولا تعرف أين هي وجهتها ، حتى سقطت مغشياً عليها وسالت الدماء من رأسها ووجهها وتمزقت ثيابها جراء تدحرجها ، عندها ظهرت حقيقة الناس ، فمنهم من يقول لننقذها ومنهم من يقول لا نتدخل ! فكم مظلومة هي الإنسانية وكم هي

معذبة وكم هي تعاني ومازالت ولعلها ستبقى تعاني ، شابة بعمر الورد وريعان العمر دمها ينزف ومغمىً عليها وسط المارة ولا من يد تتدخل لتنتشلها من الموت البطيء الذي تعاني منه ، حتى ظهر هناك من نطق بكلمة الحق وقال : لنأخذها عن الشارع ونضعها على الرصيف لكن ولا من أحد يمد له يد العون وتخيل الجميع إنها قد ماتت ولا يريد أحد أن يضع بصمته على جسدها لكي لا يسجل أنه شارك بقتلها أو قتلها ، دمها مازال ينزف وساقيها قد احمرتا من جراء تدحرجها في الشارع ووجنتيها تعاني النزيف المستمر ، هنا اتصل رجل بسيارة الإسعاف وخمسة عشر دقيقة وأقبلت السيارة وفحصتها وعرفوا إنها على قيد الحياة ولكنها تعاني من غيبوبة ربما جراء صدمتها ، ونقلت ندى إلى المستشفى ، ولكنَ الأستاذ لم يسأل عنه أحد ، بل ذهب مسرعاً ولم يدركه أحد ، بل أحدهم حفظ أرقام سيارته لكنه أحجم وأكتفى بأن يبلع لسانه وذلك عندما أقبلت الشرطة تحقق بما حدث وأعرب الجميع بكلمة لا نعرف ما حدث ، والشرطة ستذهب إلى الجريحة لتحقق معها ، ومضى الناس كل إلى عمله ولا كأنهم شهدوا جريمة يندى لها الجبين الإنساني ، هكذا هم الأحرار يموتون لكي يتعلم الأحياء طعم الحرية والشرف والإباء ، سرعان ما قلقت الأم وقلب الأم الحنون له إحساس وإن كان عن بعد ألف ميل ، إحساس الأمومة لا يجاريه إحساس أحست إن حادثٌ ما قد اعترض فلذة كبدها وقرة عينها فأخذت تغدو وتروح في باب البيت والمطبخ وتردد إن قلبي غير مطمئن – إن قلبي غير مطمئن ، وأحس وكأن حادثاً ما اعترض نداوي وقلب الأم لا يخيب وإحساسها دوماً يصيب ، وساد

الصمت والحيرة في نفوسهم وأمسى الوجوم هو السمة الغالبة عليهم ، أخذ والدها يصبر أمها ويقول لها لا عليها حتما ستعود ربما تأخرت المحاضرة وربما بقيت مع صديقتها لا عليك لا عليك ، الأم لا تعرف هذه اللغة الباردة الفاترة ولن يهدأ لها بال حتى تبصر نداوي ماثلة أمامها حينها يطمئن قلبها ويستريح فؤادها ، ماهي إلاّ لحظة و اتصال برقم غريب يتصل على والدها ويرد عليك : السلام عليكم

– عليكم السلام أهلاً

– كيف أخبارك عزيزي أبا مصطفى ؟

– بخير ولكن من أنت ؟

– ابتسامة هادئة لكي يمتص الغضب والصدمة منه ألم تعرفني بعد ؟

– لا لن أعرفك

– أنا الممرض محمد

– لم أعرف أحد بهذا الاسم ولكن ماذا تريد ؟

– عزيزي حضرتك والد ندى ؟

– برعدة وبصوت عالٍ نعم نعم أنا أنا والدها

– هي بخير والحمد لله

– وماذا جرى لها ؟

تعرضت لوعكة وهي في المحاضرة ، وهي الآن في المستشفى تتمتـع بصحة جيدة والحمـد لله سـآتيك الآن حتمـاً ، عنـدها ذهلـت أمهـا وزادت من بكائها وخشيت على ابنتهـا وركضـت معـه ، وسـارا لا يلويان على شيء وأحدهم يصبر الآخر و عندما وصلوا إلى المستشفى في جناح الطوارئ سألوا عن أسمها أشارت الممرضة إلى السرير الرابع هناك فأقبلوا إليه فوجدوا زحمة من الشرطة والممرضين علـى ابنـتهم وحالما وقعت عين أمها عليها ورأتها بهذه الحالـة صـاحت بصـوت أرعب الطوارئ بكاملها ونشجت عنـدها واحتضـنتها وقبلتهـا علـى وجنتها وندى كأنها جثة بلا حراك ، أم تحتض ابنتها وتسأل الدكتور هل تعـيش ابـنتي ؟ إن حـدث لهـا شـيء فسأموت معهـا ؟ طمأنهـا الدكتور : إنها تتمتع بصحة جيدة ولا خوف عليهـا وهـذه الجـروح بسيطة نتيجة سقوطها على الشارع ، وسيعطيها أدويه تشـفى عليهـا وبسرعة بإذن الله ، تركها الجميع ومضوا وبقيت أنها تنشـج عنـدها وابوها يبكي بهدوء وروية وإخوتها يبكون وبحرقة عندها انتفضـت حمية هؤلاء الشباب عن مصدر ما حدث لأختهم وهرعـوا إلى رجـل الشرطة يسألونه فكتم رجل الشرطة الأمر ، لأن نفوس الشباب ثـائرة مضطربة واجمة والشر يقدح من بين عيونهم والشياطين توسوس لهم وإن علموا الحقيقة لربما تهوروا وارتكبوا ما لا يحمد عقباها وأضرهم ولن ينفعهم في قضيتهم ومحنتهم ، قال تعرضـت إلى حـادث سـيارة وتدحرجت ولكنهم سألوا وإين السائق ، قال لهم الرجـل : لقـد فـرّ هارباً ، ولكنهم سألوا ومن يكون هو أنبـأهم بأنـه أسـتاذها ، عنـدها هرعوا مسرعين لا يعرفون إلى أين يـذهبون وصـاح بهـم أبـوهم فلـم

يلتفتوا إليه ، بل ذهبوا متجهين إلى بيت الطالبة التي عندها يكون الدرس ، وصلوا مسرعين طرقوا الباب وبقوة خرج إليهم الأب وقالوا له نريد عنوان الأستاذ الحقير الذي يدرس في بيتكم ، رد باستغراب عليهم ومن تكونوا أنتم ؟

لا يهمك هذا ، أعطنا عنوانه – لا أعرف عنوانه ولكن عندي رقم هاتفه فقط قالوا : أعطنا إياه ، فأعطاهم رقم هاتفه واتصل به مصطفى بسرعة لكن فوجئ بأنه مغلق ، فقال : غلقه الحقير لكن أين سيذهب ، بل سنجده حتماً ولا ريب في ذلك ، عادوا إلى المستشفى مسرعين والحيرة والاضطراب يسودهم والقلق يحيطهم على أختهم لربما هي صدمة تتعرض لها ولربما و لربما وبدت نفوسهم تضطرب قلقاً عليها وشفقةً لها ومودة بها ، أمها ما زالت تأن وتنشج على ضناها وأبوها واجم والقلق والحيرة تطغى على معالمه ، أدركهم الليل ، وهم حواليها ، ممددين يبكون عليها ولم يجف لهم دمع ، حتى أقبل عليها الطيب وأعطاها حقنة بالوريد وقال لهم لا قلق عليها فهي مذهولة فقط وليس لديها أي عارض خطر ، طمأنهم وأرتاح بعض الشيء قلبهم ، فذهب الأب وأقبل بالطعام إليهم ولكن أبت نفوسهم أن تضع الطعام وتمضغه ونداوي بهذا الحال ، أمهم أشفقت عليهم ووجدت الشحوب بادي على وجوههم فهم لم يذوقوا الطعام من صباحهم حتى الآن أقبل عليهم الليل وافواههم قد جفت وبطونهم قد خلت من أي ذرة طعام ، فأجبرتهم على تناول بعضاً من هذا الطعام الذي يسد الرمق ويقوم الأود ، اخوانها تغلي نفوسهم كالمرجل على هذا الذي

اعتدى على اختهم ، وماهي إلى لحظة من اللحظات التي أخذ العلاج مفعولها في جسدها حتى بدأت تفيق وكأنها تتثائب ، تبـادر الجميـع إليها وأمها أولهم ، فتحت عينيها ببطء وأخذت ترمق من حولهـا هـا لتتعرف عليهم واحداً بعد آخر، فعرفت إنهم أهلها فقط ، فرحوا بهذه الطلّة التي أطلتها عليهم ، وكان أكثرهم سعادة أمها واحتضنتها بلهفة ومخاطبة لها بكل حنان ورقـة : نـداوي يـا نـور حيـاتي كيـف الآن اصبحتِ ؟ هل يؤلم جسدك شيء ؟ تجيب ندى : إنا بخير الحمد لله ، فرحوا بهـذه الكلمـة واسـتعادوا قلـوبهم الـتي اعتصـرها نبـأ نـدى ، لحظات ولحظات حتى طلبت ندى الطعام ، ذهب أخوها وأقبل إليها مسرعاً وأجلسها على السرير وبدأ يطعمها ولكن الأم أصـرت إلاّ أن تكون هي وأبى هو الاّ إصراراً حتى انتصر على إصراره ومضت كلمته ، لأن أمه فرحت بولعه بحُب أخته وتفانيه بخدمتها وشكرت له حُسن صنيعه لكنه ردّ بكلمتين أسرت أمه وأثلجت صدر أبيه وأفرح أخته : هذه نداوي يا أمي ! وفقكم الله على هذا الحـب الأخـوي وجعلكـم دوماً أحبة بعضكم لبعض ، أكملت طعامهـا ولحظـات مـن الدعابـة والمزاح حتى سألها أخوها كيف حدث هذا يا نداوي ؟ وقـع هـذا السؤال موقع الدهشة ولكنها لم تحجم عن الرد وإن اعتراهـا الحيـاء كعادتها ، وأخذت تقص عليهم ورجل الشرطة يستمع ويدون كلامها وقصت عليهم كل شيء ولم تخفِ اي كلمة ، عندها غلت نار الغيرة والحمية في نفوس إخوتها وأمسوا كأنهم بركان غضب سيصب على هذا الاستاذ ولكن اقسمت عليهم أمهم بقسم جعلهم يخضـعون لهـا ويستمعون حديثها ، قالت لهم لقد نـذرت نـذراً ان شـفيت نـداوي

لأعفينّ عن استاذها وأسلمه إلى القانون ومحكمة الضمير التي هي اقسى عقاب يتعرض له الفرد ، لإنّ عقاب النفس اقسى وامضى من اي عقاب ، فالنفس قاسية ، عندما تحاسب صاحبها ، فالضميرُ الحي يقتل افراده كمداً ، هدأت نفوسهم واستقرت نوعاً ما ، اضطرت أمهم أن تكذب لتحافظ على أبنائها من أي عارضٍ يعترض طريقهم فهم شبان ، والشبان لديهم عاطفة أقوى من العقل ، فهم يفكرون بعواطفهم لا بعقولهم وخشيت أن تقودهم الحمية والغيرة إلى عمل لا يحمد عقباه ويعود وبالاً عليهم وعلى عائلتهم ، أمسكت الشرطة بهذا الرجل ولكنهم فوجؤا بأنّ العائلة سامحته ولن تطالبه بشيء ولكنها ستسلمه إلى القانون وإلى الله تعالى وعليه ، فإنه إن خرج من القانون فسيقع في قبضة الله ليحاسبه جراء ما ارتكب من خزي وسفالة ، خرجت ندى وعادت وبجسدها الجميل أثر لجروح هنا وهناك ، لكنها لم تلبث إن تزول وتمحى ويعود الجلد إلى طبيعته البيضاء الناصعة ، وبدأ الجيران والأقارب والمعارف يقصدون بيت ندى لعيادتها والاطمئنان عليها ، لكن بقيت في نفوس بعض الناس شكوك وكلام يمس شرفها وسمعتها وبدأ بعضهم يأولّ بالكلام وآخر يلحن وغيرهم يضيف من عنده ما لم يحدث أصلاً ، الشرف كالزجاجة أي صدع وإن كان خفيفاً وغير مقصود فإنه يبقى أثره ولن يمحى هذه هي عقلية تلك العقول وتلك النفوس التي كانت تملك عقدة نقص جراء تمسكهم بالترسبات الجاهلية التي ما زلت تملأ أدمغتهم وتغلفها ، ولكن الحياة مضت ولم تتأثر ندى وعائلتها بما قيل وقال عنهم ولكنهم سحقوا الجميع وتركوا الناس بغيضهم مدحورين

خائبين ، وبعد إلقاء القبض على هذا الأستاذ وحكم لمدة عام كامل ليترك بعدها ويسلم لعذاب الضمير الذي سيكون حتماً اقسى من عذاب القانون الذي يحاكم به المجرمون ، نفوس الشباب في بغداد تميل إلى الألفة والحُب والوئام ولم يكن طابع الثأر والعنف يأثر في عقولهم ، فهم لديهم عاطفة وشعور حيّ لكنهم لا يلجأون إلى العنف لكي يدركوا مرادهم ، فترت همتهم وضعفت عصبيتهم ومالت إلى السكينة والدعة وأخذت تهدأ من روعهم وغضبهم ، هنا تعود الزهرة المتفتحة ، والوردة العطرة إلى ممارسة حياتها ، وكأنها نسيت أو كادت لذكرى اليمة حزت في نفسها وتركت ألماً ممضاً وقاسِياً ، لكنها قررت إن تأخذ من الحياة ما هو جميل فتعيشه وتترك ما هو قبيح فتهمله ، فالحياة جميلة بما نراه نحن ، فتارةً تبصر أحدهم متبرماً من الدنيا وما فيها وتارةً تجد من يجدها حلوة عذبة يودّ أن ينهل منها بكلتا بيديهِ لعلّه يعيش اللذة والمتعة أكثر وقت ، بغداد لها أصيل رائع وجذاب وبه تغدو الناس وتروح وتعود وتذهب كُلُ يمشي برفقة صديقٍ أو حبيب والسلام يعمرهم ، الشمس عندما تشرق على بغداد ، فإنها تعطيها منظراً بهياً خلاّباً وعندما تغيب ، يأتيها القمر ، فينشر الضياء والجمال وحيث ترى العشاق كلٍ ويتغزل بمحبوبه وترى الكُتاب يكتبون وبكل طلاقة وبكل عذوبة وترى الشعراء وبيدهم القلم والورق يكتبون بيتاً إثر آخر وما تنفك مشاعرهم من التعبير حتى تضعف أيديهم عن الكتابة ، ومن أكذب من الشعراء حينما يتركون لعواطفهم الحرية في التعابير ولكن ما أعذب كلماتهم التي يتفننون بها حيث يجعلون منها نغماً موسيقياً يخلُب الأسماع ويسحر القلب

ويطرد الأذن ، ندى لاتشبه فتيات عمرها فهـي مـنهن ولـيس معهـن فتراها تحلق بعيداً في أبحر المجهول علّها تجد لذة وطعم لحياتها وما تود أن يكون نصيبها ، لم تترك الكتابة ولم تكف عن كتابة الخواطر التي تعترضها فتنساب الكلمات من فمها انسياب النهر بهدوئه وصفائه ، تكتب لتروي الظمأ الذي يعترضها كل آن ، ممسكة بقلمها وتعبث بالمسودات عبثاً ، فهي تغيب وتذوب ما بين الكلمات التي تسجلّها وتترك لقلبها العزف الذي تحبه ومبتسمة الثغر و رمقت السماء متأملة فضاءها الشاسع اللّامع الذي يلُهم الشعراء والكتاب أن يكتبوا عن جمال هذه السماء ويشبهوها بمن يعشقون ، عادت ندى لتمارس حياتها بصورة طبيعية ولم تعر أيّ اهتمام لأي حدث مرّ عليها ، مضت لا تلوي على شيء ابتسمت للحياة واستقبلتها بكل رحابة صدر واستنشقت هواءً نقياً ليدخل إلى روحها فيضفي عليها نقاء إلى نقائها ، بنات المدينة يملّن إلى النعومة وإلى الرقة وأخذن هذه من طبيعة الحياة بالمدينة التي تجد المرأة بها راحة ودعة بخلاف نساء القرى التي تشارك الرجل العمل ولعلها تعمل وتكد أكثر من الرجل في بعض الأحيان ، ولكن المدينة أعطت المرأة جرأة وصلت عند البعض منهن حدّ الوقاحة ومنهنّ من بقيت محافظة على فطرتها الأنثوية ولم تغيرها الحياة التي هي في تطور مستمر والناس تفهم التطور على إنه تطور في الملبس والمأكل ، الطابع العام الذي يسود بغداد ، هو الانفتاح والاحتواء لدى جميع الطبقات والأطياف ، فتراها وهي المدينة الجامعة التي لونتها المذاهب الدينية والديانات المختلفة والطبائع الإقليمية ، فترى منها من يميل إلى الروح الجنوبية

ومنها ما يميل إلى روح الغربية ومنها ما يميل إلى الشرقية ، بغداد وهي الأم الرؤوم التي احتضنت أبناءها ولم يرق لها أيٌ نوع من التمايز والاختلاف ، فالكل يعيشون فيها وهم من لُحمتها وروحها وكيانها ، يمر ابن الكاظمية على الأعظمية وكأن هذا جزءٌ من هذا ، يعيشون إخوة وأحبة ولم تستطع المذاهب الطائفية تفريق شملهم وتجزئتهم ، فالجميع يذوب عند بغداد ولا تسمح بأي داعية مهما كان لونه أن يعبث ويمزق بنسيجها الاجتماعي ، رغم المحاولات المحمومة من أجندات همُها أن تمزق الشمل العام الذي يطبعهم بطابعٍ عام .

# الفصل الثالث

# البغداديون

عجيبٌ أمر هؤلاء البغداديين ، إنهم يرقصون للحياة ولم تستطع المحاولات أن تُثني وحدتهم وزعزعة شملهم ، فأصوات الانفجارات التي تدوي على مسامعهم حتى ارهقتهم وعصفت بهم فتراهم يدفنون شهدائهم ليعودوا يستقبلون الموت غير آبهين به ومستقبلين له بكل شموخ وإباء وكأنّ شعارهم : خلقنا لنحيا ، فعلينا أن نكون سعداء ، سعادتهم في كل شيء في فرحهم ، حزنهم ، ألمهم ، مصيبتهم ، مضوا للحياة مستقبلين لها بثغر باسم وبقلب متطلع لغدٍ سيكون ربما أجمل ولم تهبط معنوياتهم ولم تركن إلى الذلّ قط ، فرغم جوعهم ورغم شحة مؤنتهم تراهم يأكلون روحهم ولكنهم من قدور الغير ما أكلوا ولن يأكلوا ، فهم كرماء ، وكرمهم بالأرواح لا بالمأكل والمشرب ، كرماء بدمهم ، بمروءتهم ، بمودتهم ، يعطون المزيد والمزيد ، فهم خليط تجانس بكل شيء واحتوت بغداد ضميراً ينبض للحياة و تنبض الحياة له ، تربطهم بالجنوب أواصر حُب ونسب وتربطهم بالشمال أصول وحسب ، يطلبون ولا يلبى لهم طلب وعندما يستنجد بهم أحد يلّبون دون منّة ، فصبرهم صبر الكريم حتى وإن جاع وإن ثكل ، لا أحد يعكر مزاجهم ولا أحد يكدر صفوهم ، تتعاقب حكومات عليها ويأتي نظام وينمحي نظام وطابع الناس ذاته ، بل لم يقبل أحد ليحكمهم ويفهم طبيعتهم البشرية فهم غير الشعوب وغير الطبيعة ربما ، يقول النبي محمد (ص) الاختلاف رحمة ، ولكن هذا الاختلاف هو نقمة ومصيبة نزلت عليهم ، فلم يستقر عندهم والٍ وحقق ما تصبو إليه طموحاتهم وما تطمح به نفوسهم التواقة لمستقبلٍ

وضاح ينير لهم طرق الحياة ، فلـم يركنـوا لحـاكمٍ قـط ولعلـهم لـن يرضوا عن أحد ، لأنّ أغلب الذين حكموها لم يكونوا منهـا فهـم لم يقبلوا إلاّ أن يحكموا أنفسهم هم ولكن هل سينقلبون علـى أنفسـهم ويتمردون كعادتهم بالعصيان الذي يبدأ باللسان فسرعان ما يتحـول إلى انقلاب مسلح دموي يودي بحاكم ليمهد الكرسي لأخر عسى أن يعدل ما اعوّج من نظم ومن مسيرة حيـاة ، ريـاح السـموم وسمـوم الرياح لن يولد بها ولكنه يقبل إليها من جيرانها مسكينة هي بغـداد ، تحوطها دول بمـذاهب مختلفـة وبـديانات مختلفـة وحتـى بأنظمـة مختلفة فمنها القومي المتشدد ، ومنها الإسلامي المتزمـت ، ومنهـا العلماني المنفتح ، ومنها الشيوعي ، ومنهـا الليبرالـي ، هـذه الميـول والأهواء تسعى جاهدة لمد نفوذها في بغداد لأنها تملك كل الديانات والنزعات والطبائع ، وتسعى كل من تلك الـدول أن تعطـي انطباعـاً وتدس السم في نفوس أتباعهـا ومـن يشـتركون معهـم بـذات الصـفة المشتركة ، كـأن تكـون قوميـة أو مذهبيـة أو إسـلامية أو أو ، لكـن نفوسهم مجت تلك الرياح الخبيثة المقبلـة علـيهم ومجـت أي لـون ومنها فهم نجباء ، وقـد أدركـوا إن الجميـع لديـه مصـالح في بغـداد ويسـعى لاحتوائهـا ففـوت البغـداديون علـيهم الفـرص تلـو الفـرص ومازالوا ولعلهم لن يبقى لهم أمل وطموح في تفريق الشمل وتقسـيم المدينة الأم ، ولدى البغداديين عصـبية معروفـون بهـا فهـم ذو حُـب مطعم بنزعة عصبية ومحلية لمدينتهم ، لا يذكرها منهم أحد إلاّ وقال بغداد الحبيبة ، بغداد السلام ، العشق بغداد ، الأم بغداد ، كلٍ يضفي عليها لقبٌ ما ، فهم يعشـقونها عشـقاً لا مثيـل لـه ، احتـوت أبنائهـا

وضمتهم إلى صدرها وشعروا بدفء صدرها وناموا في نعيم ، لأنهم استشعروا حُبها ولمسوا حنينها فذابت نفوسهم بها وذابت هي في نفوسهم ، تلك هي بغداد الجمال ، العشق ، المودة ، الانسجام يغلب على طابع أبنائها ، حضارتها ومدنيتها صبغت أدمغت البغداديين وجعلتهم يميلون ويحيدون عن العنف والعصبية الجاهلية والقبلية التي تستفحل بالمناطق حواليها جنوباً وشرقاً وغرباً وقليل من الشمال ، ذات يوم اتصل عبر الهاتف في تمام الساعة العاشرة مساءاً عم ندى وشقيق أبيها من أمه وأبيه والذي يسكن محافظة كركوك اخذ يسلم ويستلطف مع عائلة أخية ثم وجهت ندى السؤال إلى عمها : متى ستأتي إلى زيارتنا يا عم ؟ ردّ غداً يا حبيبتي نداوي ،

أحقاً !

نعم وسنمضي اسبوعاً كاملاً عندكم فنحن مشتاقون إليكم كثيراً وإلى أقاربنا وأصدقائنا وإلى الحبيبة بغداد ،

اهلاً وسهلاً ولك البيت ، كل البيت ، ونحن مشتاقون وبحرقة إليكم ، غداً سيأتي ضيوف وما هم بالضيوف إنهم أهل الدار ، فعلينا يا أمي ان نتهيأ لهم من الآن ، العاشرة مساء ماذا تريد أن تفعل هذه الشابة المرحة الجميلة ثم لبست البرمودة و تيشيرت منزلي بالٍ ولكنها بدت اجمل واجمل بها ، فابتدأت بمكان الاستقبال فقامت بإخراج الكنبات بمساعدة أمها وأمسكت مسحوق الزاهي الأرضي وأخذ تخلطه في الماء لتصبه على الأرض فأخذت تغسل الأرض التي هي

نظيفة دوماً وأخذت تصب لها الماء أمها وندى منحنية على الأرض تغسل وتمسح حتى غسلته تماماً ثم أشعلت المروحة الكهربائية لتنشيفه ، وخرجت إلى الصالة ففعلت بها كما فعلت بصالة الاستقبال وركضت إلى الغرف ، أخرجت إخوانها عن كره منهم وتثاقلاً ، لكنها أبت إلاّ أن تنظف وتعدل البيت كل البيت ، وأصبح البيت وكأن غداً سيكون به مناسبة عرس أو عيد حتى اتمته كله ، نامت بعد أنْ هدّت قواها وخارت فركنت إلى النوم ، فأولّ ما تمددت على سريرها أخذتها اغفاءة سريعة لتسلمها إلى أحلامها التي تراودها كل حين ، مبكراً استيقظت أمها ولم تحب أن تفيق ابنتها فتركتها بنومها لتجد اللذة في نومها ، لكنّ ندى سرعان ما نهضت وأقبلت مصبحة على أمها وكانت لها نفس شهية إلى الافطار ، فعملت لها أمها وسرعان ما فتحت باب البيت ، فإذا بالوالد وبيده مجموعة من رغيف الخبز الحار أخذته منه وصبحت بوجهه فردّ عليها الصباح بأعذب الكلمات وأرقها ، أكملا طعامهم كعادتهم هم فقط من يتناول الإفطار ، لأن اخوتها يغطون بنوم عميق وأن فاقوا فلم تكن لهم نفس تتقبل الطعام حتى إن أخيها الأكبر يفضل تناول السيجارة وكوب الشاي على أي طعام مهما بلغ طعمه وحلاوته ، في العاشرة إلاّ ربعاً طرقت الباب وإذا به العم الذي أقبل من كركوك وعائلته المكونة من ولدين وثلاث بنات وزوجته ، فاحتضنت عمها وأخذ يلثمها القبلات الحارة فهي مشتاقه له وهو ملهوف لها ، فأدخلت العائلة فسلمت على بنات عمها وزوجته وسلمت على ولدي عمها وكان أحدهم ويدعى منير ، يكبرها بعام ورامي يصغرها بأربع سنوات ، فحيتهم

بأرق تحية وأعذب لفظ وأدخلتهم فرحة مغتبطة بهـم ، واسـتقبلتهم أمها بأحرّ استقبال وتبادلوا التحيات والكلمات المشوقة ، قدمت لهم الماء فروت ظمأهم فظهرت عليهم آمارات العطـش وربمـا الجـوع أيضاً ، عندها ذهبت إلى إخوتها فأيقظتهم جميعاً وأقبلوا يسلمون على عائلة عمهم ومن طبيعة إخوتها روح المداعبة والمرح فأخذوا يقصون القصص والحكايات المضحكة ويقصون قصص مواقف علـى أولاد عمهم عندما كانوا صبية يلعبون معاً والعائلتان سعيدتان بهـذه اللّمـة وهذه الزيارة السعيدة على الطرفين ، وقضوا سـاعة وهـم في ضـحك وسرور وغبطة وحبور كلٍ يذكر مواقف له ليضحك بها الحضـور ، عندها نهضت ندى إلى المطبخ لتبدأ بإعداد وتهيأة ما طبختـه للغـداء لكنها غمزت لبنات عمها ، بأن ينهضنّ معها ليساعدنها وزوجة أخيها ، فأخذن يعملن معاً بجد ونشاط وضحك وسرور هذه تسأل تلك عن حالها وأحوالها وهذه تداعب هذه وتلك تعبث بهذه وهـنّ راضـيات مقتنعات بهذا العبث النسائي ، ندى أخذت بنات عمها ودعـتهن إلى غرفتها لتغير كل واحدة ملابسها وترتـدي ثيابـاً منزليـة ، غـيرنّ مـن ملابسهن ونزلن إلى المطبخ ليكملن إعداد وتهيأة الغداء الذي يجـب أن يتهيأ وبسرعة ، لأنهم جوعى وبطونهم تكاد تكون خاوية ، طُهيَ الطعـام ، وجلسـت العائلتـان علـى المائـدة ولم تنفـك القصـص والحكايات تترد والضحك مستمر فيما بيـنهم ، العائلتـان سـعيدتان فهذه الزيارة الجميلة التي طال أمد انتظارها طويلاً ، أي قرابة ثمانيـة أشهر ، ندى تصيح ، تدعوا بنات عمها لنقل الغداء إلى المائـدة الـتي وضعت وما زال الشباب غارقين في العبث والمزاح والعِراك الكلامي

والهزل الممازح ، صاحت ندى لإخوتها فأقبلوا مسرعين ، لأن نداء الطعام ومن ذا الذي لا يلبي نداء البطن حينما تصيح ! وأكلوا الطعام بشهية ، وأخذت الحكايات تتردد عن الماضي بصورة ممازحة ومداعبة وكيف كان فلان وكيف كانت فلانة وهم يسخرون ليضحكوا عليهم ، وقضوا طعامهم وهم فرحين سعداء بهذه المائدة التي غابت عنهم بصورتها هذه طوال ثمانية اشهر لم يجتمع الأشقاء فيما بينهم وها هم يعاودون الاجتماع وتعود حكاياتهم الطيبة وقصصهم الظريفة وملاطفتهم الهازئة في أغلبها ، نهض الجمع وعاد كلٍ إلى خليله يحاكيهُ ويتسامر معه ، وبقيت البنات على حكاياتهن و مغازلاتهن ، ولابد أن يمرّ حديث به حُب أو عاطفة أو مشاعر طارئة حدثت أو لعلها ستحدث وبالأخص ها نحن في ريعان الشباب وغضارة العمر ، وبينما هنّ في المطبخ لغسل الصحون والملاعق سألت نادية ندى هل ظهرت في القلب مشاعرٌ ما أم مازال فارغاً جامداً لا حياة فيه ؟

ابتسمت ابتسامة فيها من الحياء قسط كبيرٌ ولم ترد على سؤالها

- تمازحها مريم ، أختُ نادية هل لكِ حبيبٌ تستلذ الحياة به ؟

- ابتسامة هي الاطول من الأولى ولكنها مشفعة بإنكار لكن إنكار من يتمنى الحصول على ذلك الحبيب الذي سيلون الحياة ويضفي عليها لوناً من الجمال ما يجعلها أميرة على النساء حيثما حلّت ،

- أراك وقد أخذك الخيال هناك وكأنك تودين أن تجدي فارساً لهذه الزهرة وتشير عليها ممسكة خدودها .

- ولم لا فكلّ البنات تتمنى أن تعيش قصة حُب لتعيش مع حبيبها وزوجها لا زوجها فحسب . هكذا أخذت البنات تتسامر حول الحبيب وماذا سيكون مستقبل كل واحدة منهنّ ، أكملن غسل الصحون وأفضت كل واحدة إلى غرفة ندى لتريح وتستريح من عبء السفر وما حمله من تعب وكد بينما هنّ جالسات بعضهن تقص إلى الأخرى أحاديثها في المدرسة وفي سائر شؤون حياتها ، سألت نادية ندى عما وقع لها مع هذا الأستاذ الذي أعترض لها ظهرت على وجه ندى آمارة تأنيب وإمتعاض عما حدث لها وتوقعت إن الناس ستترك هذا الحادث لتزيله من ذاكرتها ، فهي تتفاجئ بأن بنت عمها تعيد عليها الذكرى الأليمة لما مرت به من محنة لكنها تجلدت وأخذتها الشجاعة والثقة بالنفس فروت لها الحادث بمثل ما وقع بكل تفاصيله وكيف روعها الخطب ، فأشفقت بنات عمها عليها وأسفنّ لحالها ، لكنها ابتسمت بكل ثقة وانشراح ولم تعد تعبأ بما مضى وها هي باسمة الثغر للحياة ولم تعكر مسيرة حياتها أي حادثة مهما بلغت من الشدة أو اللين ، تبادلت البنات الكلمات والقصص والحكايات التي ما اطولها ولم يكد ينتهي حديثهن ولعله لن ينتهي فهنّ ثرثارات مكثرات للكلام ولعل المرأة تملك حرية في الكلام أكثر من كل شيء ، لأنها تملك لسانها اكثر من كل ممتلكاتها ، ولم يستطع اي رجل أن يجادل امرأة ويغلبها في الجدال فهي تسلبه عقله وتجعله يضيق

بالدنيا وما فيها وينتهي إما بضربها أو بالعزوف عنها أن كـان حليمـاً وما أقل أولئك !

قرر الآباء أن يذهبوا اليوم لزيارة الإمام الكاظم (ع) ، ليجددوا عهداً به ثـم يميلـون إلى الصـلاة في مسـجد أبـي حنيفـة ويمـران في مسـجد الگيلاني ثم يذهبان ليلاً إلى حديقة الزوراء ، فرحت البنات واعددن ملابسهن وكل واحدة ارتدت افضل ثيابها واخـذن ينسـقن بالثيـاب فما هي إلاّ ساعة حتى اكتملنّ وتهيأن للخروج ونزلن وركبن السيارة جميعاً حيث كانت سيارة للرجال وسيارة اجتمعت بها البنات وهنّ في غاية السرور والغبطة والفرح ومـا بـين ضـحك ومـزاح تحركـت السيارة ومضت لا تلوي على شيء قاصدة الكاظمية للتبرك والزيارة ، الازدحامات المرورية جعلتهن يضقنّ بالخروج ولكـن لـم تعـرب أي واحدة منهنّ ، لكن الأب بان تبرمه من شدة الإزدحام كما هي العادة في بوابة الدخول لمدينة الكاظمية فالحركة تسير بإنسيابية بطيئة وفوق ذلك هناك كثافة مفرطة في السيارات واليوم هو السبت أي هـو يـوم زيارة الإمام الكاظم (ع) كما يعتقد بعض العجـائز والسـكان الـذين يجاورون المرقد ، قرر والد ندى أن ينزلوا ويقضون المسافة مشياً فهو اسرع لهم وافضل وبقيت سيارة العم عند ابنه وسيارة أبـو مصـطفى بيد مصطفى ، وعبرا السيطرة الموضـوعة ومشـيت البنـات وكلـهن غبطة وكأنهنّ يتجولن في شوارع باريس وازقتها ، وصلوا إلى المرقد واجتمعوا فدخلوا جميعاً وكلٌ مع رفيقه ومن يأنس له فنـدى كانـت تسير مع مريم ، لأنها قريبة لعمرها وفكرها ووجدت تقارباً ما بينهما

، فأمتزج المزاج والطبع ، أتمّ الجميع الزيارة ومضوا إلى الأعظمية فدخلوها وهم مسرعين ملهوفين على هذه الأماكن المقدسة التي كثيراً ما كانوا يقضون بعض اوقاتهم في زيارتها عندما كانوا في بغداد قبل أن ينتقلوا إلى كركوك بسبب العمل الذي يعمله والد نادية ، لأن عمله تحول الى كركوك ، اكملوا زيارتهم لمرقد الأمام أبي حنيفة (رض) ومضوا يتجولون في السيارة حتى ادركهم وقت الغروب ، قرروا ان يذهبوا إلى حديقة الزوراء العائلية ليجدوا متنفساً يزيح ما يعتصر قلوبهم من أسى مريع وليجدوا هناك ما تصفو له النفس ويطيب له القلب ويأنس له ،. دخلوا حديقة الزوراء وكانت مكتظة بالسكان آهله بجموع العوائل ، والبنات تدخلها فرحة بمكانها وبهوائها العذب وغضارتها الندية ، دخلت البنات أولاً ومضين معاً مجتمعات ، ومضى الشبان معاً بالقرب من أخواتهم والآباء قد جلسوا وفرشوا لهم حصيراً وجلسوا عليه ، ومضى الشباب يسرحون هنا ويهيمون هناك وندى كلها مرح ودعابة ، فهي بدت وكأنها قمراً أو بدراً قد اكتمل أو شمساً في يوم ربيعي تراها تضحك وتمازح بنات عمها وتتجادل مع اخوتها وتتخاصم معهم فتثير فيهم حماسة ، لكنها تشفق عليهم ويشفقون عليها ويتركونها كالوردة تلعب وتعبث بكل حريتها دون أن يعكروا لها مزاجاً أو يقيدوا لها حرية .

تنطلق ندى كالغزالة لاهية ، وكأنها طير سابح في الفضاء محلقُ ببرج عالِ ، نست دروسها ونست هموم السادس الثانوي ونست جل ما تعرضت له وراحت تعبث عبث الصبيان ، مرحة ، لطيفة ، حنونة تلك

هي ندى تحب الجميع ولا توجد في نفسيتها أيّ غلّ أو مثلبة تسوؤها ، تتعب من اللعب في الأرجوحة ودولاب الهواء ولعبة السفينة وأخيراً صعدت لُعبة المقص فجعلها تصرخ وتستغيث ولا من مجيب يلبي ندائها فسرعان ما خارت نفسها ووقعت مغشياً عليها ولا حركة ولا اضطراب ، فلم تتوقف اللعبة حتى أتمت الوقت المحدد لها فنزل الجميع وإذا بندى لم تحرك يداً ولا رجلاً سوى بقايا نفس يعلوا ويهبط من صدرها وتنفس بطيء ، فأقبل عليها إخوتها وأهلها وهم ما بين عاذل ومشفق لها ، فأقبل أخوها فغسل وجهها بالماء وأمسك بقطعة من الكارتون وأخذ يزيد من حركة الهواء عليها فما هي إلاّ لحظات حتى أفاقت ببطء وكأنها كانت في نوم واستيقظت للتو ، حنت لها أمها وكلمتها بنبرة ود وعطف وحنان لمَ يا حبيبتي سلبتي قلبي عليك وكادت أن تزهق نفسي ! ردت على أمها بأن احتضنتها ورمت بنفسها على حضن امها وتعانقت الأم والبنت مما جعل الجميع يفرح ويبتسم ، هناك صاح أخوها الأصغر ، أنا جائع والله وأريد الطعام ، فابتسم الجميع ، وقالوا لهُ تعال يا ابا البطن ومدت السفرة وجعلت البنات تملأ السفرة بما لذّ وطاب من طعام جلب معهم ، وتناول الجميع الطعام وهم في ضحك ومرح وعراك وهزل وكانت ليلة من العمر قضتها العائلتان معاً ، ومن فرط سعادتهم إن استمروا على مائدتهم أكثر من ساعة ونصف ، ولما أتم الجميع عشاءه وتناول الشاي الذي كانت ندى هي التي تصب لهم ، نهض كلٍ ورفيقه وبقيت البنات جالسات يراوحنّ في مكانهن ، اقترحت عليهن ندى أن يسرنّ هناك ، لتشتري بعض الكرزات فمشينّ معاً وهنّ

قلباً على قلب ، اشترت ندى بعض المكسرات وأعطت لكل واحدة ما يكفي ليملأ يدها ومشينّ ببطء وكل واحدة تشرح للأخرى حظها من نعيم الحياة وبؤسها فأما ندى فكانت تخالف البنات في إنها عزيزة البيت ومنيعة الجانب ، فهي خلقت مدللة ويجب على الزوج الذي يقترن بها ألاّ يمنعها الدلال الذي تربت ونشأت عليه ، تمرّ ايام الفرح بسرعة وكأنها بخطف بعكس ايام البؤس تراها تمشي الهوينا ولا تمر حتى تسلب الروح صفاءها ورونقها ، تواصل ندى دراستها ولحسن تفكيرها وتصرفها إنها وضعت لها برنامج وخطة لتتجاوز محنة السادس الإعدادي ولكي تكون على أهُبة الاستعداد له ، فقالت : أنا سأبدأ بحفظ مادة الأدب والتربية الإسلامية ومادة الأحياء قبل الشروع بالدوام المدرسي الذي سيقبل بعد الآن بثلاثة أشهر ، فقررت أن تبدأ بمادة الأدب لأنها تعشق الشعر وتذوب في النثر ولو أحصيت عدد المسودات التي تكتبها لفاقت المجلدات الضخمة ، خصصت لمادة الأدب ساعتين في اليوم متواصلة وهي من الساعة السادسة صباحاً إلى الثامنة صباحاً ينتهي درس الأدب ، لتذهب لتناول الفطور ثمَ تذهب لمحاضرة الفيزياء الساعة التاسعة ، وبدأت في مادة الأدب فوجدت سرعة في الحفظ وسرعة في رسوخ الموضوع في ذاكرتها فما هي إلاّ عشرة أيام حتى بلغت الخاتمة منه وبإتقان رائع ، فجعلت صديقتها ساره تمتحنها ، فلم تجد لها أي خطأ أو تلكُأ ، بل كانت طلقة متقنة جيدة الحفظ والتذكر لأي بيت من الشعر أو سطر من قطعة نثرية أو هذا الشاعر لأي مدرسة ينتمي أو من أي قطر هو . فهنا بدأ الحسد يدب عند صديقتها وبدأت تأخذها الغيرة والأنانية وبدأت

تنظر لها وهي مندهشة مذهولة معجبة أيما إعجاب ، لكنه أعجاب من لا تتمنى هذه النعمة ولا هذه البركة التي تجعل صاحبها يتقدم ويتقدم ، بدأت تخاطبها كيف لكِ هذه القدرة على الحفظ ! كيف لكِ أن تقرأِ مادة بغضون عشرة أيام فقط ! كيف رغم أنا وأنتِ بذات العمر وذات الوقت وذات الظرف لمَ أنا فاشلة وأنتِ ناجحة ! ربما ولن أستبعد إنك ستحفظين مادة الأحياء بغضون عشرة أيام أيضاً لتبدأ مادة أخرى لتدخل دماغكِ ! لا أستبعد حصولك على كلية الطب ! ندى لطبيعتها الأصيلة لم تعرف كيف تميز بين قبيح الكلام ورديئة وبين ما يخفي وراءه من حسد وأنانية ، وما يخفي وراءه من حب وطيبة قلب ودعم ، فوجئت ندى بأنها في اليوم التالي أي بعد أن سألتها ساره في مادة الأدب وجدتها قد بلغته كله ولم يبقى منها شيء إلاّ ونالته حفظاً وفهماً ، استيقظت في اليوم التالي الساعة التاسعة صباحاً وجعلت تلوم نفسها وتوبخ روحها على تكاسلها حتى هذه اللحظة وذهبت تلوم أمها ، لأنها لم توقظها من السادسة صباحاً ، لكنها تفاجئت بأن أمها أيقظتها وألحت عليها لكنها وجدت رداً قاسياً من ندى تدعوها أن تتركها لتنام وتستريح ، لامت نفسها على كسلها إلى هذا الوقت ، لكنها لم تكتفِ ، بل وجدت نفسها ناحلة ذابلة تود المزيد من النوم ، فلم تستطع الذهاب إلى المحاضرة ، لأنها لن تبلغها إلاّ في خاتمتها أو نصفها على أقل تقدير ، لكن مما زاد نفورها وغضبها ، لماذا لم تقبل ساره إليها لتصحبها معها ويذهبان معاً ، ألم نتفق أمس أننا سنذهب معاً ؟ ألم تتصل بي أمس وتؤكد لي إنها ستقبل إلي ونذهب معاً ؟ ألم

تكن غير فاهمة للمحاضرة السابقة وطلبت مني ان أعيد شرحها لهـا لكي تستوعبها لماذا لم تقبل ساره إليّ !

نامت ورجعت إلى فراشها وأتمت نومها ولم تستيقظ حتى أقبلت أمها في حدود الساعة الثانية بعد الظهر لتدعوها لتناول الغداء مع العائلـة ، تعجبت ندى ماذا يجري لها أيعقل كل هذا التكاسل والإهمال ! ماذا سبب هذا النفور من القراءة واللجـوء إلى النـوم وكأنهـا لم تـنم مـدة طويلة من الزمن ، قامت فغسلت وجهها وأقبلت عليهم صـاح أبوهـا شمسك عالية ندى لمَ كل هذا التكاسل حبيبتي ؟ لا أعلم فأنا لا أعلم لماذا حصل كل هذا ولمَ لم أكتفِ من النوم ، يبدو إنكِ منذ مدة قـلّ نومك فجسمك احتـاج أن يسـتريح ولكنـه كـان مفرطـاً في الراحـة وضحك أخيها وضحكت العائلة فابتسمت ندى وضربت أخوها على متنه ولكنها بمزاح كعادتها أن تمزح مع إخوتها ، فهي قلـبهم الـذي يسكن بين الأضلاع ، أكملت غدائها ، فغسلت الموائـد مـع زوجـة أخيها ثم ذهبت إلى الحديقة فرتبتها ونظفتها وروت الورود بالمـاء ، فأصبحت كأنها جنة هكذا هي ندى عندما تقوم لمهمـةٍ مـا ، بعـدها غسلت أرضية الگـراج ثم قررت أن تغتسـل ، لكـي تبـدأ بقراءتهـا وتعوض ما فاتها من تكاسل ، لكنها مازالت تجـد فتـوراً في نشـاطها وعدم رغبة في القراءة ، فقررت أن تتصل بساره لتسألها عن محاضرة اليوم

– مرحبا

- أهلاً ساره كيف أخبارك ؟

- تمام هكذا تجيب باختصار وكأنها لا تود المحادثة ان تطول

- كيف كانت محاضرة اليوم ؟

- جيدة جداً وبخلاف كل يوم !

- ماذا حدث ؟

- امتحان امتحننا الأستاذَ وقال ندى لها عقاب عسير ولن اعيد لها الامتحان وهي بنت غير محترمة لماذا لم تقبل ولم تعتذر عن عدم مجيئها وأخذت تفتعل الأكاذيب على الأستاذ الذي لم يقل سوى : أين شاطرة الدرس ؟ لمَ غائبة ! وذاته أجاب لابد إن شيء ما حدث لها ، لأنّ ندى أكثر الطالبات التزام وأكثرهن فهماً واحترام للدروس ، فترى ماذا تفعل الغيرة عند النساء !

- يا إلهي ! أنا لم أكن صاحية ، بل كنت نائمة ولم أستيقظ إلاّ في التاسعة

- تزيد من دناءتها وتخبرها بأنها كانت أفضل طالبة في الامتحان وإنها ستحصل على مئة في مئة في الفصل الأول الذي أتمه الأستاذ الأسبوع الماضي فقرر أن يمتحنهنّ به ،

- ندى تخاطبها لماذا لم تتصلي بي ؟

- بكل صلافة واستهزاء ، فإني لم أعدك بأني سأتصل بكِ

- ماذا !

- نعم

- ألم نتفق أن نذهب معاً وهذا ما اتفقنا عليه أمس ؟

- لم نتفق على شيء حبيبتي

- شكراً لكِ

- مع السلامة وأغلقت الهاتف وكأنها هي من اتصل ! هؤلاء هنّ البنات ، الغيرةَ تكون عند الغالب منهنّ طافحة وتظهر واضحة بسلوكهن ، إن العين تكره من هو أرجح منها وهذا مثلٌ ينطبق عليهنّ جميعاً إلاّ النادر الشاذ وهذا لا يقاس به ، يمضي اسبوع يتبعه آخر وندى غير راضية عن نفسها ولا تعرف ما الذي يجري لها ، فهي تنفر من الكتاب ولم تعد تطيقه ولا يطيقها وملّته وملّها ، ترى ما الذي غيرها ؟ ما الذي جعلها حائرة مضطربة لا تعرف تفسيراً لما يحدث لها ، الحسد وببساطة هو السبب الأكبر والغيرة هي الأكثر حفيظة في نفوس النساء ، طبيعة جبلت عليها النساء والغيرة تلعب بنفوسهن لعباً وتجعلهن في حقدٍ حتى على أقرب الناس إليهن ، ذهبت ندى إلى أمها لتصارحها بما يعترضها من مشاكل وسوء حال وتغير بالمزاج ، فانصدمت أمها بما قالت لها وصارحتها وقالت لها : إنكِ محسودة يا حبيبتي وعليك عين من أحد ما ؟ يا ندى لا تخبري أحد بما انتِ عليه وبما تفعلينه وما انتِ منجزة له ، بل أجعلي أمركِ مجهولاً على

الجميع بما في ذلك صديقاتكِ ، فأنا واثقة أنهنّ يخفـينّ لـكِ حفيظـة وضغينة وغيرة ، لأنك أرجح مـنهن جميعـاً ، يـا قـرة عـيني إيـاك أن تصارحي إحدى صديقاتكِ بأيّ شيء فهن يملنّ إلى الغيرة أكثـر مـن ميلهنّ إلى المباركة والنصح والإرشاد ،. وأخذت أمها تلقـي عليهـا دروساً في الحياة وتعلمها إن الناس أصـنافٌ شـتى ، فقليلـون أولئـك الذين لا يملكـون الغـيرة والحسـد والضـغينة في نفوسـهم ، وقامـت عملت لها بخوراً وقرأت عليها سـور مـن القـرآن الكـريم وعوذتهـا وقبلتها وقالت لها : قومي فأقرئي ولا تهتمي بأي شيء يسلب فكركِ ويجعلك خاملة ساكنة ، شجعتها كلمات أمها وبث في نفسها الثقة ، والأمل وأمسكت ملزمة الأحياء ، لتبدأ بـأول تعريـف فيهـا وهـو مـا الخلية ؟ وماهي مكوناتها ، وكلها حيويـة ونشـاط يـدب في فكرهـا وعقلها ويطمح في المزيد والمزيد ، سرعان ما عاد إليها ذهنها وأخذ يستقبل أي معلومة تلقيها إليه وهو يخزن ، قضت يوماً ويوماً و يومـاً حتـى أتمـت اسـبوعين متواصـلين مـادة الأحيـاء ، لكنهـا قـررت ألاّ يمتحنها أحد من صـديقاتها بـل لجـأت إلى أمهـا وأعطتهـا الكتـاب واتفقت على أن تسألها كل يوم في فصل من الفصـول الـتي أتمتهـا ، فاتفقت أمها علـى ذلـك وكـان الفصـل الأول أسـهلها ، لأنـه يضـم معلومات عن الخلية ومحتوياتها وندى فهمته وهضمته هضماً حتـى رسخ في دماغها وهي مستعدة أن تمتحن به في أي وقت تدعى فيه إلى الامتحان ، استمرت على هذا البرنامج فبلغت قبل دوامها المدرسي ما كانت ترجـوه فقـد أتمـت حفـظ الأدب والتربيـة الاسـلامية ومـادة الأحياء ، ندى تقبل على عامها الدراسي بكل عنفـوان وبكـل طاقـة

لاستقبال المستقبل بصدر رحب وبسعة فهم عالية وطموح يلح عليها في أن تبلغ أرقى مراقي الحياة ، قليل من النساء العراقيات من تفكر في المستقبل العلمي الذي ستطمح إليه ، لأنها تدرك إن مستقبلها بزوج يعطي للحياة طعماً ولذة أو زوج يسلب الحياة لذتها ورونقها ، لكن ندى ملكها شعور ورغبة فسرعان ما أخذت تلح عليها الرغبة في أن تجتهد وتسعى وتطمح في أن تحقق تلك الرغبة ، مهندسة ندى ، ندى الصيدلانية هكذا كانت تمني نفسها ، جميلة هذه الجملة على قصرها ، لكنها بلغت في نفسية ندى مبلغاً عظيماً

جعلتها تفكر بها كلما أقبل الصباح وكلما تلاشت الشمس ، الرغبة والطموح ووضوح الهدف هو سمة يتحلى بها الناجح ذكراً كان أم أنثى ، الهندسة تحتاج إلى من يجيد الرسم والخيال ومن لم يملك هاتين الميزتين لن تنفعه الدراسة شيئاً ، ندى ترسم ، وكأنها فنان وبيده لوحه وهذه اللوحة تقبل عليها بطموح عالٍ ورغبة للحصول على درجة في سلم الحياة ، بلدها كان محتاجٌ الى ابداع في الطب او الهندسة او الصناعة او أي صنف من صنوف العلم ، لأنه عانى ما عانى من الحرمان ، فوجدت بين الاحتياج والطموح طريق نحو الإبداع الذي سيترك أثراً في خريطة الوطن ، فكم رسمت من مشاريع ، وكم خططت من خطط ، وكم وضعت برامج لتغير من الطرق المزدحمة ، لتجعل الطرق أكثر ليونة وأكثر انسيابية ، لكي تنعم الناس بمشروع تنتفع به ، تدخل مدرستها مرتدية قميصاً أبيضاً وجبةً نيليةً وحجاباً ابيضاً وحذاءاً كما تود أن تلبس أبيضاً سبورت ، حقيبتها على متنها ،

مقبلة على لوحة الأسماء لتعرف في أي من الصفوف ستجلس ، ندى في الصف الأخير ، لأن الأسماء. رتبت على حسب الحروف الأبجدية وكانت هي في أواخر ترتيب حروف اللغة ، فعرفت الصف الأخير هو الذي سيكون مختبرها لكي تخرج منه لتذهب إلى ركب الحياة الجامعية كطبيبة او كمهندسة او كمعلمه ، لكنها اقتنعت بالهندسة واحبتها ، فإذن من هنا ستبدأ أحلامي في التحقيق لما أصبو إليه هكذا كلمت نفسها ، وكانت من أكثر الطالبات حرصاً على الدوام واندفاعاً للدرس ، فأغلب الطالبات لديهن دروس خصوصية لذلك تجدهنّ غير مهتمات للحضور لولا سجل الغيابات الذي يحكم لزوم حضورهنّ الدروس ، لكن ندى كانت تحضر الدروس كلها حتى الدرس الذي دخلت فيه خصوصي، فكانت تعتبر المحاضرات المدرسية هي إعادة وزيادة بالفهم لما أخذته سابقاً ، وبعكس زميلاتها ، فقد اكتفينّ بالحضور من أجل ألا تسجل إحداهن غائباً ، كانت محط أنظار وإعجاب كل الأساتذة والجميع توقع لها معدلاً يبلغ بها كلية الطب أو الصيدلة ، لأنها كانت تنافس على الدرجات العالية وتلح بالجهد والاجتهاد ولم تمل، بل ثابرت وبقيت تثابر وكانت لديها مجادلات مع كل أستاذ يدخل ، فلديها مجموعة أسئلة تود الإجابة وتود التوضيح ، فذات يوم كانت هادئة ساكنة دخل أستاذ الفيزياء وأخذ يشرح الدرس والكل ساكت عندها قال : تكلمي ندى ، فأنا محتاج أن أتزود منك معلومات ، فقالت إحدى الطالبات وكيف تزودك معلومات وأنت أستاذنا ؟ قال : إنها تسأل أسئلة يتحتم عليّ أن أعيد بذاكرتي إن عرفته وإن لم أعرفه بحثت معها

حتى نحصل على الجواب ، دائبة في العمل دائبة في القراءة ودوماً كنت تقرأ أكثر مما تنام وتأكل هكذا هم الذين يرسمون لمستقبلهم خطة ويسيرون عليها آملين أن يكون المستقبل مشرقاً مزدهراً لهم ، فما زال أمرها في الكتمان ، فهي تستيقظ صباحاً في السادسة لتغتسل ثم تتناول وجبة صباحية مع العائلة الكريمة ثم الذهاب إلى التنسيق والترتيب ، ندى لا ترتدي شيئاً غير مألوف ، بل هي ذات الجبة وذات الحجاب وذات الحذاء لكنك تراها وكأنها اليوم اجمل واحلى وألطف من سابقه ، فهي متجددة على الدوام وتخرج وهي بأعذب هيئة وأرقى محيا وتمشي وكأنها وردة تنشر الشذى حيثما حلّت ، تدخل إلى المدرسة بكل عنفوان وبكل نشاط وغضارة وتسلم على هذه وتعاكس تلك وتمشي مع هذه إلى أن تستقر مع رفيقتها ساره لتمضي معها الدوام كله ، لا تمر محاضرة إلاّ وتجدها قد أعدت نفسها لها أيما إعداد مما جعل الضوء مسلطاً عليها أكثر من غيرها فأمست محط إعجاب وإطراء ومديح مطنب من قبل الأساتذة فولّد لها خصوماً من بين لداتها واقربهن إليها بالأخص ! لكنها لم تعبأ إليهن ومضت ولم يهمها مدح من مدح أو ذم من ذم أو غيرة من تغار ، في أغلب فرص

الاستراحة تتحدث البنات بعضهن إلى بعض وتصارح هذه تلك وتلك هذه ، وتجد ندى ألوان من الأمزجة المختلفة فتجد أنماط شتى وكأن المدرسة عبارة عن ثقافات شعوب شتى فكل بنت تعبر عن خُلق وأخلاقيات أهلها وما تربت عليه ، فتجد المحافظة والمعتدلة ، وتجد

المنحرفة ، وتجد المنافقة التي تعمل بالسر خلاف ما بالعلن وتجد هذه لها غاية وتلك غاية وهذه تكره تلك ، لأنها أجمل وتلك تكره هذه ، لأنها أذكى وهكذا ترى تلك الحياة لتدخل عالم كيانها من الداخل فتبصر البنات وكل واحدة هي مختبر ثقافة ، في أمور الحياة نحتاج إلى خبراء الحياة الذين جربوا الدنيا كلها وخاضوا غمراتها وعجنوا بها وامتزجوا بكل ما فيها من خير أو شر ، تعجب لما ترى ويأخذها الذهول من هذه التناقضات التي تبصرها من هذه البنات ، فإحداهن اعترضتها ذات يوم وسألتها : ندى هل في قلبكِ أحدٌ ما ؟

- بكل ثقة لا

- أيعقل هذا الجمال وهذا السحر ولا أحد يعكر له بالاً أو يشغل له فكراً !

- لا ، لم يحصل

-لأنك لا تعرفي من دنياكِ غير هذا القراءة

- أجد اللذة والحياة في أن أكون ذكية ، لكي أحصل على ما أطمح إليه

- يا سيدتي وهل لنا حياة في العراق لكي نعيشها ؟ ندرس ليأتي أحدهم ، فيتزوجنا ونمضي معه حياة إما بؤس وشقاء وإما نعيم ورخاء ولعله نادر جداً

– نظرتك خاطئة بإمكانكِ وأنتِ زوجة ان تمارسي حريتكِ وتفرضي نفسك فرضاً ولا تكوني مسلوبة الإرادة مقيدة الحرية .

– أتمنى أن أكون صيدلانية وأحظى بشخص يتفهمني وأفهمه

– إن شاء الله تحصلين عليه .

– آه يا ندى كم أتمنى أن أكون شيئاً ذا بال وقدر عالٍ ، فلديّ الرغبة والطموح ولكن أملي يبدو ولعلّه ما زال ضعيفاً ولعله سيبقى هكذا ،
– دوام الحال من المحال ولابد لـكِ أن تتحلـي بالصـبر والشـجاعة للحصول على مرامكِ

– ندى أنتِ عزيزة عليّ ولديّ طلب .

– نعم تفضلي

– أنا أريد منكِ ان تتركِ سارة ، فهي لا تحبكِ كما أرى و كثيرة النقد لكِ ودومـاً تـتكلم بمـا لم يوجـد فيـكِ فهـي منافقـة وذات وجهـين احذريها والحذر واجب ، لأنك عزيزة عليّ حاولت نصحكِ

– أسكتي ولا تتكلمِ عن سارة ، فهي صديقتي واختي وأخذت تعدد لها مواصفات ساره التي لم تملك ولا واحدة منها ، هكذا هي نـدى لم تقبل أن تأخذ غيبة أحد مهما قرب أو بعُد فهي تمقت أن يتحـدث أحدٌ على أحد في غيابه ،

– تتعجب ، يا سيدتي أنا لم أتكلم إلاّ من باب النصح والمحبة لكِ ، لأني أعرف ساره منافقة أكثر منها صديقة وستبدي لكِ الأيام حقيقتها وتعرفي إنك قد انخدعتِ بها

– هي صديقتي وتحبني واحبها ونحن قلب على قلب لا يفرقنا أحد هكذا ردت على من أراد أن يطعن بصديقة لها

– ذهبت هذه البنت حائرة من رد ندى وإنها بهكذا نقاء وتمشي مع حقيرة مثل ساره . هكذا يرد الشرفاء عندما يطعن ويحكي على أحدٌ في غيابهم ولكن الدائرة تدور وذات البنت التي سألت ندى وحذرتها من ساره ، تذهب هذه البنت إلى ساره ، لتحكي وتطعن وتشنع على ندى ، أرادت البنت أن تختبر ، لكي تقارن بين ندى وساره ولتكشف حقيقة لما تزل غير واضحة ، أقبلت على ساره وخاطبتها :

– رأيت أمس ندى تمشي مع أحد الشُبان يسيران مع بعضهم البعض وهي تضحك حتى وصلا إلى البيت قبلها من فمها وعصر جسمها فردت له القبلة اثنين والعصرة عصرتين وتبادلا مشهداً رومانسياً وهم بدون أي شيء يغطي لهم تلك اللحظات المحرمة شرعاً وعرفاً فلا هما مخطوبان ولا زوجان ، بل مارست ندى الرذيلة وهنا تتمظهر بالشرف والفضيلة أمامنا

– حقاً !!! ربما يحصل من ندى ذلك

ما أسخف هذا الرد وما أقبح هذا الجواب كيف تسمح لنفسها ان تطعن وتشكك ، بل ترمي صديقتها بشرفها الذي هو أغلى ما تملك وأعز ما احتوت ، عندها بدأت سارة وكأنها لم تعرف ندى ، بل ساهمت وأقرت إن ذلك الفعل المشين قد يصدر من ندى لمَ لا فهذا احتمالٌ وارد ، انا لا أضمن نفسي حتى فكيف أضمن صديقة لي ، هكذا ردت ساره وتحدثت عن نفسها المريضة ، فرحت هذه البنت لانكشاف الحق والحقيقة لها فوجب أن تصل إلى ندى لتعلم خبث صديقتها ولتحذرها فهي تخفي خلاف ما تظهر ، أقبلت على ندى لتخبرها ما سمعت من رد ساره على التهمة التي وصمت ندى وكيف كان ردها وجوابها ، لكن ما فاجأ هذه البنت إن ندى ما زالت على طيبة قلبها وصدق سريرتها وعلانيتها فلم تطعن ولا تأتي بالكلام القبيح بحق ساره ، بل بادرت برد الحكماء لهذه البنت : ومن أنتِ والفرقة بين الأصدقاء ! فهي صديقتي الوفية المخلصة التي لن احيد عنها ولن أخذلها قط افهمتِ ! هذه البنت قررت أن تصمت وتلجأ إلى الخضوع لما قالته ندى .

وعرفت هذه البنت ، إن ندى فقيرة الحال وطيبة ويجب ألاّ تزعل منها تركتها وودعتها بتحية واعتذرت لها ورحلت مذهولة مصدومة من تناقض بين قلب ندى وسارة بالرغم إنهنّ صديقتان حميمتان ! مضى الشهر الأول من الدوام المدرسي فأدركهنّ الامتحان الأول ، فظهرت ندى تفوقاً ملحوظاً وجعلت تتفوق على أغلب زميلاتها ودوماً كان يستشهد بأخلاقها وذكائها ، عادت ذات يوم متعبة من

الدوام منهكة وبنفسية مرهقة من جراء الانكباب على القـراءة حتـى ازهقت نفسها وعذبتها من نعيم الدنيا ، قررت أمها أن تأخذها عصراً لتغير من نفسيتها ولتعدل من مزاجها الذي عكرتهـا السـنة الدراسـية وضغط الدراسة الذي يكثر من الحـالات النفسـية ويصـدم الطـلاب ويعقدهم تعقيداً ، عصراً ستخرج ندى لمنطقة الكرادة بصحبة أمها ، فور عودتها من المدرسة رمت بنفسها على السـرير ونامـت دون أن تغير ملابسها ، غطت في نوم عميق كالأطفال ، فهم يشبهون الملاك بنومهم ، وراحت ندى تسبح في فضاءات شاسعة باحثة عن مستقبلها الذي لم تعرف عنه شيء وتود أن تعرف بصيص أمل منه ، مـاهي إلاّ ساعة وبعضها حتى أفاقت لتغير من ملابسها ثم اغتسلت وتحضرت ، لتخرج مع أمها لترفه عن نفسها التي لم تذق طعم المتعة طوال مدة ، خرجت مع أمها وهموم السادس ومشاكله تذهب معها لتؤرق عليها حتى لحظات السعادة والبهجة ، قررت أن تنسى السـادس وهمومـه كلها ، لتغير من نفسيتها التي أمست كئيبة وتعقدت نوعاً ما وظهرت علامات التغير على جسمها ، فهي ضعيفة شاحبة مصفرة ذات عيون ذابلة وجسم نحيف ، رمت هموم السادس العلمـي وراءهـا وراحـت ترفه عن نفسها ، فدخلت هذا المول وخرجت من ذاك ، وقررت ان تذهب إلى مدينة الألعاب ، لتجد المرح والهزل هناك ، لعبـت ألعابـاً سلبتها البؤس كله وجعلتها تطير فرحاً ومرحاً ، فـأدركهم المسـاء ، عندها قررت العودة بعد أن وجدت للحياة طعمـاً ولـذة بيـوم قضـته جميلاً رائعاً بهيجاً ، عادت وكلها طاقة وحيوية ، وصلت إلى البيـت وهي ما تزال مرحة سعيدة بهذا اليوم وأمها كانت معها في كل ما تقرر

، لأنها شعرت بحجم الكآبة التي تمر بها ندى ، لما وصلت إلى البيت قررت ألا تقرأ شيئاً وتترك هذا اليوم يمر بسعادة وراحة للدماغ ليعيد نشاطه بكل عنفوان وإقبال ،

مر شهر وشهر وآخر وهي مستمرة بجدها ونشاطها حتى بزت أغلب قريناتها والجميع توقع لها كلية الطب بعد ان تفوق معدل التسعة والتسعين في المئة ، أقبلت عليها فترة المراجعة وكانت فترة شهرين والجو حار حتى إنه تبلغ درجة الحرارة ثلاثة وخمسين في بعض الأحيان ، فترى الطالب بين صراعين صراع مع المادة المقررة والتي يجب أن يتقنها كلها وبين ظروف لا تساعد واجواء غير ملائمة ، وكلها تبعث في نفوس الطلبة الضجر والملل حتى زهقت ارواح كثير منهم ، لأن السادس الاعدادي هو مفترق الطرق أو درجة الفصل بين مختلف الكليات ، فكم قتل احلاماً لدى الشباب وكم أيقظ احلاماً وكم حقق طموحات لدى الشباب ، وأمسى نعمة ليس مثلها نعمة وعند بعضهم نقمة وأيّ نقمة ، رسمت خطة لمراجعتها واعطت لكل مادة حقها من الوقت وكم يلزم كل مادة من الأيام لكي تتمها ، وقررت أن تبدأ من آخر المواد وبدأت ببرنامجها الذي يبدأ في السادسة صباحاً إلى الثامنة ثم لتأخذ فترة لتناول وجبة الإفطار وهي ساعة كاملة لكي تريح عقلها وفكرها ثم تنهض لتكمل القراءة حتى بلوغ الساعة الثانية عشر ظهراً لتترك الدراسة وتذهب إلى الصلاة لكي تستلهم من الرب قوة وصبر وعزيمة وهدوء نفس وراحة وطمأنينية ثم فترة الغداء تعقبها ساعة راحة ثم ساعة نوم ثم تأخذ حماماً لتعيد

لجسمها الطاقة التي ربما فقدها ، فتبدأ قراءتها في الرابعة عصراً إلى ان يدركها الغروب لتترك القراءة جانباً ، وتمارس صلاتي المغرب والعشاء ثم تتناول العشاء ، وتقرأ ساعتين لا أكثر ثم تذهب فتجلس مع العائلة وتترك لنفسها تعمل ما تشاء ولما تحين الساعة الثانية عشر صباحاً تنام وهكذا كان برنامجها اليومي حتى أقبلت عليها الامتحانات النهائية وهي على أهُبة الاستعداد لأي شيء ، اقبلت الامتحانات وكانت ندى متحمسة لها ومتقنة لكل المواد المقررة .

اتمت الامتحان الأول والثاني حتى فرحت وشعرت بالغبطة والسرور حتى ادركها امتحان الثالث مال بها إلى الوراء وجعلها تخيب الظن به وتنصدم به ، لكنها أبت إلاّ أن تمضي ولن تنكسر حتى عادت من كبوتها وغيرت من قراءتها حتى أتمت المواد كلها ، فلما عادت من الامتحان الأخير قررت أن تنام اليوم كله ، لتذهب غداً إلى سفرة ولتكن خارج العراق ومن درجة حب أهلها لها قرر والدها بأن يصحبها معه وأمها لرحلة إلى تركيا لتعيد عذوبتها ورقتها وجمالها وغضارتها ، وبالفعل لجأت إلى النوم وكأنها لم تنم منذ عام كامل ، وفي هذا اليوم لم تحلم بأيّ حُلم ما ، لأنها كانت منهكة ومتعبة ، ولما قرب الفجر أن يقبل ، تحركت ندى بحالة تثائب واستيقظت من نومها العميق ورمت بالغطاء جانباً ونهضت متثاقلة مرتدية التِراك سود وبشعر ملفوف لف ، غسلت وجهها ونشفته وفتحت باب الصالة لتخرج إلى الحديقة لتشم عطر هذه الزهور التي تكون في هذا الوقت تَهبُ نسيماً مطعماً بعبير نديّاً فواحاً ، تمشي الهوينا وبتثاقل رفعت

رأسها إلى السماء مغمضة عينيها وأخذت تستنشق هذا الهواء العذب الجميل الذي شرح صدرها وعبث بشعرها فرمى به هنا وهناك على جانبي وجهها و كتفيها ، تمددت في الأرض أخذتها حالة من البرد الذي يشرح الصدر ويريح النفس ، هدأت نفسها وتاهت في هذا الفضاء محلقة بأعلى الفضاء هائمة لا تلوي على شيء ، لا أحد يعكر لها صفواً ولا أحد يسلبها هذه الخلوة التي أفضت إليها ، هنا أخذتها سِنة من التأمل كعادة العظماء ، فإنهم يكثرون من التأمل في الكون ، ليجدوا حلولاً لأسئلة تخطر على بالهم دوماً وتطلب الجواب فالجواب ، ندى سألت ماذا سأحقق غداً ؟ ماذا سأكون غداً ، من سأحب لأتزوجه غداً ، شغلها فكرها بهذه الأسئلة التي طرحتها وتركت الجواب حراً بلا قيود لتجيب عليها هذه الطبيعة الخلاّبة وتعطيها الجواب كحلم لكنها ما زالت مستيقظة ! ربما ستنام هنا لتجد حُلماً يتماشى مع ما تود وما تحب أن تسمع ، خواطر تعتصرها وقلبها يلحُ عليها معرضاً تارة ومؤنِباً أخرى ، هل ستكون مهندسة يشهد لها الجميع بالكفاءة والعلمية وذلك بما تحقق من رسم هندسي معماري متقن مبدع مصمم بأجلى تخطيط ومتقن كل الأركان ، ويكون هنالك حفلٌ عظيم ، يُقدّم لها على مشروعها العظيم الذي هو خدمةٍ لبلدها العراق الذي دمرته الحروب الداخلية والخارجية ، الذين عبثت أهوائهم فشتت أفكارهم تراهم أقل الناس إنتاجاً وبناء ، لذا سأكون واضحة الهدف مستقيمة الفكر مشغولة بشيءٍ واحد لا أكثر ، لكي أصب اهتمامي نحوه بكل جد وإتقان ، والحلم الثاني ، هو ان تجد ذلك الفارس الذي سلبها طعم نومها وجعلها تركن إلى الأحلام

علّها تجد متعة وإن كانت في عالم الأحلام الذي سرعان مـا يتلاشـى ويضمحل عند أول صحوة أو يقظة ، قررت إن تترك هـذا الحُلـم إلى المستقبل ، ليجد لها وثم يكون لها رأيٌ بقبول ما يقسمه النصـيب ، وإما تترك لنفسها هي من تختار ، بعض النساء هي التي تجلب الزوج لها سواءً بمكر أو بحيلة أو بغزل يخفي وراءه خديعة ليقـع الـزوج في شباكهنّ أسيراً لا يقوى على الهروب ، نامت ولعلها هي من طلبت النوم ، لتجد عنده حياة ربما لا تتجاوز الساعات أو لربما لحظـات ، أخذتها سنة من النوم فلم تنهض ، حتى أدركتها الشمس ، فأحسـت بحرارة تغطي جسدها الجميل الذي بدا أكثـر إشـراقاً بيـوم مشـمس وجميل ، صباح الورد يا وردة الدنيا هكذا صبحت أمها عليهـا ردت صباح الخير ماما ، لمَ أنتِ نائمة هنا ؟ استيقظت مبكـراً ، فوجـدت الجو هنا يسحر الفؤاد ويشرح الصدر وينفس على النفس بما عـرض لها من بؤس وكآبة فيما سلف من أيامها ، تعالي لنعد الإفطار معاً قبل أن يستيقظ أبوكِ وإخوانكِ ، نـدى حركـة نشـطة لاتقـف ولم تكـن كسولة ، بل دؤوبة ، فتراها تنظف هنـا وتمسـح هنـاك وتغسـل هـذا وتلمع ذاك ، جميلة بكل ملامحها الشخصية ، طول ، رشاقة ، شـعر طويل ، أناقة ، بيضاء ، حنونة ، رقيقة ، يجرحها شيءٌ بسيط ويفرحها شيءٌ ابسط ، تحب الرسم تهوى الكتابة وتذوب في القراءة ، جلست امام المائدة والجميع يرى الفرق بين شحوب الوجه امس وغضـارته وبريقه اليوم ، يداعبها أخوها مـا هـذا المـلاك يـا عـيني ، تـرد عليـه بابتسامة كلها ملاك وسحر ، لم تفتح ثغرها ، بـل اكتفـت بابتسـامة خاطفة دون ان تحرك أياً من الشفتين ، اكملوا افطارهم وهم فـرحين

مسرورين كلٍ ذهب إلى دوامه أو عمله وبقيت النساء في البيت ، كل واحدة لديها عمل تقوم به ، هذه للفرش ، وتلك للجدران ، وتلك للموائد وهكذا كل واحدة لديها عملٌ تؤديه ، ندى مرتدية تراكاً أسوداً ، مطعماً بلون الورد وبنصف ردن ، وشعرها ملفوف بلفافة تحافظ على انتظامه دون عبث ، فلما بلغت الساعة العاشرة والنصف صباحاً ، وإذ بالباب تطرق وخلفها يقف ثلاثة نساء كل واحدة تبلغ بعمر أم ندى ، رحبت بهم ندى وكانوا جيراناً لهم فأدخلتهم صالة الضيوف وجلسنّ ، اقبلت عليهنّ أمها مهللّة مرحبة بقدومهنّ ، بأحلى ترحيب واجمل كلمات وبوجه مبتسم وبصدر رحب هكذا تم استقبال هؤلاء النسوة التي اقدمن لأمرٍ ما ؟ خرجت ندى لتعدّ لهم ما يقدم للضيوف عادةً ويبتدأ بالماء ويلحقه العصائر أو بعضاً من الفواكه ، شغلنّ بالحديث والثرثرة التي هي عادة ودأب النساء كلما جلسن معاً ، فتجد كل واحدة تصور نفسها وبناتها على إنهنّ ملائكيات بصورة بشرية والمستمعة ترد عليها بمثل ما تحب ان تصور نفسها ، كل واحدة تظهر على إنها سيدة النساء في كل الأزمان وكل الاوقات وهي الصابرة على كل ما يعتصرها من خطوب تلم بالعائلة أو مما يحيق بها من سوء معاملة من الزوج أو كسر خاطر من ابن متمرد مراهق ، اقبلت عليهنّ ندى بوجه مبتسم كعادته مقدمة لهنّ الماء والعصير البارد الذي يثلج القلب في ظل هكذا جو شديد الحرارة ، بيوم تبلغ به درجة الحرارة ما بين الواحد والخمسون درجة مئوية ، ارادت ان تخرج وتترك للضيوف حرية الكلام وحرية الاقوال التي ربما توجد بها ما هو خاص ولا ينبغي ان تطلع عليه البنات بمثل

عمرها ، همت بـالخروج لكـن سمعـت صـوتاً يـدعوها بـالمكوث والبقاء بالقرب منها ، فوجدتها احدى النساء التي اقبلن معاً وهي تشير إليها بأن تجلس بالقرب منها ، ندى نظرت إلى أمها ، تود أن تعـرف ماذا ستفعل ؟ غمزت لها أمها وأشارت عليها بالجلوس فجلست قرب تلك المرأة ، اخذت تقبلها بوجهها وتقول لها ما شاء الله تبدين الآن أكثر جمالاً من ذي ، قبل فلقد اكتمل القمر للتو واصبحتِ وكأنـكِ وردة متفتحة وبدراً بليلة ظلمـاء ، خجلـت وأطرقـت بوجههـا نحـو الأرض وظهرت على وجهها علامات الخجل وهي الاحمرار والعرق والذبول ، حاضنة لها ما بين رقـة وتلطـف وتـودد ، واخـذت تقـص القصص عن ابنها الطبيب الذي يعمل الآن في المستشفى ولديه منزل له وسيارة بأحدث الموديلات ، ومتمكن من نفسه ومستقيم ولديه و لديه واخذت تعدد مزايا وخلال لابنها سواءً موجود بعضها عنـده أو لم تكن موجودة ، تلك عادة الأمهات عندما تذهب لتخطب لابنها ، فإنها تأخذ بسرد القصص والحكايات عن ابنها ، فيظهر وكأنه أفضل الشبان جميعاً ولا أحد مثله ومثل شهامته ورجولته ومروءته ، هكـذا تبالغ الأمهات وأكثر واكثر ، ندى مازالت لم تع ولم تفهم المغزى من كل هذا المديح والإطراء المبالغ به ، عندها اشارت امها بأن تخـرج لتساعد زوجة أخيها ، خرجت ندى وعندها نطقت المرأة بما أقـبلنّ من أجله .

– حبيبتي اليوم جئنا نخطب منكِ ندى لولـدي رامـي وانـتِ تعـرفين رامي واخذت تقص وتروي لها مواصـفات رامـي ، عنـدما اكملـت قالت ما رأيكِ ؟

– لا رأيّ لـدي وحـدي فلـدى نـدى أب وأخـوة ولديـــها رأيهـا الشخصي .

–نحن نعرف أن المرأة تستطيع ان تعلـم بنتهـا وترغبهـا بقبـول هـذا الشيء ورفض ذاك

– يا أم رامي هذا زواج ولـيس شـيء عـادي ونحـن لـن نجـبر ابنتنـا الوحيدة على رجل لم تحبه ولم تعرف عنه ولم تقبل به

– وماذا ينقص ابني ألافَ البيوت تتمنى ان نطلب منها لكنا آثرناكم ، لأننا نعرفكم افضل البيوت وبنتكم دخلت قلوبنا ونود ان يقترن ابننـا بها

– اريد ان اخبر أباها واخوتها وثم نأتي إليها لنعرض لها ، فـإن أبـت ولم توافق فُنحن معها ومع رأيها مسلمين لها ومنقادين

– ماذا ؟

– أجل نحن نشاورها ولها الرأي ، فَهي التي ستتزوج وليس نحـن ، الجميع هنا عند طوع أوامرها ولن يكسر لها أحدٌ كلمة أو يخالف لها رأي .

– لكن نريد منكِ أن ترغيبها بالزواج مـن رامـي وانـتِ بإمكانـكِ أن تؤثري عليها فأنتِ أمها .

– نعم أمها ، ولكن لن أجبرها وأرغبها ، فَهي واعية وتعرف ، كلمـا ارادت أن تصرفها ، فلم تستطع عندها صارحتها بالقول ، لن نزوجها ، فهي ما زالت صغيرة وتريد أن تكمل دراستها الجامعية ،

– قالت نعم تكمل ولن نمنعها من الدراسة .

– فوجئت بهذا الرد حتى قالت لها : يا أم رامي نحن لا مشكلة لدينا مع الشخص وهو ابنك ولا معكم ، فأنتم عائلة محترمة مصانة ثم أنتم جيراننا لمدة ثمان سنوات ، فنُحن رفقاء عمر وجيران وأهل ،

– امتعضت من جوابها ، ولم يعجبها هكذا رفض مـن أول الطريـق ، لأنها كانت متوقعة القبول السريع المرحب به ، عندها بنبرة غضـب تخاطب من اقبل معها هيا يبدو إننا ليس لدينا في الطيـب نصـيب ، و ارتدت عباءتهـا ونهضـت مسـتقبلة البـاب والتفتـت بوجـه أم نـدى تخاطبها بكلمتين لا أكثر وبنبرة حادة مع السلامة وخرجـت ومعهـا الأثنتين التي جلبتهنّ وجاهه وواسطة لبيت أهل ندى ، دخلت ام ندى ، فاستقبلتها ندى ما الخبر ماما ؟ ترد عليها لا عليك أهتمي بما أنـتِ فيه واحتضنتها وقالت سبحان هذا الجمال ، فلقد أصـبحتِ عروسـاً وأجمل البنات ، ابتسمت حياء وضمت رأسها على صدر أمها ، لتضم خجلها واحمـرار وجههـا ، لم تكـترث لأي خاطـب يخطـب نـدى وكانت تردد دعها تكمل حياتها الجامعية ، دعها تشبع راحة وهناء ،

دعها تدرس لتحقق ما تحلم به ، دعنا نعيش حياتنـا بوجودهـا ، فلـم نتحمل فراقها حتى وإن كان زواج ، فهي الحياة التي في هـذا البيـت هكذا كانت تردد أمها فيما بين نفسها وندى على صـدرها إحـداهنّ محتضنة الأخرى ، يوم ويوم و يوم وندى بحالة ترقب وانتظار ليـوم إعلان النتائج التي ستعرف إين سيكون مستقبلها ، تنتظر وكلها أمل ورجاء عسى أن يكون المستقبل يخفي خـيراً ممـا نحـن فيـه اليـوم ، فأبوها رجلٌ محامي ولديه معرفة بمشاكل المجتمع ويـرى الجـرائم التي تتكالـب علـى المجتمـع البغـدادي ، فغـيرت مـن طبيعـة أهلـها وجعلتهم كأنهم في غابات إمـا أن يكونـوا وحوشـاً وإمـا سـيكونون اللقمة بيد من هو اقوى وامضى ، البغداديون مسالمون مدنيون عاشوا بحُب وود ووئام وانسجام فطغت على بغداد بعد سقوط صنم البعث المقبور مافيـات ومليشـيات مسـلحة تجـوب الطرقـات عابثـة بـأمن المواطنين ومروعة لهدوئهم ، دجلـة ذلـك النهـر الـذي يشـق بغـداد ويدخل في عمقها ويجعـل منهـا مدينـة ولا أجمـل ومنطقـة سـياحية يرتادها كل من أراد أن يجد متنفساً مما يكابد النفس من محن مؤلمة ، وترى الشعراء كلٍ ممسك بقلمه وقرطاسهِ ويجلس على ضفتي هذا النهر العظيم ، فيلهمه النهر فيض كلمات كلها حس وجداني وضمير حي وكلمات رقراقة ، يجلس هنا الشاعر، ليكتب قصـيدةً ويجلـس هنا الكاتب ، فيأتيه الإلهامُ من هذا النهر ، فيكتب ويكتب حتى تتعب يداه ويملأ صحفاً وصحفاً من سجله ، هنا يجلس العشاق ليتسـامروا مع بعضهم بعض فكلٍ وخليله ليشربا من هذا النهر عشقاً ، ويأخذا منه طيبة وحُب ونقاء ، تغيرت ملامـح مدينـة بغـداد كـثيراً بعـد دخـول

الاحتلال ، الناس ، الحياة ، الحُب كل شيء تغير وتبدل ولا يعلم لمَ هذا التغير ولم هذا التبدل ، بغداد تستقبل كل يوم حبيب ولكنها ليست بعاهر هكذا كانوا يعبرون عنها ، فماذا حدث يا ترى ؟ ملئت بقيم أقبلت دخيلة عليها وبمذاهب متحزبة أو احزاب متمذهبة كل وقومه بما لديهم فرحين ، دمرتها تلك الاحزاب ونخرت قواها وفككت عرى اوصالها ، مرت دورة انتخابية اولى بعد سقوط الصنم ، لكنها لم تقدم حلاً لبحر الدم لينقطع ، محن ومحن و محن تعصف على بغداد وكأنها قطع الليل المظلم البهيم ولا يراد لها ان ترى بصيص امل او بصيص حياة آمنة مستقرة ينعم بها الناس بصفاء ورخاء وعيش هادئ ، على حين غلفة تفتح ندى التلفاز وترى إعلاناً يقول إن غداً سيكون موعد إعلان نتائج طلبة الصفوف المنتهية ، فرحت وخشيت من هذا الإعلان ولكنها كعادتها تحمست واخذتها القوة وتجلدت لما مقسوم لها او ما يقسم لها من هذه المرحلة العمرية او السنة الدراسية ، معدل السادس الاعدادي يقف عليه طموحات وآمال الطلبة واهلهم وكلٍ ممسك قلبه بيده لمعرفة ماذا سيكون معدله غداً وأيّ جامعة او أيّ كلية ستكون هي الاستحقاق ، بدأت الاتصالات بين الطلبة كل يطمن زميله ، القلوب تعتصر والدعوات تصل إلى أعنان السماء والابتهالات مستمرة والمناجاة والادعية هي السمة التي تطغى على القلوب في تلك اللحظات ، بقيت ندى تحسب اللحظات بقلب واجف ومعتصر ونفس ذائبة منكسرة تود البشارة التي ستقر عينها وتفرح قلبها وتنشر السعادة على محياها ، ساعة وأخرى وإذ بالبشارات تقبل تباعاً لكنها بشارات تشير إلى كم هائل من

الاحصائيات السلبية ، فالطلبة يشكون من صعوبة الأسئلة الوزارية والمعدلات هابطة والطموحات كادت ان تقتل ولكن مازال في الأمل بقية ، يدها إلى السماء وعينها على ان تهطل بالدموع ، لكنها تحلت بحب الله فألهمها هذا الحب صبراً وثباتاً كانت محتاجة إليه بشدة ، يتصل صديق لأبيها ينبئه بأن ابنه حصل على معدل السبعون وهو من الطلبة المتفوقين الناجحين دوماً ، لكنه اصابه ما أصابه من تردي وانتكاسة عكرت حياته عليه فأنصدم بهذا المعدل ، فاعتصر قلبه وداهمته أزمة نفسيه لها بداية ولا يعلم بنهايتها إلى أي مدى ستصل ، ندى سمعت هذا الخبر ، فألمّ بها واحزنها ، لأنها عرفت مدى نبوغ هذا الطالب وسعة قراءته وإنه في كل مراحله السابقة كان من الطلبة الأوائل لكنه هذا هو السادس للحظ دورٌ في بعض الاحيان ، فما هي إلاّ ساعة حتى أقبل أخوها وبيده الفرحة التي ستملأ قلب العائلة سعادة ، طرق الباب بقوة واذ يفتح له الباب اخوه ، يركض بسرعة مقبلاً على ندى يقول لها : ندى الف الف مبارك ، معدلك ثلاثة وتسعون ، شهقت لسماع هذا الخبر فزغردت أمها بأعلى صوتها واخذت ندى ذاهلة لا تعرف ماذا تفعل فقد غمرتها سعادة ايما سعادة وفرحة أيما فرحة فها هي الخطوة الأولى تتحقق لها ، فمعدلها يسمح لها بالدخول في كلية الهندسة وبالأخص المعماري ، احضان وقبل وبكاء مطعم بدموع الفرح تنهمر وكأن للبيت عيدٌ أقبل لكنه افضل الاعياد مطلقاً كان بالنسبة لندى ، ارادت ان تطمأن على صديقتها ساره وتبشرها بأن معدلها ثلاثة وتسعون ، اتصلت عليها بفرحة وبقلب طيب :

- مرحبا

- أهلاً حبيبتي ساره هل حصلتي على النتيجة ؟

- بتثاقل وبأنانية ، نعم حصلت

- كم معدلكِ ؟

- كان تظن بأنها أفضل من ندى فردت بشموخ وأنف شامخ اثنين وسبعين

- ألف ألف مبارك قسماً بالله فرحت لنجاحكِ يا عزيزتي

- لم تشكرها وردت وأنتِ نجحتِ ؟ لم تقل لها معدلك بل سألتها عن النجاح التي هي من اكثر الناس وثوقاً بتفوقها مرحلة النجاح هذا هو اللؤم بعينه .

- بكل براءة ولهفة ، نعم ، نعم

- كم معدلك ؟

- ثلاثة وتسعون .

- ماذا ! بصدمة وذهول

- بطيبة وبراءة ، اجل ، اجل ثلاثة وتسعون حبيبتي

– اصابتها صدمة ، لأنها حسبت إنها افضل من ندى ولن تتحاوز ندى معدل الستون او ما يقاربها

ردت بكل خبث ودناءة وكأن خللاً أصاب هاتفها واخذت تنادي ألو ألو ألو ، فقطعت الاتصال اعادت ندى الاتصال عليها ، لكنها فوجئت بأن الهاتف مغلق ، مرة ومرة وأخرى أعادت الاتصال فلم تجب ساره على مكالمتها ، عندها ادركت إنها كانت حاقدة على حصولها هكذا معدل وتمنت لو إنها لم تحصل عليه ، ندى بنشوة فرح وبسعادة تملأ الدنيا والمستقبل ، قد بدأ يشرق لها وينشر لها رايته ويعبد لها السبل ، لكي تسلكها محققة آمالها وطموحاتها ، لم تنم ولم يغمض لها جفن من فرط سعادتها وبهجتها ، تتقلب على فراشها يميناً وشمالاً ، لكنها لم يقبل إليها الكرى ، ولم تستطع عينها ان تغفو ولو للحظات ، لكي تريح هذا البدن الذي حرم النوم ليومين استعداداً لهذه البشارة السعيدة ، كعادتها عندما لم تستطع النوم إما تقرأ، وإما تكتب ، قررت ان تكتب ، لأن مزاجها كان بأفضل حالاته ، قررت ان تبوح بما يجول في قلبها وما يعتصر في نفسها لهذا الدفتر الذي هو ما ينفس عنها آلامها وما تمر به من إرهاصات ، كتبت بنفس صادق وبحس حيّ أخاذ وبكل عذوبة وبكل رقة أخذت تكتب وتترجم ما يحوم في دماغها من افكار وهواجس ، كتبت حتى تجاوزت الصفحة العاشرة ، فأكتفت وقررت ان تترك الكتابة لتمارس التأمل عوضاً عنها ، التأمل هو سمة يتصف بها أولئك العظماء والمبدعون الذي بزوا أقرانهم وتغلبوا على أترابهم ، جلست خلف الشباك بعد ان فتحت جزءاً منه

لكي يأتيها النسيم الذي يتصف بالبرودة في هكذا ساعات أي قـرب بزوغ الفجر بقليل ، مشكلتها إنها تعيش في الارض بجسدها ، لكنها تعيش في الافلاك ولعلها عبرت السماء بخيالها وطموحاتها ، تنظر إلى بغداد نظرة كلها ألم يعتصره أمل ، ألم لما جرى ويجـري وأمـل بـأنّ التغيير والنهوض يجب أن يسري ويجب أن يعاد بناء بغداد من جديد وبأحدث ما وصلت إليه بلدان العالم ، الاحلام ستبدأ بالتحقق وشيكاً وسيكون المستقبل واضحاً لكـن قـد توجـد معـرقلات ، ولكنـه قـد وضعت قدمها على السلم الذي سيرقى بها الى اوج الرقـي والعظمـة التي تود ان تنالها ببلدها ، ارادت ان تتهيأ إلى الكلية ولكن ليس ببدلة جميلة ولا بحذاء أنيق ولا بأيّ زينة مما تهتم به البنات في هكذا مرحلة عمرية أو وقت ومناسبة كهذه ، إنها اشترت كتاباً وكتاباً وآخر وبدأ تطالع بصورة عامة عن مبادئ الهندسة عموماً ثم الاختصـاص الـذي ستبدع به وهو المعماري ، وأخذت تطالع وتجهد نفسها بالمطالعـة فيعسر عليها الفهم تارة ويسهل لها طوراً ، ألمت بما يجعلـها أفضـل طلاب مرحلتها الأولى وتهيأت عقلياً والآن عليها أن تتهيأ شكلياً أي بأناقتها ، فقررت ان تخصص يوم الجمعة ، لتشتري ملابسها الجامعية ، ومن مثل أناقتها ورشاقتها وعذوبتها وغنجها وها هي بـدأت أكثـر ارتياحاً وغضارة وكأنها وردة متفتحة في موسمها الربيعي ، ذهبت إلى المولات ، فأشترت من الملابـس مـا يكفيهـا واكثـر ومـن الاحذيـة والشسوارات ما جعلها تشعر بثقل هذه البضاعة في يديها ، فقررت ان تعود ادراجها لكن بعد ان تأكل في المطعم ، لأنها سأمت طعام المنزل وارادت التغير ، كان يوماً مختلفاً ، فقد انشرح صدرها وتغير مزاجها

إلى أفضل حالاتها و احسن ، مملوحة حتى في كلامها تجعلك تنصت لها وتنبهر لما تلقي عليك بمعسول قولها وجميل وقعه عليك ، قريباً ستدخل الجامعة البغدادية التي هي من اعرق الجامعات التي خرجت اجيال اصبح لديهم باعٌ طويل في العلم ، فمنهم من اصبح مهندساً مرموقاً ومنهم من اصبح طبيباً ومنهم القاضي والمعلم والاداري ، حلم جميل سيتحقق قريباً وبغداد ستختلط بأبناء الجنوب والشمال وتكون لحمة طيبة اصيلة تجمع الشمل العراقي ، الاقسام الداخلية ، والقبول الجامعي ساهم في دمج المحافظات بعضها ببعض ولعلّ فئة الشباب هي افضل فئة تمتزج مع بعضها البعض ، ابن البصرة يصادق ابن الانبار ، وابن المثنى يتخذ ابن الموصل خليلاً ، وابن النجف يتخذ ابن صلاح الدين اخاً ، ولربما اندمج شابٌ بإحدى الحسناوات وكان ذلك الحب ، وما بعد الحب لربما زواج يقسم لهما ويربط عشيرتين بعضهما ببعض لربما هناك خلافٌ بين عادات هذه وعادات تلك ، في عام ٢٠١١م كانت بغداد خارجه لتوها من حقبة من الألم الذي مزقها شر تمزيق وهو احتلال ومخلفاته من إرهابيين قتله ومليشيات تعبث هنا وهناك وكل حزبٍ لديه فئه تؤيده وتصرخ له ، بغداد تتطلع إلى الأمام وتريد ان تقفز إلى الأمام مخلفة وراءها أيّ نعرة طائفية وأي حقد أو ثأر قديم ولى عليهم الزمان ، المدينة الجميلة بكل ما فيها ، لكن هل القدر كتب عليها أن تبقى تعاني وتعاني و تعاني إلى ما شاء الله من آلام تنزل تباعاً عليها ولم ترَ الحياة منذ زمن ، كل من أقبل عليها همه نفسه وحزبه وتركوها تغرق وتغرق ، لكنها فاجأتهم بأنها مازالت على قيد الحياة وستبقى الحياة تدب فيها ولن تهرم ولن تشيخ

حتى ، الجمال خلق لها وبها ولا يليق بها إلاّ بأن تبقى محافظة على تراثها مع ما يضاف لها مما يواكب التطور الحاصل في الحياة ، يخرج الناس ويجوبون الشوارع والمحال بحثاً عن الحياة ، والعوائل تخرج إلى المتنزهات والاماكن الترفيهية لتطبع نفسها بحب الحياة ، فهم يستقبلون الموت متحدين إياه لم ترهبهم سيارات التفخيخ ولا الاحزمة الناسفة ولا حتى العبوات، فهم اعطوا رسالة إلى الأعداء ، بأننا نريد أن نحيا وسنحيا رغماً عن الموت الذي تنشرونه فينا ، أمال وآلآم تعتصر بها قلوبهم ، فلهم عظيم الصبر ، فكيف صبروا على هول المحن العظيمة التي اقبلت عليهم باستمرار دون انقطاع ، كعادتهم عندما يخرجون إلى الامكان العامة الترفيهية وغيرها تكون ندى محط نظر وإعجاب كل من تمرّ أمامه ، كثيرة هي النساء التي تمنت ان تكون ندى زوجة لأبنها ، لكن ما حدث ان في يوم واحد ومكان واحد تقبل خمسة نساء طالبة يد ندى فهذا ما لم يحصل مسبقاً ولعله لم يحصل لأي بنت ! تأتي الأولى مخاطبة أمها بعد التحية والسلام والتلطف في القول ، هل لنا نصيب بنيل القرب من ابنتكم هذه ؟ لتأتي أخرى بعد ان تذكر محاسن أبنها وإنه افضل الشبان نود أن تكون وردتكم في منزلنا لتنشر شذاها عندنا ، واخرى وغيرها و غيرها همهنّ قطف هذه الزهرة واقناعها بالزواج من احد ابناء هذه النسوة ، لكن ندى لن تطيب لها نفساً ولم تتقبل هكذا إلحاح واستأذنت امها في ان ترد على الجميع بأنها لن تكون لأي منهنّ ، وهكذا بقيت حيثما حلّت ، اثارت جدلاً حول جمالها وعذوبتها وغنجها فهي في المظهر الخارجي جميلة ومن الداخل اي من قلبها واصلها وطيبتها تبدو

جمال ، امها تبتسم وتقول لها : من هذا الذي سيثير حفظيتكُ ويخطفك مني ، اثارت كلمات امها في نفسها شعوراً ما ، إنه الرغبة في الولوج في قصة حُبٍ لكن من بطلها ياترى ؟ تمنت ان تبدأ حيثما تعود لكتابة مواصفات عن هذا الشخص الذي ترغب بالاقتران به والعيش معه تحت ظلٍ واحد يجمعهم الحب ويسودهم العشق ويحيطهم الغرام ، فور وصولها إلى البيت ، لجأت إلى كهفها ، فلديها مزاج لتكتب ولتكتب اليوم عن خواطر تلحُ عليها وتؤرقها وتسلبها كثيراً من وقتها ، كتبت أريد أن احظى بحبيب يكون لي زوجاً او زوجاً يكون لي حبيب فكلاهما مما تشتهى البنت وما تهوى ، أريده بأن يملكني وأملكه وقلبي يختاره وقلبه يختارني ، بذات الدرجة من الحب أريد أن يعطيني الحُب لأجل الحُب وليس لرد جميل لحبي إياه ولا عطفاً ولا مجاملة فارغة المحتوى والمضمون ، بالمختصر أريده رجلاً يحمل ملامح الرجولة بكاملها ويتمتع بأصالة تلزمه طوال عمره ، واريده ان يكون غيوراً ، بل اريده غيوراً فحسب ، لأن من ملك الغيرة فقد ملك كل صفات الخير والطيبة والشرف والمروءة ومن لم يملكها ، فقد فقد جميع ما يتصف به الرجل ، شهامة تطعم بغيرة هي ما اطمح به ، وأود أن يكون مقارب لعمري و يا ليته من ذات الكلية التي أحلم بها لنتشارك معاً بناء سلم حياتنا ونرتقي لوطننا ونكون أمثولة العشاق في كل زمان ومكان ، لا اشترط كثيراً واريد شخصاً ألجأ إليه مما أعاني في حياتي ، لأجد عنده حناناً ودفأ حينما ارتمي بأحضانه كالطفلة المدللة ، أذوب في حنانه ويغمرني هذا الحنان انها لسعادة حقاً ان تحظي الفتاة بهذا الشعور الجامح الذي تتمناه كل

النساء بأن يشغل قلبها احدهم فيكون اميراً لذلك القلب ، المرأة تعطي الحُب حتى عندما لا تجد حبيباً يقـدر لهـذا عطاءهـا ، فهـي ليسـت بأنانية كالرجل الذي لا يعطي إلاّ عنـدما يجـد مـن تبـذل لـه المزيـد والمزيد من الحُب ، جميلة طباع المرأة ولعلها من هذا العطاء كانت كهفاً له وملجأ ، عظيمة هي نفس المرأة عندما تمـنح ولكـن تكـون اعظم عندما تأخذ ، هي قطب الرحـى ونقطـة الأمـان الـتي يستشـعر الرجل بها ، فهي الاستقرار العاطفي الجامح اذا كانت مما يلذ القلب ويهوى ، واذا ارادت ان تسلب الرجل هناءه ورغده فلا يصعب عليها ذلك ، ندى تملك ما يجمل المرأة ويجعلها مطمح انظار الرجل الذي يبحث عن المرأة التي يجد السعادة بظلها ، شخصيتها تحمل ملامح قوية ولها كبرياء مهيمن عليها وتشعر على الدوام بزهو ورفعة بشأنها ولم تقبل بأي إهانة توجه لها ولا حتى صوت عالٍ يرفع بوجهها ، فهي مدللة أهلها ومحبوبة الجميع فمن يا ترى يجسر على جرحها سـوى زوج لا يعرف عنه شيء إلى الآن ولكن لن أستسلم لأي مشاعر ربما تكن فارغة المحتوى سوى اعجاب أو حب سرعان ما يتلاشى .

# الفصل الرابع

# الجامعة

قريباً سيكون الحُلم حقيقة أشهدها بنفسي ، إذا أطلقت وزارة التعليم العالي استمارة القبول في جامعاتها وما يسمى بالحدود الدنيا ، لكـي يقدم الطلبة  إلى الكليات التي تناسب معدلاتهم فمثلاً من يجد معدله يقرب إلى كلية العلوم يجب ألاّ يقـدم علـى كليـة الصـيدلة أو الطـب وهكذا كلٍ ومعدله في السادس إعدادي ، أقبل أحمد ومعـه اسـتمارة القبول وكان معه زميل له يعرف كيف يرتب الاستمارة ويجعلها تامة مضبوطة ، أحمد وضع كليات الطب في ترتيب الاستمارة ثم الهندسة بأنواعها حتى أتم ملأ الفراغات الموجودة في الاستمارة الإلكترونيـة ليرسلها عبر البريد الإلكتروني ، شعور ما بعده شعور ورغبة ما بعدها رغبة ، قريباً جداً سيدخل بغداد ويعيش بها زهاء أربع سنوات يشرب من ماءها ويأكل من طعامها وينتفع من علمها ، فيعودُ إلى قريته ونفسه قد شربت حُب بغداد ،  أتم تقديمه والذي يستمر لشهر كامل لحين بيان القبولات وعلى الطالب أن ينتظر هذه المدة ، أحمد لديه عمل في أرضهم وبقي ملازماً لها ، يخرج فجـراً ويعـود ضـحىً ، الأرض لهـا علاقة وطيدة في نفـوس سـكان القـرى ، فهـم يقـدرون لهـا منزلتهـا ويكنون لها عظيم التبجيل والرفعة ، فهي العرض ، المروءة ، الحياة ، لذلك فهم يقدسونها في نفوسهم وتراهم يبذلون ارواحهم ومهجهـم لها ، محافظة ذي قار ، وفي إحصائية حديثة أشارت إلى إنها تعد مـن المحافظات الفقيرة ، فقد هام أبناء هذه المحافظة إلى الامكـان الـتي يتواجد فيها فرص عمل في باقي المحافظات ، يتحمل الشباب بعدهم عن أهلهم وعوائلهم لقاء أجر زهيد يكفيهم لسد رمقهم من طعام وما

يسترهم من ثياب ، وكثير جداً من أبناء هذه المحافظة قد انخرطوا في سلك الجيش بكل تشكيلاته لا ولاء لحب الوطن ولا عشقاً لمهنة الجيش فحسب ، بل لإشباع بطون خاوية ولستر جلود شاحبة ، وكم قدمت هذه المدينة من شبان بعمر الورود ، فهم مهجرون داخل وطنهم ، فإما تجد أحدهم هائماً يبحث عن عمل هناك في المحافظات التي لها سياحة كالنجف وكربلاء وبغداد والبصرة وبعضهم ساح بعيداً حتى وصل إلى الشمال ، وتجد بعضهم في سلك الجيش بعيداً عن اهلهم ، فهم يقبلون كأنهم ضيوف على اهلهم ، هذه المعاناة تحز في نفوس أولئك الذين ينظرون إلى وطنهم وما يأنّ من جراحات وآلام ، فيبحث أحمد عن سُبل لإنقاذ هذه المحافظة من هذا الموت البطيء الذي تتعرض له ، جوع ، فقر ، حرمان كلها ومازالت صابرة محتسبة لها قلب يدعوا الله ولها نفس تتحمل هذه المعاناة ، بلدٌ فيه خيرات الأرض كلها ولديها مصادر طبيعية ومن مزايا العراق ، إنّ في كل محافظة أو مدينة مورداً طبيعياً أو مكاناً سياحياً مما يكفل العيش الرغيد لكل أبناء المحافظة لو قسمت الحقوق بالتساوي بين الجميع ، أحمد هو رجل بما حملت كلمة الرجولة من معنى ، يؤلمهُ ما يسير عليه مجتمعه من خرافات واساطير وعقلية تكاد تكون احادية النظرة دوماً ، يودّ لو فرض التعليم فرضاً واجباً على الجميع ، فلا النظام العشائري الجاهلي الذي أخر المجتمع العراقي عن مواكبة التطور الذي يبلغ به حد الرقي ، ولا العقلية الساذجة التي يتصف بها ابناء هذا البلد ، يأسى لهذا الواقع ويود ان يغير ويصلح من هذا الواقع المرير ولكن من سيقبل على إصلاحاته ويقتنع بما يرمي إليه ، هنا حياة

نظامها العام هو النظام العشائري أي سلطة العشائر تطغى على كل قانون وعلى كل سلطة والناس مع هذا التيار قانعة مطمئنة إنه أفضل من القانون المدني الذي يضع الجميع على مسافة واحد ، فلا سيد جليل ولا شيخ عشيرة ولا شخصٌ عامي ، بل الكل كأسنان المشط ، فلن يروق لأي أحد بأن يدعو دعوة لإصلاح تركيبة هذا المجتمع الذي يريد ان يقفز ليواكب الحياة لكن القيود والأغلال تكبله ولن تدعه يمارس حريته لكي يحقق له نظاماً مدنياً شاملاً يحقق طموحات ابناءه ولن يكون هنالك أيّ غبن أو مجاملة على حساب أحد ، آهات وآهات تلح عليه ولا من معين يبث إليه تلك الآهات ، مشكلة أولئك الذين يشبهون أحمد إنهم يحترقون لأجل شعوبهم ولكن لا يجدون التقدير من شعوبهم حتى يلفهم الموت في غياهبه ، اصحاب الدعوات الإصلاحية يموتون قبل أن تتحقق سبل إصلاحاتهم وعندها يدرك المجتمع أحقيتهم فيما كانوا ينادون به ، الأرض أعطته صبراً كصبر الشامخات العاليات ورعي غنم أهله أعطاه رأفة وحنان على جميع الناس حتى من يكن له حنقاً أو غيضاً ، مازالت نفسه غير راضية عن حالها وغير مقتنعة لكن ما يصبرها هو إشراق الغد الذي سيحقق ما تطمح إليه النفس وما ترغب به ، حياتهم هنا في القرية منغلقة ومنطوية على نفسها ، يعود من عمله في الأرض ضحىً ، ليجد راحة تريح جسده من الكد والإعياء الذي اصابه ، يجد لساناً عذباً حلواً يسيل منه اعذب آيات الحُب والحنان يجد أخته الكبيرة ، ليجد عندها حناناً ويعطيها من الاهتمام ما يجعلها تأنس له ويلاطفها ويداعبها ويمازحها حتى يجعلها تطلق ضحكات وضحكات تاركة همومها خلفها

ومأمنه بأمل في إعطاء المرأة مكانة تستحقها وتجعلها تشعر بنفسها إنها إنسانة لها كرامة يجب أن تصان ولها حقوق يجب ألاّ تضام لكن من هذا الذي يعطي المرأة حقوقها ويجعلها تتحضر وترتقي بحياتها ، فهي أخت وأم وزوجة لهم لكنهم يظلمون حتى أمهاتهم وأخواتهم وزوجاتهم وتلك مشكلة يندى لها الضمير !

تنفس الهواء النقي العذب وأقسم بأن ينأى بنفسه محققاً ما تطمح إليه نفسه وقرر أن يبدأ بتغيير نفسه ، وعزم على مواصلة كفاحه في ان يتبؤ منزلة عالية تسهم في بناء ما هدم وبناء شيء جديد له رونق خلاّب ، سيسعى وسيبذل المزيد لتحقيق احلامه لكن هل سيحقق منها ، فهذا أمرٌ متروك للمستقبل ، فهو وحده العالم بما سيكون عليه الغد ، أحمد لديه كمٌ من المعارف ومؤثر في صحبه وخلاّنه لأنهم خاضوا معه سنين عرفوا بها معدنه وطيبته وامست قلوبهم معلقة بحبه واحترامه ، فهو خير أخ واوفى صديق ، واقع القرى المأساوي كان هو الصورة التي تدور في مخيلة أحمد دوماً ، الناس تميل إلى الخنوع والرضوخ لمسيرة حياتهم ولعلّ الجهل هو المستحكم على عقولهم فكيف يراد لهذه العقول ان تتمرد على النظام العام للقرية ، لكن لا عليك يا أحمد ستقضي سنوات الدراسة في بغداد وستكون مهندساً مرموقاً يشار إليك بالتعظيم والتبجيل وإنك رائداً في مجال عملك هكذا كان يخاطب نفسه ويعدها بما سيحققه .

أتمت ندى ملأَ إستمارتها وأرسلتها إلى الوزارة ، وأخذت تعدُّ نفسها وتتهيأ لاستقبال عامها الجامعي الأول الذي سيشهد ربما أحداثاً وأحداثاً تؤثر عليها سلباً وإيجاباً ، مضت أيام والطلبة في حالة الترقب لما سيحدث لهم من نصيب في قبولهم في الكليات ، فيكون هنالك غبن وهنالك إجحاف بحق الطلبة وما عليهم إلاّ التسليم وقبول الأمر الواقع ، كم من طالب لا يحب الكلية التي نال الشهادة منها وكم طالب كان يحلم بكلية ومعدله ونصيبه أخذه إلى أخرى هكذا هو التعليم في العراق لا يعتمد على التأهيل والميول التي يتحلى بها الطالب ، لذلك ترى طالباً أخفق في مجال لكنك تبصره مبدع في مجال أخر بعيد عما درسه وبعيد عما تعلمه ، قليلٌ من الشبان من يملكون وعياً ثقافيّاً وإطلاعاً خارجياً ، أخذت ندى تقرأ إضافة لكتبها العلمية كتباً أدبية وقصصية فقرأت لما كتبه العقاد وطه حسين وبدأت تقرأ روايات عربية وعالمية وكلها روايات رومانسية ، لأن الشباب تستهويهم هكذا عناوين أكثر مما تحمل من معنى ، الحُب كلمة من حرفين لكنها تملك النفس وتشد القلب نحوها وتطرب أذن كل من سمع بها ، قلوب متعطشة لتعيش قصة حُب بريء لتروي ظمأها العاطفي ، فما أسعدهم العُشاق حينما ينتهي عشقهم برباط مقدس عنوانه الزواج ، ليكونا تحت قفص العشق محاطين بأسوار الغرام النقي ، ليبقى الغرام عنوان حياتهم ، لكن ما اتعس العشاق عندما يعيشون العشق بطرفٍ واحد ومن دون تفهم ، فالعشق يحتاج التفهم لكي يحافظ على ديمومته واستمراره جميلاً وخلاّباً ، المرأة تود ان تكون مدللة عند حبيبها وتحب من يهتم بها فهي محتاجة إلى الاهتمام أكثر من

حاجتها إلى الحب ودوماً تراها تطالب بالاهتمام وقليلٌ من تطالب بالحُب ، الحُب به تعمر القلوب وبه تبقى الإنسانية غضة طرية عذبة لها حس وشعور يملك الألباب ، الشبان يميلون إلى الشعر والروايات لإشباع رغبة تلّحُ عليهم وتراهم كأنهم شعراء وكُتاب لو أفصح أحدهم وكتب لا تراه يكتب بلغة تسحر القلوب وتطرب الأسماع ، يقرأون الشعر لكي يرضي النهم الذي في داخلهم وكلما قرأوا روايةً أخذوا يصورون أنفسهم ابطالاً لها ، ولكن هناك قيود تكبل الحُب وتجعله مقيداً ، فمنها ما يعود إلى التقاليد المجتمعية ، ومنها ما يعود إلى النظرة الدينية ومنها و منها ... لكنهم لو أنصفوا الحُب لعلموا إنه أطهر من أيّ شائبة يرمى بها لكن أدوات أولئك الناقمين على الحُب كانت قذرة ولا إنسانية بها ، يعيبون على المرأة عندما تعبر عما يخالج نفسها ويعتصر قلبها ويعدونها فاجرة ويرمونها بكل قبح وفحش قول ، وتراهم يركعون إلى العاهر مقبلين أقدامها وعند عضوها الأنثوي يسجدون !

مريضة هي المجتمعات التي تحارب الحُب وتقدس حد العبادة الزنا والفحش ! يعود أحمد من أرضه بعد أن ارتدى بنطلوناً وقميصاً خصصهما للعمل ولم يكن يرتدي الدشداشة كطبيعة اهل القرى وأخذ يميل إلى التحضر بكل شيء ، بفكره ، كلامه ، ملابسه ، طريقة حياته غيرها عن ملامح القرى ، بينما هو يسير غارق في متاهات افكاره التي كثيراً ما كان يغوص فيها ويدخل إلى العمق بها ، سلّم صديقه غيث عليه وقال له : أحمد اريدك ان تشرفني إلى منزلنا غداً

– لماذا ؟

– غداً سيكون يوم حنّائي .

– ألف ألف ألف مبارك وتتهنى وزواجٌ سعيدٌ وميمون بعون الله

– شكراً يا اصيل ، ويومٌ لك إن شاء الله

– إن شاء الله !

– تعجب غيث من جوابه وقال لمَ لم يخطب لك أهلك إلى الآن ؟

– أريد أ اكمل دراستي الجامعية وبعدها سأختار شريكة حياتي .

–ماذا ! شريكة حياة وهل أنت من يختار الزوجة ؟

– ومن غيري !

– اهلك !

– يا عزيزي هي زوجتي انا ويجب أن أختارها أنا وأقتنع بها أنا

– لكنك لا تعرف الإختيار !!

– ومن قال لك هذا ، بل أنا المسؤول عن اختياري

– أنا لم أرَ خطيبتي ولم تراني ، بل أمي وأمها اتفقتا وتم القران على ذلك .

- ماذا وكيف حصل هذا ؟؟

- إنّ أخوتي الثلاثة لم يختر أحدٌ زوجته ، بل إنّ هذا الأمر موكول إلى قناعة أمي وموافقة أبي

- كيف تقبل الزواج من امـرأة لا تعرفهـا ولا تعرفـك ولم تراهـا ولم تراك ؟

- نحن لدينا شرف وغيرة وهل نسمح بأن تخـرج النسـاء ، لتعـرض نفسها على الرجال ، ماذا جرى لك أحمد هل تريـد أن تتخلـى عـن الشرف لا يا سيدي نحن نموت من أجل الشرف ونحيا من أجلهِ

- وما دخل الشرف في ذلك ؟

- اسكت اسكت ياأحمد ما هذا ظني بك .

- تعجب أحمد من تهرب صديقه من النقاش عـن هـذا الموضـوع ، وتعجب أحمد كيف لرجل ان يتزوج امرأة لم يشاهدها يوماً إلاّ بعـد يوم الخطوبة ويعرفها عن طريق الوصف الذي وصفته له أمه

- أحمد عليك ألاّ تنسى أصلك وعادات القرية وتقاليدها ، فيجب ان تبقى على تراث وأصالة الاباء والأجداد ولا تحيد عنه يا حبيبي

- ابتسم أحمد ، وودع صديقه بأجمـل كـلام ، يعـود أحمـد وهـذا الواقع يؤرقه ويسلبهُ طعم النهار وهذه الحادثة وإن كانت ليست هي الغالبة دوماً ، لكنها موجودة بالفعل بهكذا مجتمعات مغلقة ومنطوية

على نفسها وتنظر إلى المرأة باحتقار وإنّ منزلتها دون الرجل وعليها ألاّ ترى الرجل ولا يراها وبذلك تدعى بأحلى الألقاب وأفضلها ، لكن هذا الزمان ولى إلى غير رجعة لكن العقول ما زالت تعيش في عـادات ذلك الزمن وتضاعف من حدتها بتقاليده الصارمة الخاطئة ، يدخل إلى البيت هش الوجه مداعباً ممازحاً ينشر الفرح والدعابة علـى أخواتـه وأمه ، وكم كانت أخواته يقبلنّ إليه ليجـدنّ حلـو الكـلام وأعذبـه ، تشتكي إحداهنّ من الأخرى فيقوم بإرضاء هذه وتلك ويجمع الشمل ويعطي من وقته كثيراً ، ليشارك أخواته احاديثهن ومسامراتهن ، هل سيتحمل فراقهن اثناء فترة دراسته في الجامعـة ، لكنـه سـيبقى ودوداً لطيفاً معهن حتى وان كان عبر الهاتف وعن بعد ، الحُب الأخوي لا يشعر به إلاّ من عرف معنـى الأخـوة وعايشـها وجعـل نفسـه جسـراً لإخوته ، القرية لها وقعٌ في نفســه ويحبهــا كـثيراً ، لكنـه مسـتاء مـن الطبيعة التي تسود نظامها وجعلت سكانها مساكين او كالمساكين ، نفوس الشباب ثائرة مضطربة لها دمٌ يغلي وكلهم طاقـة ويريـدون ان يفرغوا هذه الطاقة بشيء ما ، شباب القرى لهم خُلق كريم ولهم طبع اصيل فهم يحترمون آبـاءهم حـد العبـادة ، فالأصـالة مـؤثرة فـيهم ، يغضون ابصارهم حياءاً من خيال إحـدى نسـاء قـريتهم ولا يرفعـون طرفاً إليها ، بل يكونون ستراً لها بعكس شبان المدن الذين حالما تقع أعينهم على حسناء مقبلة أو مدبرة حتى يرمقونهـا مـن رأسـها حتـى أخمص قدمها وتلك طبيعة تعود إلى التربية والأصل الذي نشأ عليه ، كل منهم كانت حياته في الجامعة قاسية نوعاً ما ، الغربة الروحية التي عاشها وهو بعيد عن أهله كانت على مضض من نفســه ، كـان الألم

الذي يعتصر قلبه يشمل اولاً بعده عن اهله وقلة ذات اليد ، فهو لم يجلب معه من المال إلاّ ما يقيم الأود ويسد الرمق أي ما يكفي لشراء المحاضرات والذهاب والإياب للقسم الداخلي حتى إنه كم من المرات عاد راجلاً إلى القسم ، لأنه أراد ان يوفر أجرة النقل ، ليشتري بها ملازم المحاضرات ، الطموح هو الملح عليه والذي جعله لم يهنأ لا بنوم ولا بيقظة ، فهو دائم القلق والاضطراب يود ان تتغير هذه الحياة الشاقة والبائسة ويتمنى ان يحيا حياة لتكن كافية دون شظف ودون نكد ودون عسر ، تمر عليه الايام والايام ، وهو لا يملك مالاً لينفقه على ما تشتهي نفسه وتود ، كم هي المرات التي خرج الطلاب إلى سفرات ، ولكنه كان يعتذر ، لأنه لم يملك من المال ما يجعله يدفع أجر المركبة التي تقلّه ، حياة قاسية قضاها ، لكنه لم يتبرم ولم تبدو عليه أمارات السأم ، بل صبر وصابر حتى ملّت روحه تلك الحياة الشاقة العسيرة ، في بغداد ملتقى الجميع من الطبقات فهناك الميسورون وهناك المترفون ، وهناك المحرومون ، ولكن الجامعة أذابت كل تلك الطبقية ، ولكنها بقيت في نفوس بعض الطلاب تؤرق ليلهم وتنغص نهارهم .

## الفصل الخامس

# اللقاء الأول

وتخرج النتيجة ، وتقر بأنّ أحمد مقبول في جامعة بغداد قسم الهندسة المعماري وبه يتحقق حلم العمر منذ اليفاعة الأولى حتى هذه اللحظة ، ويملأ الفرح والبهجة كل معارف بيت أبو أحمد وتنهال التبريكات والزغاريد فرحة بهذا الخبر السعيد ، اصدقائه أخذوا يهنئونه على هذه الكلية التي سيدخلها عن حُب ورغبة بها ، كان يوماً ولا أسعد قضي مع معارفه وكلٍ تمنى له مستقبلاً مشرقاً وضاحاً ، ليحقق به أحلامه التي دوماً ما كان يردد بها ، بيتهم كان مملوءاً بالناس حتى ضجّ بالحضور الذين أقبلوا يباركون لأحمد ولأهله كلية الهندسة التي دوماً ما كان يطمح بها حتى إنّ القرية كانت تعرف إن الهندسة المعمارية يجب إن تكون لأحمد ، مزاح وهزل وضجيج وعبث وعراك وكلام ومجادلات ساخنة حتى أقبل وقت العشاء ، فوضعت السفرة وملأت بالصحون وكانت سفرة عامرة بما لذّ وطاب ، أكل الحضور جميعاً وبنفس لها شهية للطعام ، لأنهم في بيت الجود والكرم ، بقي الحضور حتى التاسعة مساءاً حتى بدأ يتسلل الواحد تلو الآخر مودعاً ، لأنّ أغلب سكان القرى ينامون مبكراً ، ليفيقوا مبكراً ، تسلل الجمع ولم يبقَ أحد حتى بدأوا يأكلون وأحمد في غاية البهجة والسعادة التي لا تقدر بثمن ، اكملوا عشائهم حتى أفضى كلٍ منهم لما يشغله وبقي أحمد في الحديقة في وقت هو ملهم للشاعرية وللفؤاد ، مستلقٍ على ظهره محدقاً في النجوم متأملاً في هذا الضياء الذي يعطي للنظر بهجةً وللقلب نسمةً ، يتيه في هذا الفضاء المترامي الشاسع الذي يأخذ بالعشاق إلى حيث لا يعلمون إلى أين يسير بهم

فهم سكارى عشقهم ، الغرام والحُب هما أطغى ما يهيمن على مشاعر الشُبان بهكذا عمر ، ترى أحدهم وقد خيل إليك وانه يشهد قصة حُب وهو بطل لتلك القصة ، أوهام وأحلام وخيال جامح يطغى على ما يخالج نفوسهم ، لحظات من التأمل والهيام تأخذ لينام نومة هادئه بعيون مغمضة ولكن بقلب يقظ ، هناك حيث بغداد ، حيث من سأجد بها الدفء الذي أحتاج إليه ، هناك حيث سأجد الوطن الذي يحتويني ويضمني إليه ويجعلني اشعر بالدفء والحنان يغمرني ، بغداد أيّ لهفة أجد فيك ، بغداد أيّ شوق جامح يعتصر فؤادي نحوكِ ، بغداد أنا الغريق فأنقذيني ، بغداد أن المتيم فأنتشلي هذا الفتى الولهان ، إعصار وامواج تتلاطم في قلبي وروحي وكل كياني ، هل سأخرج بعد هذه الامواج سالماً معافى منتصراً ، من هي يا ترى تلك التي أذابت فؤادي ، هي في بغداد ؟ نعم

- ومن اين عرفت ؟

- قلبي

- وكيف أخبرك بها ولم تَرَ شخصَها عيناك !

- ومن قال لك ، إن العشاق يرون بعيونهم ، بل قلوبهم هي من تبصر .

- كلامٌ هراء من شاب لا يعقل إن يتفوه بمثله .

- ولمَ لا ؟

– أنت تريد أن تعيش عالماً مـن الاحـلام والاوهـام وتنسـى إنـك في الحقيقة لا تقدر بتحقيقه ،

– سأشهد ذلك الحُب وسأعيش بظله وسأكون أسعد رجلٍ في الدنيا .

– كلام الشعراء والعشاق لا أصدق به ، فكلاهما كاذبان

– لم يتهمان بالكذب ، لانهما يملكان ضميراً وخيالاً جامحـاً وقلبـاً مشتعلاً على الدوام

– أفق يا أحمد ، فيبدو إنك ما زلت مراهقاً .

– وهل الحُب للمراهقين حرام !

– لا ، ولكنهم يتخيلون قصة حب فاشـلة ويصـورون أنفسـهم إنهـم عشاق حقيقيون ولكن حقيقتهم سراب ووهم صدقوا به .

– يا ألهي كم هم مساكين أولئك العشاق ، فإنهم يخوضون حروباً مع ضمائرهم وقلوبهم وتتصف تلك الحروب بالحروب المستعرة الـتي لها لهيب لو خرج إلى الأرض لأحرقها بمن عليها ، القلوب لها حرارة حارقة ، فهي بركان لكنه لا ينفجـر ، بـل يغلـي في نفـوس أصـحابه ويكاد يفنيهم ، محاورات ومحاورات و محاورات يخوض العشاق فيما بين قلوبهم ولعلهم يختلقـون تلـك المحـاورات ليُطفئـوا لهُـب الجحيم الذي يعانون منه ،

هكذا كان يعيش عالماً مجهولاً بالنسبة للناس ، لكنه معلوم لدى قلبه ، يفيق من حلمه الجميل ، ويعيد ما كرر حديثه مع نفسه ويعتصره ألم للقاء ، تلك التي اذابت نفسه وحرقت قلبه ، كان يردد أحبكِ لكن من هي التي ستأخذها ، لتكون هي الحبيبة التي أرقت عليه نومه كثيراً وجعلته يلجأ إلى الأحلام علّه يجد متنفساً للروح التي كادت أن تذوب بحُب فتاة لم يعرفها بعد ،

يخلقون عالماً خاصاً بهم ويكونون اعضاءً به هكذا هم العشاق ، ينامون لا ليرتاح لهم جسدٌ ، بل ليجدوا في النوم حُلما يعيشونه ولو للحظات ، ليطفئ من جمر الشوق الذي يحرق احشائهم ، أحمد فلقد ذابت نفسه في توقع قصة حُب لم يعرفها ولعلّه لن يعرفها فما زالت مجهولة عنده ، ساعة وأخرى حتى يدركه الفجر وعليه أن ينهض لأرضه ، لأنه الوقت المناسب ، ليخرج للأرض ، ينهض وعينه ما زالت مغمضة ، لأنها لم تنم من الليل إلاّ قليلاً ولم تشبع من الاحلام الوردية التي خلقها بنفسه ، النفس ترغب بالجميل وتكره القبيح وتمجه وهذه طبيعة متأصلة فيها لذلك نرى العشاق دوماً يخلقون عوالماً ترضي نفوسهم وتهيم بها ، ينهض متثاقلاً ويود لو عاد الى النوم لكنه لن يفيق حتى يدركه الظهر ! ماذا حصل لأحمد وماذا غيره هكذا ، الولد تائه ولا يعلم ماذا يجري له فهو معنا بجسمه ،ولكن فكره بعيداً عنا ، هكذا يتسأل أباه وأمه ويعجبون من حالته فأحمد لم يكن في السابق هكذا !

تشعر بالبهجة والسرور، عندما عاد أخوها إليها ليخبرها بأنها قبلت في كلية الهندسة المعماري والنتائج كلها خرجت وعرضت على موقع الوزارة ، فرحت ندى بهذا الخبر وجعل أهلها في غاية من السرور ، حُلمها تحقق وما عليها الآن إلاّ الجد والمثابرة وأمسكت بالكتب التي أشترتها وأعدت نفسها إعداداً يجعلها في صدارة الطلاب الأوائل ، فرحة طغت على كل كيانها احست بثمرة التعب الذي تعبته طوال سنين عمرها ، الآن تجني ثمار هذا التعب وبدأت تنهال التبريكات عليها من صديقاتها وخالاتها وكل معارفها ، فكانت تشعر في غاية البهجة والسعادة التي رسمت على وجهها ، اخذت تسأل على صديقاتها الواحدة تلو الأخرى وتبارك لهن حتى إنها أتصلت بساره لكن ساره اغلقت بوجهها الهاتف ولم ترد عليها لاحقاً ، هذه الطيبة لا تزال ولن تفارقها حتى إنها تسأل وتطمأن على إحدى من أساءت إليها كثيراً .

قرر أحمد ، إن يتهيأ ليوم غد اليوم الاول لدخوله الجامعة والطريق ما بين محافظة ذي قار وبغداد طويلٌ ، ولكن حتى وإن وصل متأخراً فلا يوجد دوام غداً ، بل مجرد تسجيل وإعطاء المستمسكات لدى القسم الذي سيحصل عليه ، كانت لديه مخاوف وقلق منذ أدائه الامتحانات ، هل سيحصل على المعماري ام سيظلمه القدر كعادته ! أحمد من أولئك الشُبان التقليدين الذي لهم كاريزما ثابتة فترى شعره بذات التسريحة من طفولته وحتى الآن وملابسه تحمل الحشمة والوقار وتتصف بأنها غير عصرية بالنسبة لسكان المدن وبالأخص

كبغداد ، ارتدى بنطلون رصاصي وقميص ابيض وحذاء جلد اسود وشعره لم يكلفه بضع من الثواني لترتيبه ،

قضى ليلته ، لم ينم منها ولا لحظة ، كعادته غارقاً في الخيال محلقاً بطيوف بعيدة ، يأخذه خيال هناك ويعود به خيال هنا وهو تائه لا يعلم أيّ جهة سيتجه ، لم يهدأ له بال فالفتى الطموح لديه هاجس في الوصول إلى اوج ما يطمح إليه ، لديه مخاوف وبعض من الهنات التي تعكر صفو تفكيره ، لكنه قرر ان يترك خيالاته ويوطن نفسه لما يعترضه من خطوب وحوادث ، سيرحل من القرية ليدخل إلى بغداد حاملاً معه أصالة قرى الجنوب العراقيّ وفقره وصعوبة العيش وغلظته ، ومقبلاً على بغداد بملوحة الجنوب ليختلط هذا الملح بهذا العسل البغدادي، فتمتزج ملوحة الجنوب ، بالغنج البغدادي الاصيل .

بضع ساعات وسيدخل القفص الذهبي بالنسبة له ، بغداد لها وقعٌ عند قلبه ولها أثر، فهو لم يدخل لها إلاّ لزيارة قبر الإمام موسى الكاظم وحفيده الجواد (ع) فكيف له أن يدخلها سائحاً في كل معالمها ومناطقها ويتيه في ارجائها ويسهر في أزقة أبي نواس وتأخذه الخطوات هنا وهناك ، تهيأ للخروج وما هي إلاّ سويعات وسيقبل بصدر كله شوق وحنين إلى شم هواء العاصمة ، اهله فرحين بهذا الأخ الذي سيكون فخراً لهم وخير أخ لما يحمله من طيبة وحنان عليهم ، أخواته مشفقات مداعبات له ، وبالأخص أخته الكبيرة ، كانت صندوق أسراره وملجأهُ لكل نائبة تعترضه وكانت خير مسلية وخير معين لأخيها .

سيذهب غداً وسيعود في ذات اليوم ، لأن هذا اليوم هو يوم التسجيل والحضور الأول ، لكي يذهب بعدها إلى القسم الداخلي ليكون بيتاً له ثانٍ ، نام الجميع إلاّ أحمد فقد قضى ليلته ما بين الفرح والسرور سعيداً قانعاً بما وصل إليه ، ماهي إلاّ ساعة وأخرى حتى ارتدى ثيابه وحمل وثيقته و مستمسكاته الشخصية وأراد ان يخرج حتى أحس بصوت رقيق كله هدوء وعذوبة ، فألتفت فإذا هي أخته ممسكة إناءً به بعض من الماء لتسكبه خلف خطوات أخيها ، ولتكون هي من يودعه أخيراً إلى بغداد ، قبلها وقبلته واقبلت له بقنينة من العطر ، قد اشترتها من قبل ، فعطرت أخاها وودعته بقبلات حارة ومضى ،

خرج معه اثنان من اصدقائه الذين يدرسون في جامعة بغداد في المرحلة الثانية من كلية العلوم السياسية ، خرج الثلاثة من القرية قبل أذان الفجر لتكون صلاتهم في الطريق ، مضى الشباب الثلاثة الذين هم بعمر الورد وأخذوا يقصون عليه الحياة في بغداد وكيف إنهم يعيشون حياة جميلة في الجامعة والقسم الداخلي ، فلديهم معارف من شتى المحافظات واصبحوا أسرة واحدة ، سفرات ورحلات ، كنا نقضي برفقة زميلات لنا واساتذة آواه يا أحمد كم لطيفة هي الحياة الجامعية وما أتمنى أن تنتهي يوماً ، بل أريدها ان تطول أكثر واكثر ، زاد تعطشه وتلّهف لدخول بغداد والعيش بها ، أخذ يسألهم عن بغداد ، وهم يجيبون ، كأنهم في حوارٌ صُحفي حتى بادر أحدهم وصاح بأحمد كفى ، فقد أتعبتنا ماهي إلاّ ساعة أو ساعتين وسترى بعينك بغداد وسنجعلك تشبع منها .

جميلٌ ان ترى شباباً بريعان الفتوة وأمام مغريات الحياة وفسادها وما يخطط له لانحرافهم عن جادة الصواب تراهم يخبرون السائق بأن ينزلهم عند اقرب مسجد ، لكي يصلوا ، وسرعان ما يسمع صوت الأذان فينزل الشباب الثلاثة مع بعض الركاب ليؤديا صلاة الصبح واجبة ، فيصلي أحمد صلاته وعينه ترمق السماء بالدعاء والابتهال بأن يكون مبدعاً في قسم الهندسة المعماري لكي لا تسقط طموحاته ويخيب أمله لكي لا يدرس قسماً لا يحبه ولا يريده ، عاد الركاب إلى السيارة ومضت مسرعة لا تلوي على شيء وكلما اقتربت من ربوع العاصمة حتى زادت النبضات في عبثها وخفق الفؤاد لمحيا الحبيبة بغداد ، نامَ الجميع إلاّ هو ظلّ شاخص البصر محدقاً بالطريق الذي يؤدي إلى المحبوبة .

الشمسُ قد أشرقت ، والنور قد طرد الظلام وحلّ محله فبدت الطرق متشحةً بلون ذهبي لأول إشراق هذا الصباح الجميل ، ساعة أو أكثر ، فيدخل في ربوعها ليشم عبق شذى نسيمها ويلقح جسده بهواءها النقي ليعطيه أملاً وبهاء ، يبتسم ثغره وقلبه ويسحرها الطيف الذي رآه مسبقاً ويتذكره الآن وقد تحقق فعلاً وها هو في طريقه لمستقبله ، فقلد طرق الباب وفتح له وها قد أُذنَ له بالولوج في أول خطوة من خطوات الألف ميل التي سيحققها جميعاً بعد التوكل على الله والاجتهاد في الدراسة والمثابرة الدؤوبة .

اقبل يوم الأحد ، الذي سيكون اليوم الأول لها في الجامعة ، لكي تكمل إجراءات التسجيل والقبول في الكلية لكي تعرف أيّ قسمٍ

ستناله ، تهيأت ورتبت المستمسكات الثبوتية لها ولشخصيتها ، وأقبل يوم الأحد ، نهضت من الفجر مستقبلة الرب بصلاة لتسلتهم منه التوفيق والأمل والنجاح ، فور ما اتمت صلاتها ، فتحت نافذة الشباك ، الذي يطل على حديقة من الورود والازهار التي تبعث رائحة طيبة بالأخص بهكذا وقت ، انشرح صدرها لعبق هذا الجمال ، اقبلت عليها ، نسمات من الهواء باردة عبثت بشعرها وجعلته يتمايل في هذا الجانب وذاك ، وقفت وبها تردد وخشية من يومٍ جديد أقبل عليها فكيف لهذا اليوم أن يمضي ، أهلها مازالوا يغطون في نوم عميق ، قررت ان تنزل إلى الحديقة لتجلس لحظات تشمُ هذه الورود وتمتع نظرها بهذا المنظر البهيج الذي يشرح الصدر وينفس على الروح ويعطيها أملاً ويملأها بهجة ، تنهض مسرعة ، لتغتسل على عجل وحالما خرجت من الحمام ، رأت إنّ أمها قد استيقظت ، فصبحت على أمها وردت أمها ، الصباح بأرق لفظ واعذبه ، صعدت إلى غرفتها ، لتصفف شعرها وتسرحه صاحت لها أمها ، تدعوها لتناول الإفطار ، لكي تسند جسدها على حد تعبيرها ، نزلت تركض كالغزال ، استقبلها ابوها بكلتا يديه ، فاحتضنته وقبلها وامسك بيدها وسارا إلى المطبخ ، ليتناولا معاً الافطار ، وجدت الطعام معداً وإبريق الشاي بجنبها ، أخذت تأكل بسرعة ، فقالت لها أمها على مهلك يا نداوي دوام الجامعة يبدأ في الثامنة والنصف وليس الثامنة ، الآن كبرت نداوي وأصبحت طالبة جامعية وأخذت تدعو لها بالتوفيق ولم تكتفِ امها بالدعاء حتى أخذت تتسابق مع والدها على تقبيل ندى ومداعبتها حتى نسوا طعامهم ، عندها فاجأتهم ندى ، إن سحبت

الكرسـي إلى الـوراء ونهضـت مبتسـمة الحمـد لله شـبعت وسـأغير ملابسي لكي اذهب معك بابا انتظري سأتأخر قليلاً .

يصل أحمد بغداد ويدخل في قوسها وهو باسم الثغر ، مشرق الوجه ، منشرح الصدر ، أنهكتهم السيارة وطول الطريق ، لكنه لم يشكُ ضيقاً ولم يسأم ويعلن ضجراً ، بل رحب بهذا القـدوم وهـذا الاقبـال علـى العاصمة مهللاً فرحاً بها ، تنزلهم السيارة في مرآب السيارات وينـزل الركاب ويسير الاصدقاء الثلاثة معاً ، قرروا ان يتناولوا طعام الإفطار ، لأنّ معدتهم قد علا صوتها ولا يعلو صـوت علـى صـوت المعـدة ! وصلوا إلى أقرب مطعم شعبي وتناولوا إفطارهم ولن يكون إلاّ الكباب المشوي وهو الطعام المحبب لدى اغلب المجتمع العراقي ، اكملوا إفطارهم وركبا إلى الجامعة والصـديقان ملتهيـان بالجـدال والعبـث والكلام لكنّ أحمد كان غارقاً في صمته متأملاً صباح العاصمة كيف يبدو ، ما هذا الجمال وما هذا البهاء ! ويتسأل عن كل منطقة يمرون بها ويجيبه اصدقائه وهو يحفـظ في ذاكرتـه ، لحظـات وسنصـل إلى الجامعة هنا أخذت أحمد سنة من الخيالات ، محلقة بمخيلته بعيـداً حيث الرفعة وحيث التميز على باقي الطلبة ، منّى نفسه بأماني وأماني ووعد نفسه ان يحققها ويرتقي بها .

ندى تكمل ترتيبها وكانت في غاية من الجمال والأناقة مرتدية مـانتو ذو لون نيلي وبنطلوناً اسوداً وحجاباً نيلياً وحـذاءً سـبورت وحقيبـةً رائعة ونزلت من السلم ، لكنها فوجئت بـأن أمهـا وأباهـا يرمقانهـا بنظرات ملؤها الإعجاب والحُب والانبهار بهذا القوام الفارع وهـذه

القامة الرائعة وهذه الاناقة التي هي ذروة بالترتيب والتنسيق ، نزلت ببطء ، لكنها سلبت قلب امها واباها وجعلتهم يدعوان لها من شر الحساد الذين إن رأوا جمالها البهيّ لربما حسدوها على هذه التربية وهذا الجمال الخلاّب ، خرجت مع والدها ركبت السيارة فجلست على المقعد الامامي قرب ابيها وقضوا طريقهم في كلام كله وصايا من أب لأبنته موصياً لها بالالتزام بالحشمة والوقار وإن لا تجعل نفسها مطية لأي إغراء أو نزوة ربما تعترضها وهي مذعنة مطرقة انتظرته يكمل كلامه حتى ردت بجواب كله حب واحترام : إنا أبنة والدي ، ولن أنزل رأسك ، بل سأرفعه وأجعلك فخوراً بي على الدوام ، فقبلها في يديها ، فأمسكت يده وقبلتها ثلاث قُبل ، وصلوا إلى الجامعة ركن السيارة في مرآب قرب الجامعة ونزل مع أبنته يسيران معاً وكلٍ ممسك بيد رفيقه ، ولجا إلى الباب سلّما أجهزة الموبايلات إلى الاستعلامات ودخلا ليتما التسجيل في الكلية . وهو على وشك الوصول إلى باب الجامعة حتى أخذ قلبه يضطرب وخطواته تتثاقل لولوج عتبة الجامعة التي طالما كانت حُلمه الذي كلفه ليالي وأيام طوال ، يصل عند عتبتها ، ليدخل إلى باب الاستعلامات ليسلم الموبايل ماهي إلاّ خطوة خطاها حتى أحس بوقع لم يحسه سابقاً قلبه متوجس ، نفسه تأخذه هنا وهنا ، عينه تذهب يميناً وشمالاً ، فمه مغلق والصمت هو سيد الشخصية ، فهو لم يحتاج الى الكلام بقدر ما احتاج إلى الصمت ، لكي يخيم عليه ساعة ولوجه العش العلمي الذي سينمو في ربوعه ها هنا ، تركه أصدقائه سائحاً في أفكاره ، أخذ يتساءل فيما بينه وبين نفسه ، ذهول وإعجاب اعتراه وانبهار بهذا

البيت الذي يود إن يبقى به حتى بأيام عطلته ، سار بخطوات خجولة وبتكاسل بطيء ، لأنه يود أن يمتع نظره وقلبه بهذا المنظر البهيّ الذي سلب له لبه ، دخلا وقررا ان يسيران به في داخل أروقة الجامعة ليمتع نظره بهذه الفتيات التي تسلب عقل الشباب وتجعله اسيراً لها مفتوناً بسحرها ، أحمد يحمل في داخله الأصل والغيرة والشرف والحمية التي أقبل بها من أهله ومحيطه الذي نشأ ونما وانصهر فيه حتى ذاب في بعض ملامحه وشرب منها فخالطته واختلطت به ، لما دخل وإن كان لم يرَ فتيات دونَ حجاب وبملابس تستر الجسم نصفه او أكثر ، لم يكترث لهذه الاجساد التي تحي القلوب من موتها وتثير حفيظتها وتجعلها تصحو وترقى للعيش في قصة حُبٍ ما ، ساروا به هنا ونأوا به هناك وتركوه هائماً على وجهه ، وهؤلاء حاولوا إغراءه في التحرش في إحدى الحسناوات التي تغدو وتروح ، لكنه أبت نفسه الكريمة التي لها ضميرٌ حي إن يسقط ويتخلى عن أصالته التي تسري في عروقه ، رأى حالات أثارته نوعاً ما لكن جعلته يتمنى أن يحظى بمثلها ويعيشها ، عرفوه على أصدقائهم واختلطوا بأحاديثهم واندمج معهم أحمد ، لكنه يتصف بالرزانة والثبات ، ولم يستخف بِنفسهِ ، بل بقي محافظاً على سجيته ولم يحيد عنها ، حتى اقبلت مجموعة من البنات ، فسلّمن على اصدقاءه وهو واقف حتى قال أحدهم مخاطباً إحدى البنات ، سعاد هذا أحمد طالب مرحلة أولى كلية الهندسة ومن محافظة ذي قار أيضاً ، أوه مرحباً أحمد حللت اهلاً ونزلت سهلاً تشرفت بك عيني ، واقبلت اخرى واخرى سلمنّ عليه ، بدت أمارات الخجل عليه وردّ السلام بخجل ، كاد يذوب من فرط الخجل ، لأولّ

مرة تسلم عليه وتحييه إحدى البنات ولم تكن إحدى بنات عمومته او أقرباء له ، طرب القلب لهذه الجامعة وفرح بها أيما فرح ، كلمهم في أن يذهبوا إلى كلية الهندسة فذهبوا وبدت الخطوات تثقل عليه وبدأ يسير بصعوبة بالغة ، كأنه شيخ بلغ التسعين من عمره ، قرب الوصول إلى باب الكلية ، فلاحت له أيامه الصعبة التي لاقاها وصبر على مرارتها حتى خاض غمرها لم يهن ولم يكل ، بل صمد صمود الجبال ولم يتزعزع حتى أدرك الفلج أخيراً ، تساءل مع صديقه وليد ينبأه بأن نفسه تتوق للدخول لهذه الكلية منذ زمان فيرد وليد عليه :

- ماذا !

- كنت أحلم أن أدخل كلية الهندسة ، لأعمل وأكد في رسم خارطة عمرانية تليق ببلدي .

- يسخر ويمزح عن أي بلد تتحدث ، يا صديقي فكر في الحصول على فرصة عمل وتجني من وراءها مصروف لعائلتك وبعدها ان بقي لك وقت أبني وأرسم خارطة لوطنك .

- تفكيرك خاطئ ، علينا أن لا نضعف من عزائمنا ولا تهن نفوسنا وننظر بدونية ومصلحة شخصية ، علينا أن نوظف طاقاتنا خدمة لهذا الوطن وبعدها نفكر في أنفسنا.

- أحمد تعرف أين مكانك ؟

- أين ؟

- ليس في العراق .

- أين ؟

- في البلاد التي تقدر ابنائها وتنظر إلى الجميع سواسية ، بالأخص تلك الحكومات التي لها تقدير ومقبولية لكي تسمع لك وتجيب .

- لم لا نجعلها هنا ونحقق مستقبلاً للوطن يبدأ من عندنا نحن الشباب .

- يبدو إنك مثالي اكثر مما هو مطلوب تعال لنسجلك في الكلية ، لنرى أيّ قاعه ستكون ، صمت أحمد ، ولم يعلق ، لأنه أراد أن يدخل في أروقة الكلية التي طالما احبها وها هو قد اقترب إليها فليضمها بين ذراعيه ولتضمه بين أروقتها وقاعاتها وحدائقها .

# الفصل السادس



يدخل أحمد إلى الكلية ويصادف دخوله خروج ندى وتكون النظـرة الأولى التي ترفع ندى رأسها ، لأنها وصـلت أمـام البـاب وعليهـا ان تبصر الطريق وصادفت نظرتها وجه أحمد بملامحه السمراء وقامتـه الفارعة والملح الذي يكاد يقطر من جانبيـه ، نظـرة اسـتمرت لربمـا عشرين ثانية ، لكنها كانت عمراً بأكمله ، فأيقظت مشاعر كانت في حالة سُبات ولم تفق إلاّ الآن ، ربما تكون مجرد نظرة عابرة وربما لا شيء بعدها واكتفى بأن تأسف وأفسح لها الطريق فمرت من جانبـه وهي ملقية رأسها إلى الأسفل حياءاً ، ولكنها مرت على قلبه فأطلقت القيود التي تحيطه وحررته من أي قيد يعترض طريقه ، مرت من جنبه ، فشم عطرها حتى خدرته وأذابته كالجليد عندما تلّفحـه الشـمس ، أحس بانتعاش سرى في جسده وهيام لهذا القـادم الـذي عـبره للتـو ، التفت خلفه علّه يحظى بنظرة خاطفة ، ولتكن للحظة واحدة سـيقنع ويرضى وان كانت بخطف ، لكنه فوجئ بأنها مضـت حتـى بعـدت وبعدت و بعدت ، صاح به صديقه ، إن أقبل إلى هنـا ليـتم تسـجيلك واعطني مستمسكاتك ، لكي أسلمها إليهم ، أحمد ذابت نفسه بتلك الفتاة التي خطفت امامه وتخيلها هي فتـاة أحلامـه وأقسـم إنـه شـعر بموجة من الاضطراب تعتريه ، فكاد أن يذوب لهفةً لها ولكنـه صـبر وكابر في الصبر ، أتمّ خطوات تسجيله وعليه ان ينتظر الدوام ليومين ولربما ثلاثة ولربما الى الاسبوع المقبل ، خـرج مـن الكليـة يريـد أن يدرك هذه التي سلبته فؤاده وأخذتـه معهـا ، طلـب مـن الله تعـالى أن يمكنه من رؤيتها قبل أن يعود إلى قريته وتمنى لو أدرك بأي قسمٍ هي ،

حالما خرج من القسم وإذ به يرى هذه الملكة وبصحبتها زميلة ترافقها وكانت ندى بغاية من البهاء والاناقة والترتيب والغنج والعذوبة ، من هناك وقبل أن تقترب منه تصدقت عليه بنظرة فرمقها بأخرى ولكن نظرته كانت ممزوجة بابتسامة عذبة حلوة .

يأتي بعد اسبوع من اكماله التسجيل ، ليقف أحمد ليرى لوحة الاسماء المقبولة في كلية الهندسة في المرحلة الاولى ، فيتابع اسمه ويجده مقبولاً حقاً وكان مجموعة من الشبان يتابعون لوحة الاعلانات لمعرفة أي قاعة وأي(گروب) سيكون، رجع إلى الوراء ، فرأى ندى وزميلتها واقفات ينتظرن تنحي الشباب ، ليقرأوا اسماءهم ، التفتت صديقتها إلى أحمد وقالت له أقرأ لنا أسماءنا لو سمحت ، رد بكل ثقة بالتأكيد ما أسمكِ ، علا محمد كامل ، والاخت اسمها ندى عبد الكريم ، ابتسم لهذا الاسم وتزاحم مع الشبان فبدأ باسم ندى فوجده مكتوباً ولن توجد ندى غيرها ، عاد واخبرهم ، بأنه مكتوب اسم ندى فردت عليه علا وانا لماذا لم تر اسمي ، تأسف لأنه اكتفى باسم ندى ، رجع فوجد اسم علا مكتوب ايضاً ، رجع مخبراً البنات بأنهم في صفٍ واحد ثلاثتهم ، شكرته علا واكتفت ندى بابتسامه سلبته عقله وطيرت له قلبه ، قال لهنّ أنتم من بغداد

- نعم وانت ؟

- ذي قار

- اهلاً ومرحباً بك يا

- أحمد

- تشرفنا بك

- لي الشرف يا علا و يا .... نـدى قـال اسمهـا بتلعـثم لكـن نطقـه بالكامل

اعتذر منهن بأن يذهب الى أصدقائه ، علا قالت : اذهب لهم وتشرفنا بك وسنراك لا حقاً امـا نـدى فرمقتـه بنظـرة فيهـا رجـاء بـأن يبقـى للحظات معهن أو لحظة ، لكي تكثر من النظـر إليـه وتطـرب اذنهـا بسماع كلامه ، لكنه سلم عليهن واكتفـى بـالنظر الى نـدى ومضـى بعيداً عنهن .

يا إلهي ما هذا الطيف وما هذا السحر الذي اعتراني ، هل وجدتها أم هي نزوة تعترض الشباب الذين خرجوا من الإعدادية وها هم في أول عمرهم في حياتهم الجامعية ، قرر إن يمتع نظره بهذا القوام الممشوق وهذه الفتاة الحسناء التي قطعت قلبه إرباً إربا ، عشرون خطوة مشتها أمامه لكنها كانت عشـرون طعنـة في قلبـه المتوقـد بنـار لـو أذن لهـا بالخروج لأحرقت الكون برمته ، إنها نار الشوق ولهيبه الذي يكون متوقداً في نفوس الشبان الذين عبروا مرحلة من عمرهم وأقبلـوا علـى أخرى ، ترى أحدهم ينبُئك بأنه شعلة من اللهيب وجمرة من الشوق ، وها هي تقترب منه وبصحبتها زميلتها ومن حسن الحـظ أن زميلتهـا كانت هي المتكلم ولم تلحظ عيون نـدى لأيّ أتجـاه تنظـر ! تبـادلا نظرات كلها حُب وكأنهم كانوا يعرفـون بعضـهم بعضـاً ، فـلا هـو

استغرب شكلها ولا هي استبعدت صورته من مخيلتها ، مرت بقربه فرمقته بنظرة مطعمة بحياء وخجل ، مرت بخطف دون أن يستجمع قواه ، ولكنها قد دخلت إلى أعماق فؤاده ولعلها أسرته وبقي أسيراً لها مفعماً بها ، من طيبته ومن حسن تربيته إنه ليس من أولئك الشبان الذي إن اعترضتهم إحدى الفتيات يبقى ملاحقاً لها معرضها للنظرات الريبة ، أبت نفسه إلاّ أن يبقى على تربيته ولم يدركها ولم ينظر لها حياء وعفةً ، لكنها التفت إليه لعلّه يلتفت لها فيتجدد هذا الشوق ويزداد لهيبه وتلسع جذوته ، مشى خطوات ولكنه لم يمكن أصدقائه من معرفة ماذا جرى له وماذا رأى ، سار معهم عائداً إلى النادي الطلابي ، ليجلساً مع اصدقائهم ، لم يبقَ في النادي إلاّ مدة تناوله طعام غدائه ، لأنه سيعود إلى بيتهم وسيعود بعد غد او ربما في الأسبوع المقبل ليباشر في الدوام ، اصدقائه سيبقون في الجامعة ، لأن لديهم محاضرات وهم لديهم سكن في الاقسام الداخلية ، ودعهم وسلم عليهم ، فعاد معه زميلة وليد ليوصله إلى مرآب السيارات ليعود إلى محافظة ذي قار وحتى يحفظ الطريق ولم يعد بحاجة إلى مرشد ، لكي يكلفه عناء التعب إلى المرآب ، وليد يحب المزاح ، كثير الكلام ، لا يمل ولا يهدأ ، ولكنه في حالة هيام وغارق في بحر الغرام ولعله هو الآن تائه ووليد يكلمه وأحمد يرد عليه لكن بكلمات لا تمت إلى موضوع وليد بصلة ،. أوصله إلى المرآب وركبه السيارة التي تقله إلى ذي قار ، فودع كلٍ صاحبه ، عاد وليد إلى القسم الداخلي ومضى أحمد في السيارة ، ليكي يعود إلى أهله ، جلس أحمد في السيارة وهو في حالة وكأنه مغمىً عليه ، في الأرض هو لكنه ليس مع الناس ،

جسده هنا على سطح الأرض لكن روحه سمت فوق السماء السابعة محلقة قرب النجوم تائه في الفضاء تبحث عن الحُب الـذي انتظرتـه طوال عمراً كاملاً وها هي أماراتـه قـد اعترضـته وقربـت إليـه حتـى لامست شغاف قلبه ، أخذ يسأل نفسه عن هذا اليوم الذي عـده مـن أجمل أيام عمره منذ يوم ولادته حتى هذه اللحظة ،

- ماذا بك يا أحمد؟

- لا شيء .

- كيف لا شيء ، وقد اصبحت غارقاً في احلامـك ومازالـت عينـاك مفتوحة وانت في عالمٍ بعيد غير هذا العالم !

- حقيقةً لا أعلم ما بي إلاّ إني فرحٌ بما أنا عليه .

- فرحٌ بماذا أيها القروي ؟

- بدخولي الجامعة وقريباً سأدرس القسم المعماري الذي احبه

- أحمد أواثقٌ أنت من كلامك هذا !

- بالطبع لا لكن ماذا أقول وأي شيء أقول وأنا ذاتي لا أعلم مـا بـي وما مر بي .

- هل صادفتك لمسة حنان قد اعترضتك وألهبت مشاعرك وجعلتها تطفح بهكذا شعور جارف ؟

- أنا لا أعلم شيء سوى إني في غاية السعادة وقمة الفرح .

- ربما اقبلت إحدى البغداديات فسلبت منك شيئاً ما ؟

- ماذا يعني وماذا تسلب مني ؟

- قلبك .

- ماذا !

- لا تنكر يا أحمد ، فلا بد إن لك مشاعر مكبوتة وأقبلت من هزتها وحركتها ومالت إليها مشاعرك .

- لا أنكر إني اليوم رأيت مشهداً ، هو أجمل مشاهد حياتي كلها .

- وأي مشهد ؟

- رأيت من حلمت بها عهداً من حياتي ورأيت من رسمها قلبي شكلاً ومحتوىً ، رأيتها بعيني وبقلبي ومرت بجنبي ، فشممت عطرها وها هو الآن في فمي أشمه .

- يا أحمد هل بادلتّكَ شيءً ما ؟

- ولا أي شيء سوى ...

- ماذا ؟

– نظرات ملؤها الحنان ، وملؤها الغرام ، وملؤها الهيام وملؤها الحُب الذي تتوق إليه نفسي طوال سنين وسنين .

– أتظن ما أنت به يسمى حُباً ؟

– بالتأكيد

– لا يا أحمد ما هو من الحُب في شيء .

– ماذا إذن ؟

– إنها نظرة سطحية لا أكثر ولا أقل وهي نزوة مراهق لم يجد في حياته هكذا قرب من البنات وها هو قد رأى .

– لماذا تقسو عليّ هكذا ؟

– لا يا عزيزي ليست بقسوة وإنما واقع حال لا تريد إن تصدقه .

– لكنها نظرت مرتين وبعمد إليّ ؟

– وإن نظرت فما زلتم كلا كما مراهقين لم تتعودا الحياة الجامعية بعد .

– والمرة الثانية عادت وأطالت النظر فيّ حتى أخذت تحدق النظر في وجهي وملامحي مما جعلني أظنها قد أعجبت وغداً ستحبُني .

-أفق يا أحمد ، فما أنت عليه مجـرد نـزوة مراهـق وقـع نظـره علـى إحدى بنات جيله وخالها تحبه وماهي إلاّ نظرة عابرة ولن تتكرر بعد .

- ياليتها تتكرر ، فإني قد اشتقت إليها وكلي أمل بأن أجدها بعد غد في الجامعـة لأكحـل نـاظري برؤيتهـا ، فهـي مـلاك أو كـالملاك في سحرها وغنجها ودلالها وقوامها وأناقتها ، فإنهـا ملكـتني ولم أعـد أملك نفسي ولا قلبي .

- أوه يا أحمد ، أيها العاشق الـذي يعشـق الخيـال والـوهم ولم يمـر بالعشق الحقيقي بعد

- لماذا لا أمر به وأعيشه ، فها أنا كلي مغرمٌ بهـا وافتقـدتها الآن ولا أملك الصبر لما بعد غد .

- هونّ على نفسك وقلبك ، فأنت فتىً لم ترَ الفتيات كما رأيتهن في الجامعة وصدق من قال : المعدان أفة التمدن والحضارة .

- وهل الحُب كتب لأصحاب المدن دون غيرهم ؟

- كتب للجميع ، لكنّ كُلٍ ومحيطه ، فأنت رجلٌ قروي تعيش في بيئة نائية وهنا فتاة تعيش في قلب العاصمة فكيف تتأقلم مع رجُلٍ مثلك !

- وماذا يعيب شخصيتي إزاءها أوليس كلانا في ذات المستوى الثقافي والمعرفي وكلانا طلبة جامعة واحدة وقسم واحد وبذات المرحلة ؟

– أحمد يا عزيزي لا تقاس الامور هكذا ، بل انظر إلى نفسك ، فأنت ذو طبيعة تختلف عن طبيعة أهل المدينـة ، في كـل شـيء ، عليـك أن تحسن الاختيار وتجد من تكون من ملّتك كما يقول العقل والمنطق .

– ومذ متى وجد عند العشاق عقل ؟

– الآن صدقت .

– بل ، إن طعم الحُب يكمن عندما يكون جنوناً .

– أحمد هذه الفتـاة ليسـت الفتـاة الـتي تلائمـك وعليـك ، أن تنتبـه لدروسك وتجتهد في الدراسة ولا تستسلم لعواطف ومشاعر لـم تلبث ان تزول .

– ما أقسى ما تتفوه به !

– ليس قاسٍ ، بل هو العقل الذي تفتقده يا أحمد !

– وهل تظن إني فاقد العقل ؟

– أجل ، ولن تملك ذرة من العقل اصلاً .

– تقول هكذا ، لأنك لم تجد لذة في الحياة بمثل ما وجدتها في الحُب الذي أسعى إليه وتراني قد وجدته حقاً .

– انت تضحك على نفسك وتوهمها بهذه المشاعر الكاذبة .

– ما أقبحك وما أجفى قلبك ، أتصف هذه المشاعر الحارة المتوقدة جذوتها واكاد أحترق من شدة حرارتها بالكذب ، لمَ هـذه العـداوة التي يشنها العاذلون على أهل الهوى والغرام ؟

– لا عداوة ولا عذل ، بل هو نصح وإرشاد .

– النصح والارشاد عندما يكون في الحُب وليس في ترك الحُب .

– لأنك في الحُب أعمى ولا ترى للإرشاد كلمة تؤثر فيك .

– أوه لقد سأمت كلامك الغليظ وأريد أن أمضي بعيـداً عنـك لأهنـأ بالحياة بظل حبيبة أبادلها الحُب وتبادلني أضعافه .

– عليك العافية إذن فيما ستلقى من العذاب وما تقاسي من الآلام .

– سأتحمل وبكل سرور أي ألم يقبل من الحُب وسأجعله يكون راحة وسعادة وأمل .

– تتهنأ بهذا العذاب الذي جنته يداك .

– شكراً لقساوة كلامك وغلاظته !

– حقاً انتم اهل الهوى مجانين ، تجلبون الهم إليكم وتدركون ، إنكم لن تحصلوا على الحبيب الذي سيسعدكم حقاً

– فقط اتركني لأعيش وعليك ان تكف عن اللوم وهذا الإلحاح .

– حقاً لا أذن تسمعون بها ولا عقول تفقهون بها .

- ومن قال لك نريد العقل والسمع فما دام القلب سليم كفى .

هكذا كان يسأل نفسه ويحاورها وكأنه انقسم قسمين وتراه لا يقبل بأيّ عذل أو أي شيء يصرفه أو يحيد به عن وقوعه بقصة حب ما ، قضى الطريق من بغداد إلى محافظة ذي قار ولم يشعر بملل ولا سأم من طول المسافة الشاسعة ، لأنه كان في عالم غير هذا العالم الذي به الناس ، فهو هناك بعيدً عن الكون ، ملتهياً بقصة عشقه التي لعلها ستبدأ وشيكاً ، وصلت السيارة إلى محافظته ونزل منها وما زال في حيرة واضطراب مما رآه اليوم في هذا الصباح المميز الذي عده من اجمل ايام عمره إطلاقاً ، عاد مبتهجاً فرحاً ، لكنه كان محتاجاً إلى أن يخلو بنفسه ، لكي يعيش عالمه المفضل الذي يرغب فيه ، سلّم على أهله فاستقبلته أخته بذات الوجه البشوش مهلله فرحه مستبشرة بمقدمه الرائع هذا ، قص على أهله مشاهدات يومه كلها إلاّ حادثة الفتاة التي خطفت قلبه ورحلت وعاد من دون ان يستعيد قلبه الولهان منها ، ارادوا ان يضعوا له الطعام ، لكنه أبى إلاّ ان يترك لنفسه ولجسده الراحة التي هو الآن محتاجٌ إليها ، قرر أن ينام اليوم في سطح الدار بعيداً عن صخب اخوته واخواته وبعيداً عن عبث اصوات الخراف التي تقض عليه نومه ، صعد إلى سطح الدار ، فوجد أخته قد فرشت له الفراش ، وتمدد عليه فأحس ببروده ، فاقبلت عليه نسمات من الهواء البارد ، كانت السماء صافية جداً وبصفاءها هذا جعلت العشاق يتمنون هكذا صفاء ليعيشوا أحلاماً بعوالم لا هي في الأرض ولا هي في السماء ، بل في مكان ما بينهما ، تعلقت روحه اعلى

الأرض وأسفل السماء ، تغـازلُ القمـر وتنشـده كلمـات مـا اعـذبها وألطفها وما اسحر وقعهـا ، يرمـق السـماء ويبتسـم لهـا ويـرى هـذا الجمال قد ألهمه ان يعيش الحُب بأوهامه التي ما زال يود ان يعيشها حتى وان كانت وهم ، العشاق يعيشون مع الناس في اجسادهم لكنهم يعيشون في عالم أخر هو عالم لا يعـرف مكانـه ولا كنهـه إلاّ أولئـك الذي وقعوا في هيام وغرام احدهم ، يتأمل السماء ويرى النـور الـذي بها لابد وأنه قد استعار بعضاً من نوره من وجه الحبيبة التي يذوب لها القلب ، مبالغات وخيالات واوهام يعيشون كثيراً بها ويصرون علـى إنهم يعيشون حقيقةً وعندما يبادر أحد لنصحهم وإرشادهم تراهم لا يقبلون عذراً ولن تجد أذناً لهم لتسمعك اصلاً ، تقول لهم إننا وانـتم نعـيش علـى الأرض أجـابوك لا وألـف لا ، بـل لا نعـيش معكـم ولا تعيشون معنا ، انتم تشكون آلام الحياة ومصائبها ، ونحن نرى الحياة جمالاً كلها .

لم ينم تلك الليلة التي كانت ما أطولها ، وما اعذبها ، قضاها هائماً في أبحر الخيال ، الذي ذهبَ به بعيداً نحو العاصمة في القلب منها عنـد بوابة كلية الهندسة في ضحى يوم الأحد .

عادت ندى تعيد النظر هنا وهناك علّها تجد هذا الذي لفت انتباههـا وجعلها تحـن إلى محيـاه وتـود لـو كـان في ذات قسـمها الـذي هـو المعماري ، عادت إلى البيت وهي كالطير الهـائم في السـماء محلقـاً بأعاليها مرفرفاً بأجنحته ، قصت على اهلها ما جرى وإنها قد سردت لهم كل التفاصيل ماخلا قصة هذا الفتى الذي جعلها تكسـر الطـوق

الذي كان دوماً يعتريها وهو طوق الخجل والحياء وعدم الميـل لأي نوع من انواع العلاقات ، بل أرادت ان تهتم بدراستها وتجد وتجتهد ما وسعها إلى ذلك سبيلا ، لكنـه الحُـب لا يسـتأذن في الـدخول ولا يأتمر بنواهي ولا غيرها ، ومن قال إنه حُب ؟

وهل تؤمن بالحُب من أول نظرة ؟

- لا أؤمن بذلك .

- لو لم يكن حباً ماذا يكون إذن ؟

- ولا شيء أصلاً .

- ماذا !

- نعم لا شيء وهل تسمي نظرة عابرة بمثل هذه النظرة الخاطفة حباً !

- انا لا أؤمن بالحب من النظرة الأولى ، لكن لنقل إنه الخطوة الأولى من خطوات الحب التي تبدأ بالنظرات ثم الاعجاب وثم وثم

- ربما وربما لا مجرد شيء عابر ولن يتكرر واذا كان هكذا ، فأنتِ ستواجهين مئات الشُبان فهل ستحبينهم جميعاً ؟

- لا ليس هكذا ينظر إلى الأمر، بل هو شخص واحد ملـك شـعوري ولفت انتباهي وجعلني أشعر بالأمان والبراءة في عينيه البريئتين .

- اترككِ لعلك تفيقي من هذه الخزعبلات

قضت يومها وهي بحالة من البهجة والسرور والغبطة ، وها قد اقبل الليل يلف بياض النهار ويغشي الدنيا لكن سماء العاصمة كانت بأحلى وابهى صفاء ، اكملت عملها في البيت وكانت تعمل وكلها حركة لا تعرف الملل ، بل تعمل بجد وبروح عالية ، ترى ماذا حصل لها ، لكي تكون بهذا النشاط وبهذه الروح التي تملك مزاجاً لطيفاً للغاية ، ها قد افضت إلى غرفتها لتخلق لنفسها عالم الأحلام والأوهام التي طالما يحلم العشاق به ، هنا تمددت على سريرها واخذت ترمق السماء من النافذة لعلها تجد ما تأنس به كالقمر والنجوم المشرقة ، بدأت تتساءل وتلح في الأسئلة عن هذا الذي جعلها تضرب أخماساً في اسداس وتقضي يومها وصورته ما زالت ماثلة امامها ،

تحاور نفسها وتسائلها - ماذا حصل معي اليوم ؟

- ذهبت إلى الجامعة برفقة أبي وأتممتُ التسجيل وأنتظرُ الاسبوع القادم لكي اباشر في الدوام .

- فقط هذا ما جرى لكِ ؟

- تعرفت على صدقتين معي واتفقنا على خط سيارة يتكفل بذهابنا وعودتنا من الجامعة وصادف الحظ أننا على طريق متواصل وغير بعيدة بيوتنا عن بعضنا البعض .

- ندى هذا كل ما حصل وفقط ؟

- بتردد ، نعم

- أكيد ؟؟؟

- تردد وحياء وخجل وصمتّ .

لم يجد النعاس طريقاً إلى عينيها ، بل العيون ساهرة والجفون نشطة والقلب ما زال يضرب وبقوة تراه ماذا يريد ؟

- حبيباً يأنسه ويعشقه ويعيش الدنيا بظله .

- أوه وهل وقعتِ بهذا الوهم يا ندى ؟

- كفى كفى كفى عذلاً بي ، فلم أعد بعد اتحمل اللوم من أي أحد .

- هل تغيرتِ ندى ماذا دهاكِ ، فما زلتِ مراهقة ولم تعرفي معنى الحياة ما هو .

- ومتى تريدون مني ان أحب في الأربعين ، او الخمسين او الستين ، بل اني لأجد من سكن له قلبي ومن أنس له .

- هل كلمكِ ؟ هل بادر إليك ، واعترف بما يعاني من مشاعر إزائكِ ؟

- لا لم يفعل .

- إذن انتظري وتأملي هل سيقبل عليكِ ، أم سيعبر إلى غيركِ .

- هل هو لُعبة عندكم الحُب والمشاعر ؟

- اجل لُعبة ، ولكنها من طرفٍ واحد في بعض الأحيان .

- لماذا لعبة ولماذا من طرفٍ واحد ؟

- فما زلتما مراهقين ولم تعرفا بعضكما البعض ولعله من أولئك الشبان المراهقين المتمردين الذي يكون اليوم مع فتاة وغداً مع غيرها ولربما جمع الأثنين معاً .

- لا أظنه هكذا تبدو عليه علامات الوقار والادب والتربية .

- كلهم هكذا الشبان يبدون وكأنهم ملاك ، لكنهم يخفون الأنانية والدونية في نفوسهم

- لا هو ليس كذلك واكاد اجزم بأنه طيب واصيل .

- وكيف عرفتي ؟

- احساسي .

-أوه يا عزيزتي هذا كلام طفلة تريد لعبة ، ولكنها لا تعرف كيف تلعبها حتى .

- انا طفلة وقد دخلت الجامعة وبأصعب الاختصاصات فيها ومن اعقدها !

– روضي يا ندى وهوني على نفسك هذه المشـاعر الـتي ربمـا هـي كاذبة ولعلها كاذبة في ارجح الظن .

– عبست بوجهها وكدلال الاطفال بكت واضعة يديها على وجهها ذو الملامح البريئة .

– اتبكي احلى البنات واطيبهن قلباً ، ممَ تبكين يا حبيبتي ؟

– لا أعلم

– ماذا !!!

– حقاً لا أعلم ما هو هذا الذي يحز في داخلي ويجعلني لا اعرف مـا اقول ولا اعي ماذا يجري حولي .

– عيبٌ عليك ولا يعقل من بنت مثقفة ومـن عائلـة محترمـة ونراهـا تتفوه بهذا الكلام الذي لا يليق بكِ وبسمعتكِ .

إمتعضت وقررت ان تصحو وتفيق من هـذا الخـدر الـذي اعتراهـا ، وقررت ان تستسلم للنوم الذي بدا يقصدها ، الساعة الخامسة فجـراً ولما تزل صاحية لم تذق طعم الرقاد بعد ، لحظـات مـن الاسـترخاء والسكينة ثم بدأ يدبُ النعاس إليها شيئاً فشـيئاً ، نامـت واستسـلمت لنوم عميق ولـم تستيقظ إلى والساعة تشير إلى الثانية عشر ظهراً ، نحت الغطاء عنها ونهضت وما زالت تعاني من بقايا النعاس الـذي مـا زال ماثلاً في عيناها التي لم تستطع ان تفتحهما بشكلٍ كامل ،

نزلت وجدت اهلها مجتمعين ، لتناول طعام الغـداء، وتبـادرت لهـا النظرات ترمقها وكلها حب وغازلها اخاها الاصغر، شمسكِ عاليـة حبيبتي نداوي ، ما احلى الاكل ويكون من يديكِ ، اليـوم لم نشـهد طعاماً شهياً ، لأننا لم نجد لمساتكِ فيه ضربته على ظهـره مازحـة إن أمي افضل وافضل بكثير يا بذات ، تعالي بجواري لـكِ اتقيـأ الاكـل عندها ضحك الجميع بصوت عالٍ ، عمدت إليه إن ضربته بقوة على رجليه ، لكنه لم يحس بها ، بل زاده ضحكهم بعدما رأوها تثور على أخيهـا ، غسـلت وجههـا ونشـفته ثـم اقبلـت بجـوار زوجـة اخوهـا وجلست تأكل وليس لهم حديث إلاً هي واخيها الذي دوماً ما ينتهي مزاحهم بعراك بالأيدي ، لكنه يثير المزاح والضحك أكثر .

يمازحها قائلاً :

- اتمنى ان تتزوجي رجلاً يصفعك مصبحاً وممسياً

- يضحك الجميع وتقول له أمه لم يا وغد لم تقول على نداوي هكذا ؟

- ترد عليه بلحظةِ من الهدوء والابتسامة التي ربما افتضح امرها على إثرها ، سيأتي من يحبني ويدللني رغماً عنك

- واين تجدين شخصاً يدلل ويحب على الـدوام ، بـل معـكِ شـكل وخارج البيت شكلاً آخر

- سأربيه أنا ويكون طفلي الكبير يفعل ما أحب وما أريد

– لن تجدي إذن

– بل سأجد ، لكني أريد إن ألهو بدراستي

– محالٌ أن تجدي شخصاً بهذا المواصفات !

– سنرى .

– وهل هو موجود الآن و كأنه مقصود في أن يستدرجها لتعترف بما يجول في نفسها من عظيم المشاعر التي بدت ظاهرة ومعلنة .

– تصمت ولم تجب ، لكنها اطرقت لحظة وردت بتثاقل وتردد لا

– تصورته موجوداً !

– تضحك وأدركت إنها على وشك أن تنفضح لذى قررت ان تغير من كلامها وخصوصاً بعدما ساد صمت اهلها واخذوا يترقبون لكلامها وصمتهم ربما يكشف لهم ما أخفي عنهم وما اضمر .

اكلوا غداءَهم وذهب كلٌ منهم إلى غرفته وبقيت ندى وزوجة أخيها في المطبخ ، لغسل الصحون والملاعق ، ولما أتمت ندى غسل الارضية ، خرجت إلى كراچ البيت وذهبت الى الحديقة ، فشذبت الازهار وقصت الزائد من الخضار، فاصبح منسقاً ومرتباً ، سقت الحديقة بالماء ، فانتعش الوردُ وإزداد من عبق شذاها .

انتهى الليل بشقائه الذي يستطيب له نفوس العشاق ويعدونه مصـدراً ملهماً لأحاسيسهم ومشاعرهم المكبوتة التي تزيد من لهيب الشـوق في داخلهم ، لم يفق لو لم تدركه الشمس وتجعله يحس بالحرارة وقد علت الشمس واصبحت عمودية في مسارها ، اختـه توقظه فتراه غارقاً في نومٍ عميق للغاية ، برقة وكل عذوبة تناديه أحمد افق ، أحمد فقـد اقبل الظهر ، تعال ونم في الغرفة السفلى ، استيقظ وهو مغلق العينين او نصفها ولم يستطع ان يفتحهما بالكامل ، صباحك سعيد أحمد ، يرد صباحك ورد يا حبيبتي ، تبتسم اخته وتقول له لست حبيبة لك ، بل أنا أختك ، حبيبتك لم تقبل بعد ، وعليك ألاّ تنادي أي امرأة بالحُب إلاّ تلك التي تسلبك قلبك وتحطم قيود المشاعر في داخلك ،

وماذا يدريك لعله وجدت امـرأة هـذه مواصـفاتها ، ابتسـمت اختـه وقالت حدثني إذن عنها ، كان بحاجة للكلام عنها والتغزل بها وهـا هو يجد احد يعطيه اشاره في أن يبدأ الكـلام ويعـرب عمـا يجـول في داخله من شتى الخواطر ، اراد ان يهرب ، لكنها ألحـت عليـه حتـى اذعن لها أخيراً ، فبدأ بوصف شكلها :

– رأيتها ذات ملامح بريئة بشكل اثارني حقاً وجذبني إليها وشعرت وكأن سلاسل تسحبني لها

– يا ويلي على هذا الغرام

– يبتسم وهو مطرق إلى الأرض

- تكلم لا تصمت

- بعد ابتسامه واخرى و اخرى يسرد ، كانت بيضاء مملوحة يتقاطر الملح من بين جوانبها ، ولم تكن بيضاء بلا معاني ، بل لها معاني هي اجمل ما تتصف البنات ، عيناها عسليتان وواسعتان ، لها رصعتين في خدودها ، وشامة قرب الشفة السفلى ، وحواجب كأنها مرسومة رسماً بخط متعرج ، فمها صغير وطولها يقاربني ارجحه ما بين ١٥٦ او ١٥٨ سم ، لها ابتسامه تملأ السعادة قلب المقابل وتخرجه من بؤسه إلى نعيم دائم ، كانت رائعة القوام ،

انيقة الهيئة نازكه في ملبسها وتنسيقها ، لها سحر لا يقاوم ولن يقاوم .

- كفى لقد اطنبت بها كثيراً .

- لا اظن .

- بل انك بالغت واسرفت في المبالغة بوصفها

- لعلي اظن أني قصرت في وصفها بما رأيت

- لا يا أحمد واضحٌ إنك تراها من خلال قلبك وليس من خلال عينك

- قلبي وعيني وكل حواسي لا ترى في الوجود غيرها واقسم بالله على ذلك

– على مهلك ، فأنت لم تبل اخلاقها بعد ولم تقضي معها وقـت ولـم تحاورها حتى

– أووووه

– لا تتأوه كثيراً وتعيش في الاحلام ، فربما تفيق على ألم

– ألم !

– نعم لربما تكون مرتبطة ، ولربما تكـون محكيـاً بأمرهـا ، ولربمـا تراها تعيش قصة حبٍ ما

– نزلت كالصاعقة هذه الكلمات عليه فاكتفى بأن رد عليها بغضب لكنها لم يبدو عليها اي شيء مما تقولين

– وكيف تعرف ذلك يا عيني

– لا اعرف لكن .

– ماذا .

– لم ابتسمت لي ولمَ نظرت إليّ مرة واخرى واخرى

– مجرد استلطاف لك ومجرد شكر ، لأنك قرأت أسمها .

– لماذا انتِ قاسية إلى هذا الحد

– لست قاسية بقدر ما انا واقعية .

- لا اريد واقعاً لا توجد به ندى

- ليس بيدك حيلة لتفرض وتقر ذلك

- انا لم يخفق قلبي ابداً ولم اجد شعوراً كهذا قط في كل سنين حياتي ولم اشعر بلذة إلاّ بما رأت عيني أميرة البنات وأجملهنّ وأعذبهن وألطفهن

- يا رب تكون الأمور مثلما تحب لكن يا أخي البنات لا تؤمن وانا اخشى عليك ان تنجرح وان تجرفك مشاعر كاذبة سرعان ما تتلاشى وتضمحل .

- لماذا تخلقين لي كل هذه العقبات ، وأنا لم اضع قدمي في طريق الحب بعد

- لا أضعها يا اخي ، ولكن عليك ان لا تنجرف هكذا وراء وهم سرعان ما يتخلى عنك ، ولكن ياليته يرحل دون ضرر ، بل سيسبب لك خللاً ما في نفسيتك ويجعلك محبطاً مصدوماً .

- اتركوني اعيش عالماً وانا سأتحمل كل التبعات التي تجري وراءه

- وهل يقود الإنسان نفسه إلى التهلكة ؟

- او يدعى الحُب تهلكة !

- نعم يا أحمد

- كيف ؟

- من خلال وصفك لها ولطبيعة اهلها ، فهي لا تلائم حياتك يا أحمد

- لماذا لا تلاءم

- هي بنت بغداد المتمدنـة ، وطبيعـة اهلـها ومـزاجهم يختلـف عـن طبيعتنا ، ونحن ملة وهم ملة

- كل هذه فوارق وشكليات لا يعبأ لها

- أحمد هل تعيش معك هنا في هذا البيت وتنام قرب اصـوات الغـنم تعبث بها وتؤرق ليلها ، وهل تتحمل قساوة البيئة الخشنة التي نعيشها ؟

- يصمت وهنا ازدادت حيرته .

- أحمد انت شاب واعٍ وفاهم ومثقف يا عزيزي ، عليـك ان تختـار من تلاءم طبعك وطبيعة اهلك ومحيطك ، ستتعب كـثيراً لـو اقبلـت بزوجة هي خارج إطار ثقافة محيطك الذي تحيى به

- لربما اتأقلم معها

- وهي تتأقلم معك هي ؟

– هذه خطوة عليك ان تدرسها وتضع نصب عينيك ، هـل تلاءمـان بعضكم بعضاً وانت الفتى القروي وهـي الحضـرية الـتي لهـا طبـائع وعادات تختلف عنا تماماً

– ربما الحـُـب ، يكسـر كـل هـذه الحـواجز ويجعلنـا مغتـبطين معـاً ومتجانسين معاً .

– أحمد لا تخلق وهما وانت تعيش الواقع .

– هي بنت حضرية وانت من القرية التي لن يتحمل العيش بها إلاّ من ولد بها افهم

–محتارٌ والله وحده يعلم حيرتي

– لا يا أحمد لا تحتار ولا تحزن ، بل عليك شيء واحد ان تفعله

– وهو

– تصمت للحظة ، تتركها ولن تعود لمثلها قط

– كلمة كالصاعقة وقعت على رأسه ، مااااااااااااااذا

– أظنك سمعت ولا حاجة بي ان اعيد ما قلته

– وهل ما قلتي حقاً

– هو الحق والصحيح والذي يجب عليك فعله

– اووووه يا ربي ما اقسى الحياة عليّ واتعس حظي بها

– لست بتعيس ولم تظلمك الحياة ، بل انت تريد ان تظلم نفسك باختيارك فتاة لم ولن تكون من نصيبك قط

– يا ربي ما هذا القلب الذي تملكين إرأفي بحالي ، هل يهون لكِ كسر قلب أخيكِ !

– لا والله لن يهون لكن ...

– انتِ طعنتِ مشاعري وهدمتِ كل حلمٍ كنت أعيشهُ اياماً واياماً و أيام .

– الله يكون بعونك يا اخي و يا سندي في هذه الدنيا

– أحمد الذي له شموخ وإباء واذ به يبكي وبدت دموعه تنهمر على خديه .

– يا إلهي يا اخي اسفه وانا اعتذر اليك ، اموت ولن ارى دموعك الغالية تنزل

– سلامتك من الموت يا عزيزتي

– أحمد انا لا اسامح نفسي على كلامي

– لا عليك ، بل كلامك هو عين الصواب الذي لا اريد ان اصدقه

– تبكي وتنشج بالبكاء مع اخيها

– مسح دموعها ومسحت دموعه وقالت له مصبرةً إياه يا اخي ربما الظروف ستكون افضل ، فما زلت لم تدخل المرحلة الاولى بعد ، لنترك الكلام إلى المستقبل وهو الوحيد الذي يعرف ماذا سيكون عليه قلبك

– تمام إذن

– أخذت تلين معه وتجاريه بالقول وهو منصت لها وهي تسرد له مؤملة إياه بغدٍ افضل وافضل

– فرح بهذه الكلمات التي أعادت له عنفوانه الغض وقوته واعطته دافعاً ودافعاً للأمام ، اخبرها بأنه شاكرٌ لها حديثها ونصحها .

– ردت عليه بقول : أنت أخي وقرة عيني وقلبي عليك يا عزيزي .

– ضربها على متنها مداعباً لكن ما اقسى قلبك وما اقسى كلماتك

– من اجلك يا أحمد

– يقبلها ويحتضنها ويتبادلان الاحضان معاً

– الشمس تكاد تحرقنا ، هيا أنزل كفى دلعاً ودلالاً فلست حضري .

– يبتسم ويقول : أمرك

نزل الإخوان معاً وعينا امهما عليهم وتقول مداعبة ماذا تخفيان ؟ أحمد يقبلها ويقول تحدثنا عن الجامعة وما رأيت وما فعلت وهكذا ،

دعت له بالتوفيق وإن يحميه الله تعالى من كـل سـوء وان يجنبـه كـل مكروه ويعود لها سالماً غانماً بإذن الله وتمنت ان يطيـل الله بعمرهـا لترى زوجته واولاده يلعبون حولها ، فستكون حتماً في غاية السعادة وقمة الرضا والغبطة .

# الفصل السابع

# شجار قروي

اغتسل وارتدى ثيابه وما هي إلاّ لحظات حتى سمع صوت هرج ومرج في الخارج ، خرج مسرعاً ، فرأى إن هنالك معركة حدثت بين شابين يعرفهما ، ركض نحوهما ليساعد في فض النزاع بينهما ، وصل إليهما بعد ان نزف كلٍ منهما ، قرر ان يقلل من غضبهما ويخبرهما بأن لا شيء يستحق كل هذا الغضب وكل هذا العِراك ، لم يستجب له احدٌ منهم واستمر كل منهما يؤذي بصاحبه حتى يدميه ، ولم يستطع ان يفض نزاعهم وإذ به يخاطب الناس ويستنجد بهم لإنهاء هذه المشادة التي ابتدأت كلامية ولما عجز الكلام ان يحلها بادرت الأيدي والارجل لإشعال فتيل عداوة بينهما ، بعد قليلً اقبل اشقاء احدهم فانهالوا على خصمه ضرباً وركلاً حتى سقط بلا حِراك ولا نفس واستمروا يضربونه ويركلونه بمسحاة كانت بأيديهم حتى لم يعد يرى له حركة ولم يسمع له صوتٌ ولا همسٌ ! عندها صاح أحمد بهم وبيده عصاً غليظة كفى يا وحوش ، كفى يا كلاب البشرية ، كفى يا حقراء ، أكلكم على هذا تباً وتعساً للرجولة ، ان كنتم تملكونها يا ذكور ، وارادوا ان يبادروا أحمد بالظرب حتى صاح بهم احد الحضور انظروا إليه إنه ميت ، دهش الجمع من سماع هذه الكلمة ، فتبادروا إلى جثته زرافات زرافات ، فنزل عنده أحمد ليسمع دقات قلبه ، وينزل على انفه علّه يسمع زفيره وشهيقه ، فلم يسمع أيّ صوت منه ، نزل إلى قلبه ووضع أذنه على قلبه لعله يسمع دقات قلبه فلم يسمع شيئاً ، نهض أحمد مزمجراً غاضباً حاد المزاج وقال لهم : لقد قتلتموه يا جبناء ، مات ، لقد مات ، انظروا ما ارخص الانسانية

عندكم ! ما أهون الدماء عندكم ! ما اقسى القلوب التي تحملونها ! تباً لكم وتعساً وسحقاً ، انصتوا ولم تبدو منهم أيّ ردة فعل واكتفوا بالصمت والذهول ، اقبلت النساء والاطفال والرجال ، ليشهدوا على هذه الجثة ، يضرب بكفه بكل غضب ويبتعد عن الجثة ، ليقف امام الناس مخاطباً إياهم بأعلى صوته : ها هو قد مات إنسان ، ها هو قد مات شاب بعمر الورد ، لم يشهد ربيعه التاسع عشر ، ها قد مات من تنظر له أمه عند كل صباح مغتبطة بطوله تتغنى بشبابه وتنتظر اليوم الذي تشهد زواجه لتقر عينها برؤية احفادها يلعبون حولها ، اخذ يؤنبهم ويوبخهم وهم صامتون مطرقون برؤوسهم إلى الأرض ، يتكلم بحرقة وانفعال على هذا الدم الذي يراق كل حين لأدنى سبب ، دعاهم ليخبروا اهل هذا الشاب والذي لديه اخوة لن يسكتوا عن حقهم وسيحرقون القرية على رؤوس أهلها ، عندما سمعوا هذا الكلام هربوا بأجمعهم وتبدد الشمل ولم يبقى إلاّ القليل مع أحمد من كبار وبعض الشيوخ الذين بقوا ليصلحوا فتنة وشيكاً ستنطلق ، وبدل هذا الشاب ستأخذ شباب وشباب ربما ، لأنه قد قتل باطلاً وهم تكاثروا عليه ، الله وحده العالم ماذا سيفعل اهله عندما يعرفوا ، كيف قتل أبنهم هكذا قالها أحمد للحضور الذين بقوا معه ، غطى الجثة بغطاء اقبل به من بيتهم لأن الذباب اخذ يتزاحم على هذا الدم المراق ، دمه ما زال ينزف ويصرخ ، أحمد الرافض لقتله ايضاً رافض للإسراف الذي سيحصل بعد قتله ، يريد ان يلجأ الناس إلى الاسلام او القانون المدني ، لكي تضمحل الفوضى وتذوب هذه النعرات الجاهلية التي تدعو إلى الإسراف في القتل والأخذ بالثأر ، هؤلاء الناس لا يعترفون

بالدين والاسلام إن كان الأمر يمس تقاليدهم وعاداتهم التي ألفوها من سالف آباءهم واجدادهم الذين كانوا وما زالوا مصدر إلهامهم في حل النزاعات والتخاصم الذي يقع بينهم ، يستشهدون بالتراث القبلي المقيت ويعدونه خير من يشفي غليلهم ويريح ضميرهم الذي لم ولن يرتاح حتى يبلغوا الثأر مضاعفاً او يلبسوا لباس الذل والهوان ويبقى العار ملازمهم ولن يزول ، عادات وتقاليد اقبلت عليهم من تراثهم العتيد ، سكان العراق يميلون إلى الروح المدنية المسالمة ، لكن هؤلاء القبائل التي دخلت العراق إثر الفتح الإسلامي وفتح الخليفة الثاني الكوفة ، فهو بذلك سلط الاضواء على خيرات العراق وجعله مطمحاً للأنظار وداراً يود الجميع ان يعيش فيها ، اقبلت إليه هذه القبائل من اليمن ومن شمال الجزيرة ولم تترك ديدنها القديم في بلدها الاول ، بل اقبلت على العراق بكل سلبياتها وتقاليديها التي بقي العراق يعاني منها ولعله سيبقى يعاني منها إلى الأبد ، تكاثرت هذه القبائل وتناسلت وتمازجت وتحالفت مع بعضها البعض ، لكي تكون قبائل وقبائل ، يستنجد بها في الملمات وحل الخصومات التي تقع فيها عشيرة من العشائر ، هذه العشائر جعلت العراقي يحتاج إليها على الدوام ، لأنها تمردت على النظام ولم تستطع أي حكومة قمع تلك العشائر وذوبانها في النظام ، لذلك اخذ الفرد يشعر بوطنه الأم الذي هو العشيرة وليس الوطن اي المكان الذي يجلس عليه ويعيش فيه ويمارس عمله وحياته عليه ، الحكومة في نظر الفرد لا تستطيع ان تدافع عن حق الفرد بعكس العشيرة التي تهرق الدماء من اجل إسترداد حقه ، لذلك ترى الافراد تتعصب لعشائرهم لتحتمي بها وتنتصر بها وبسمعتها وتزداد

سمعة العشيرة ، كلما زادت في سفك الدماء والتمسك بالقيم البدوية القديمة ولم تحيد عنها ، فلم يستطع الإسلام ان يذوب في نفوسهم ومن سوء الحظ ان صاحب الدعوة مات بعد انتصاره وانتشار الاسلام بقليل ، لذى لم يستطع القرآن الكريم ولا صاحب الرسالة ان يدخل مبادئ المسالمة والمدنية والنظام في نفوسهم ، ولم يستطع ان يزيل عقدتهم في تقديسهم للقبيلة ولنظامها المجحف ، دمٌ يسيل على الارض والذباب تعبث وتجتمع عنده ، والحرارة تؤثر فيه والناس كلٍ لا يهمه الأمر ، ما هي إلاّ بعض لحظات واذ اقبل جيشٌ مسلح من الرجال الحفاة بعض منهم المرتدين دشاديش ، اقبلوا يركضون بصوت ارعب الحضور حتى تفرق الجمع وبقي أحمد وحده قريباً من الجثة ، مضى الناس وتركوا أحمدَ لأنهم يعلمون بما ستؤول إليه الخاتمة ، سيكون هنالك دم يراق ثأراً لهذا القتيل ولكن هل يكتفي اهله بقتل شخصٍ واحد ؟ هكذا كان يردد الناس عن عدد ما سيقتل من هؤلاء الذين قتلوا هذا الشاب ، ربما خمسة ولربما سبعة بعدد الذين تكاثروا عليه ولربما الضعف هذا ما سيحدد الشيوخ عندما يعلنون التراضي ، هرع الناس خوفاً من اي رصاصة طائشة تعترض احدهم ، اقبلوا والغضب والشر يقدح من عيونهم ويترجم بعبثهم الذي قلبوا المنطقة رأساً على عقب ، عندما بادروا إلى قتيلهم نزلوا إليه نحو الغطاء عنه ، فوجدوه مضرجاً بدمه ، انتفضوا والرشاشات بأيديهم وجعلوا السماء تمطر وابلاً من الرصاص العشوائي ، ولم يكفوا عن هذه الاطلاقات النارية ، ليأخذوا قتيلهم ، واخذوا يتوعدون

قاتله ويعربدون ويصولون هنا وهناك وأحمد قريب منهم ، صاح احدهم بصوت غليظ ونهر أحمد هل انت شاهد على قتله ؟

- لا

- وماذا تفعل هنا إذن ؟ اغرب وإلاّ أطفأت نار غضبي بك وأثكلت امك بك .

- مهلك فأنا من غطى اخاك وجعل الذباب يكف عن اخيك واخذ يسرد لهم لكي يمتص غضبهم لكنهم لم يقتنعوا بهذه الترهات التي تجعلهم مسبة العرب وعار قبيلتهم ، اقبل احدهم واخبرهم بكيفية قتل اخيهم ، ومن قتله وردد اسماء قاتليه وكيفية قتله ، لاحظ أحمد انهم لم يبكوا على اخيهم ، بل غضبوا لقتله ، ولم يحزنوا بقدر ما ثاروا وتحمسوا للثأر غضباً لأخيهم ، عندها انتفض أحمد معاتباً عليهم ، صاح بأعلى صوته ويحكم هذا دم اخيكم ما زال يجري وجثته تأكل بها الذباب وانتم تتحدثون عن الثأر وتصولون وتجولون ، كفى عربدة وضجيجاً وهلموا إلى اخيكم واحملوه ، عندها تحركت عقولهم ومشاعرهم نحو اخيهم ولكنهم لم يبكوا للآن ، فلن يبكوا حتى يبلغوا الثأر ، اخوهم قُتل باطلاً ، اذ تجمع عليه شبان سبعة كلٍ ساهم في الاعتداء عليه وضربه بكل قوة ، لكن هل يعتبر هذا مبرراً ليجعلهم يثأرون لثأره ؟ اجتمعت العشيرة كلها وكل قادمٍ وجب ان يشرح له كيف قتل وهكذا والقتيل ما زال على الارض مسفوح دمه على الأرض وجسمه على التراب والشمس غيرت منه وأثرت فيه ، عرفوا

من الذي قتله وكيف قتل بتلك البشاعة وتأججت نار الغضب في نفوسهم واشتعلت فتيلتها في داخلهم ، عندها اقسموا بجثته حرامٌ عليهم العيش ما دام قاتلوه احياء ، ورفعت الجثة وهم واجمون لا على قتله ، بل تحضراً لحربٌ سيخوضونها مع تلك العشيرة التي اراقت دمه ، رفعت جثته لكن صداها ما زال يسمعه أحمد وهو علامَ قتلت ؟ وبأي ذنبٍ قتلت ؟ تأججت النار في داخل أحمد وها هو يسمع دق الطبول لحربٍ وشيكاً ستقوم وإن تم التراضي ، فلن يكون إلاّ وهو مطعم بالدم والعرض ، لكي تقبل الفدية ، لا الشرطة ولا أي قوة من قوى الدولة وحفظ النظام تسهم في حل وفض هذه الجريمة ، القانون يكاد يكون اعرجاً فمجرد حبرٌ على ورق والقوة في التطبيق تعود لشيخ العشيرة الذي يعد المشرع المنفذ ، أحمد يريد ان يسهم في حل هذا النزاع ولكن بالتي هي اسلم واصلح والتي تكون ضمن إطار القانون المدني الذي يحكم عموم الشعب ، لكن هل تتقبل نفوس هؤلاء الرضوخ للقانون وتقبل ما يفتي به وما يقر ، ربما القتل وربما المؤبد وربما و ربما أي نوع من العقوبات التي يفرضها القانون على كل من ارتكب جريمة ما ، وسينال جزاءه قانونياً هنا وعند الرب سينال جزاءه بما قدمت يداه وما جنت ، تجمعت العشيرة كلها وتداولت امرها وعزمت على شيء واحد وهو الثأر والثأر و الثأر ولا غيره قالوها ثلاثاً ، لكي يشدوا العزم فيما بينهم ، ولن ينتظروا ان تتوسط العشائر ، لكي تحل هذا النزاع ، شعارهم اضرب الحديد وهو مشتعل ، قرروا ان يهجموا في هذا الليل البهيم والجثة لم توارى ولم توسد الثرى بعد ، ساروا وهم ما بين عشرين إلى ثلاثين كلهم اخوة

وابناء عمومة وصلوا إلى بيت أحد الـذين شـاركوا في القتـل واخـذوا يرمون البيت في الرصاص حتى احرقـوه بالكامـل واقتحمـوه ونهبـوا الحلال والمنزل بما فيه ومن حسن الحظ لم يكن اهلـه فيـه ، لأنهـم عرفوا ان لا حياة لهم هنا بعد هذه الجريمة ، لم يبـقَ في المنـزل احـد التفتوا إلى أنفسهم وعزموا ان يذهبوا إلى الأخـر ، وصـلوا إلى بسـتان أولئك الذين قتلوا اخاهم وكانوا قد تهيأوا لهكـذا حـادث ، وصـلوا وهم عبارة عن نار مؤججة ولن تهدأ حتى يدركوا الثأر بمقتل اخيهم اضعاف الذين قتلوا ، رآهم مـن بعيـد قـادمين بأسـلحتهم المتوسـطة والخفيفة وهم رافعـين رايـةً حمـراء ملطخـة بـدم أخـيهم المقتـول ، ودارت المعركة واشعلت فتيلتها ودارت رحاها بين عشيرة المقتـول والقتلة ، وابلٌ من الرصاص والنار ينزل على هؤلاء وأولئك ، المشكلة إن القادمين لم يكن لديهم درع ولا سند يستندون عليـه، بـل كـانوا مكشوفين للقتلة ، سقط منهم اثنين واصيب اكثر من عشرة ، فأدركوا إنهم لم يصمدوا لهم ولن يتمكنوا من سحقهم والدخول إلى بيـوتهم لذا قرروا العودة واستئناف الثأر لحين التهيؤ والاستعداد لسحق هؤلاء القتلة ، عادوا خائبين ، فلم يحسبوا كيف تدار هكذا معركة ، لأنهـم كانوا مندفعين وبقوة إلى الثأر لا غير ، عـادوا إلى بيـوتهم مـدحورين خائبين واصبح لديهم دم مع تلـك العشـيرة ولـن تسـتطع قـوة او اي وساطة بالتدخل في فض هذا الثأر ، رجعوا إلى منازلهم وما زال القتيل لم يسجى ولم يغسل ولم يفكروا بعد بدفنـه ، مـا زالـت الجثـة علـى حالها ملفوفة بقطعة قماش موضوعة في باب مضيف الشيخ والجمهور محتشد وحالة من الاستنفار تسود العشيرة كلها ، يعودون إلى مضيف

الشيخ وقد قتل منهم اثنين وجرح ما ينوف عن عشرة ، استقبلهم الشيخ مؤنباً لائماً موبخاً لهم ، الملاحظ إنهم لم يحزنهم قتل اثنين ولا جرح عشرة من شبانهم بقدر ما ثاروا لواحد وتلك حالة عجيبة عندهم ، هنا استفحل الصراع وتداعت الازمة بين الطرفين وكل يستنجد بمعارفه وابناء عشيرته ، تجمهرت العشيرة عند المضيف واقسموا ان الثأر هو الدم ولن يكون غيره ثأر ، احتشدوا وقرروا بأن يتهيأوا للمعركة التي سيحصل فيها سبي وحرق وازهاق ارواح ، تتناهى إلى أحمد انباء هذه المعركة وهذه النعرة التي انتفضوا لها وما زالت الجثة لم تدفن ، يعود إلى بيته ويتمنى لو لم يخلق في هذه القرية ولا هذه الناس ناسه ، ماذا يريد أحمد سوى ان يعم الوئام محل الخصام ، ويريد ان يفرض التعليم واجباً على كل الناس ، لكي يكون هنالك عقلٌ يفكر وينطق عن دراية ومعرفة لا عن نعرة جاهلية وحمية ما زالت مستمرة في الناس إلى اليوم ولعلها مستفحلة بشدة في جنوب العراق لبعده ونأيه عن روح المدنية والحضارة المسالمة التي تلجأ إلى القانون لكي يأخذ لها الحق ويكف عنها كيد المبطلين ، يجلس كئيباً حزيناً يكاد تذوب نفسه اسىً وألماً ممضاً على هذه الدماء التي تسيل ولا احد يعبأ لها وينظر لها على إنها دماء الإنسانية المعذبة والمضطهدة ، ويسأل نفسه الطيبة :

- لمَ حدثَ هذا ؟

- لأنهم قتلوا شخصاً

- ولم قتلوه ؟

- لأنهم ظنوه يريد ان يسرق معزة ؟

- معزة !!!!

- اجل

- ومن أجل مِعزة يكون هذا الدم ، ليدفع ثمنها هؤلاء الشبان ويهلكوا الحرث والنسل .

- إنها لمأساة

- مأساة كبرى لنقل ...

- أي والله لكن من يعقل ومن يفهم ما أقول!!

- وليست هنا المشكلة ؟

- اين ؟

- ثبت إنه رآها خارجاً فعاد بها يسأل الناس عن راعيها فأرشدوه إلى أحدهم فعاد بها ليردها إلى صاحبها فوجئ بأن صاحبها يعيره ويتهمه بالسرقة وإنه هو الذي سرق حلال فلان وفلان واخذ يشتمة حتى سأم هذا الفتى ما يسمع من اهانه فقررَ ان يرد عليه بكلمة وأخرى عندها ازداد الغضب عندهم فتبادلا اللكمات فيما بينهما فهذا يضرب هذا وهكذا اقبلَ إخوته وحصل ما حصل .

- أمن أجل هذا تتعذب الإنسانية هكذا عذاب !

- أي والله ولربما هنالك ما هو اتفه من هـذا السـبب الـذي يجعلـهم يقتتلون فيما بينهم لسنوات وسنوات .

اجتمعوا ووقفوا وقفة رجلٍ واحد لا رأي لهم إلاّ الثأر من تلك العشيرة ، تسلحوا وملأوا جعبتهم بالذخيرة وسـاروا والرايـة تتقـدمهم وهـي ملطخة بدماء ابنائهم ، حالما وصلوا بدأت المعركة واشتعلت فتيلتها والنار مستعرة بين الطرفين كل يريد ان ينهي صاحبه ، احرقت أراضٍ وبيوت وخرج الاطفال والنسـاء مـذعورين ممـا اصـابهم ، وتنـاوش الطرفان فيما بينهم ساعة وساعة واخرى حتى اسفرت المعركـة عـن سقوط قتلى وجرحى من الطرفين ينوف العشرات ، قتل من الطـرفين شباب بعمر الزهور وروعت اطفال ونساء ، ولم يتدخل احـدٌ لفـض هذا النزاع الحاصل بين هاتين العشيرتين ! يسمع أحمد اصوات هذه الاطلاقات النارية ويألمه هكذا معارك تدار بين ابناء محافظة واحـدة ويجمعهم كل شـيء مـن ارض ونسـب وعـرق ، اسـتأنف الطرفـان المعركة لوقت آخر ، ليجدد كلٍ منهما ذخيرته ومعداته ليظفـر علـى خصمه ، في اليوم الرابع بالتحديد قرروا ان يدفنوا موتاهم والذي بلغ المجموع من الطرفين ثلاثة عشـر وجـرح جروحـاً بليغـة مـا ينـوف السبعين شخصاً ، لا الشرطة ولا الجيش ولا الحكومة تتدخل لإنهاء هذا النزاع الحاصل وهذا مـا جعـل أحمـد يثـور غضبـاً علـى الدولـة

ويشتمها لإهمالها وقصورها بفرض النظام ، وانتهت الانباء بأن احد شيوخ العشائر في الجنوب ، قد تكفل بأن يحل النزاع ويفض الخصام بينهما ، فرح أحمد لمبادرة مثل هذه وأيدها وفعلاً جرت مباحثات بين الطرفين بوساطة هذا الشيخ وقرر ان تقوم العشيرة التي بادرت بالقتل بإجراء ترضية لهم وتعويضهم ، لأنهم هم الذين ابتدأوا بالقتل ، واتفق الطرفان على يوم معين وحدد

هذا اليوم واقبلت العشيرة الجانية بشيوخها ووجهاء وسادة معممين من نسل الرسول (ص) وجلسوا في خيمة كبيرة طولها ينوف المئتي متر ، جرت المباحثات بينهما وكل يبالغ في مدى ما اصابه من ضرر والثاني يرد عليه بأن ما حصل هو السبب ، وفرض التعويض بخمسمئة مليون دينار عراقي على العشيرة التي قتلت الشاب الأول ، أحمد كان حاضراً في الخيمة التي أجري فيها التفاوض ، وهنا بدأت المجاملات على ارواح القتلى ، لهذا السيد يطرح من المبلغ كذا ولذاك الشيخ كذا ولذاك الكريم كذا ولذاك ابن الاكارم كذا إلى أن بقي من المبلغ الأول خمسة عشر مليون دينار فقط ! اجل خمسة عشر مليون دينار لا غير وفض النزاع ونهض الجميع وقد تراضوا ظاهراً ، لكن الحقد سيبقى وربما يتضاعف ، لكنه ظاهراً توقف ولن تكون هناك اي عملية قتل او عملية غدر ، نهض الجميع كلٍ إلى داره فرحين بهذه الترضية ويصفونها بأنها خير حل واخذ الجميع يدعوا إلى شيوخ العشائر الذي فضوا النزاع بكل خير ، يعود أحمد وحيداً يسير على ضفة الشط الذي يشطر القرية شطرين والذي هو مصدر الحياة فيها وعصبها

الدائم ويسأل نفسه عن هذه المعركة ونتائجها : لم حصل كل هذا ؟ أمن أجل مبلغ خمسة عشر مليون سقطت هذه الارواح نتيجة نخوة جاهلية وحمية قبلية ! لماذا لا يفهم الناس إن عليهم ان يكفوا عن هذا الماضي الذي دمرهم وجعلهم يعيشون في دوامة الموت والثأر على الدوام ، النظام العشائري مصدر قوة وضعف في آن واحد ولكن شره اكثر من خيره ، وهل يأتي يوم ويفيق هؤلاء الناس ان عليهم ان يلجأوا إلى الحياة وإلى القانون ، ليستمدوا القوة منه ويستندوا عليه لينظم لهم الحياة ، هؤلاء الشبان قضوا نحبهم من اجل معزة ! ونشر الحزن في بيوتهم وحدث ما حدث من حرق وسلب ونهب وترويع وجرحى يعانون الموت كل يوم ، امن اجل معزة ! ادرك أحمد ان المعزة لو ابصرت ما حدث بسببها لبكت وضحكت على هذه العقول وسذاجتها واضمحلالها ،. هموم وإعصار يجعله يكره القرية بكل ما فيها ويجعله يميل إلى التمدن والتحضر ويجعل قلبه يتوق إلى العيش في بغداد الحضارة والهوى ، ترك الذهاب إلى الجامعة ، لأنه صادف إن اجل الدوام لقرب زيارة عاشوراء التي هي المناسبة التي تتعطل فيها كل المؤسسات التربوية والتعليمية ، لأن الجنوب العراقي قد اتخذها قبلةً له وملاذاً آمناً يلجأ إليه في كل حين ، الاسبوع القادم في يومه الاول سيتوجه أحمد إلى العاصمة ، ليمارس دوامه في مرحلته الأولى ، تحضر وتهيأ واخذ مصروفاً له قد ادخره ليواجه الحياة في بغداد ويتكيف بالعيش فيها ، هيأ نفسه ولعل قلبه يتوق إلى صباح الغد ، ليرى النور والحياة التي طالما عاشها بأحلامه وبخياله ، قادمٌ إليك بغداد فاحتضني هذا القادم الذي يحمل الاشواق ولم يعد يتحمل

الفراق ونفسه لم تعد تتحمل هذا البعد بين المحب وحبيبته ،. اراد أن ينام لكن عيونه لم تطبق الاجفان ، واخذ يهيئ نفسه إلى عالم الاحلام والخيال ، لكي يعيشه في ليلة كانت السماء صافية والقمر يبدو واضحاً ولم تحجبه غشاوة ولم تحيطه غمامة ، اينام وصدره مملوء ، بالأشواق لاستقبال مدينة وحبيبة ، اينام ولا يعرف ماذا سيكون عليه غداً وكيف ستكون الحياة في بغداد ، الفتى بملامحه يبدو قروياً فملابسه عبارة عن ملابس تقليدية يرتديها اغلب شبان مدينته ، لكن الوضع في بغداد يبدو مختلفاً ، بنطلون عريض وقميص عريض عليه وحذاء جلد سوداء وقصة شعر طبيعية تقليدية ، جسم معتدل ، الوجه يحمل البراءة والطيبة بكل وضوح ، اضافة إلى إن العقل مدني مثقف يميل إلى الحضارة والعلم ولم تعجبه حياة القرية بما يسودها من نظام وليس ما هو مألوف فيها من صفاء القلب وطيب القريحة ، اخذته عواطفه بعيداً كالعادة تطوف به حول العاصمة ، لترمي به في قلبها حيث الجادرية والكرادة داخل وابي نؤاس والمنصور وبالأخص كان يعشق الجلوس قرب دجلة والتغني عنده بجماله ، هنا يجلس ليأتيه الإلهام من هذا النبع الذي طالما الهم الكتاب والشعراء والفنانين ، اقبل إليه وهو عطشان وولهان وقد اراد من دجلة ان يطفأ لهيب الشوق الذي يعتصر قلبه وروحه ، يا دجلة الخير اني إليك مقبلٌ فهل اجد عندك ما يسلي الفؤاد وينقذه مما يكابده من الشوق الذي سلبني لذة الكرى واتمنى ان انام هادئاً عسى ان اريح هذا الجسد الذي أرهق ولم يعد يتحمل التعب والكد ، انا احترق يا دجلة ، فتعال عانقني واطفئ من لهيب النار فيّ ، خياله يريد ان يرمي به في احضان عاشقة

تقدر له هذا الهيام وهذا العذاب الذي يتجرعه جراء تحمله لبعده عن الوصل بمحبوبته ، هل ستقبلني وانا الفتى القروي بملامحي الجنوبية وطبيعة حياتي الخشنة ، أم إنها ستنظر إلى قلبي وعقلي فتأخذها أشواقي وتحوطها بعالم اللاّمعلوم لنعيش معاً سنين عمرنا المتبقي بعالم نحن نختاره ونحن نبنيه كما تبني الطيور العش بيدها ، سأجعلها سيدة البنات ، فهل ستجعلني اميرَ الشبان ، اوطن نفسي لأكون وطناً كاملاً لها لتحتمي به وتعيش ناعمة البال في ظله ،. تكون الحياة جميلة بما نشعر من جمال وليس بجمالها هي ، فرؤية الجمال نحن من يحددها وهذا من خلال ما نرى امامنا من امور تدعو إلى الجمال والامان والعيش الهانئ الرغيد ، نريد الحياة بظل من نهوى ونحب ولعل ما نهواه هو الذي يعطيها جمالاً وهو الذي يسلبها هذا الجمال الذي نشعر به ونلمسه ،. اذن علينا ان نختار الشخص الملائم ، لكي تكون الحياة التي نريدها ان تكون جميلة به ، وهذا الشخص ذاته يقلبها إلى تعاسة وإلى بؤس ان كان لا يلائم طبعنا ومزاجنا ، الهوى والغرام يجعلان منا كائنات اخرى ، فتارةً نعيش في الارض وتارةً في السماء وتارةً لا نعرف اي الامكان التي نهيم بمتاهاتها ، اقبل عليه النوم ، فأطبق جفنيه وسلم نفسه وروحه إلى نوم عميق ، لم يشعر إلاّ والساعة تشير إلى الرابعة صباحاً وقد دق جرس المنبه الذي وضعه قرب رأسه ، نهض نشطاً الطاقة تدب في جسده وكأنه لم ينم ولم يشكُ قط من اي تعب او إعياء في يوم امس ، نزل إلى الحمام ، فأتم غسله وارتدى ثيابه التي سيخرج بها ، اخذ يسرح شعره وينظف اسنانه واكمل كل ثيابه ليخرج ، واخذ معه حقيبة لثيابه ومتاع عملتهُ

له امه واخواته ، ليكفيه مدة اسبوع ، اتم صلاة الفجـر ، وقـرأ دعـاء ليسهل له وصوله سالماً إلى العاصمة ، جلس إخوته واخواته مـودعين له مشفقين لغياب نور البيت كما وصفه ابوه ، ودعهم جميعاً ولثم يد امه وابيهِ واحتضن اخوته واخواته وخرج من البيت والكل يـدعو لـه ليحميه الرب ويوفقه ، خرج من البيت وهو في غاية الاناقة والبهـاء ، خرج وكله شوق وحنين للجامعة وقد شد العزم بأن لا يستسلم لأي عاطفة مهما بلغت قوة انجذابها ، مضى إلى المرآب الذي يقلـهم إلى بغداد وجلس في أخر المقعد قرب النافذة لكي يكـون بعيـداً عـن أي احد ، يريد ان يعيش عالماً يتأمله ويجعل شخصياته مما يهوى ويحب ان يعيش معهم ، جلس في مقعده منتظراً أن يتم ملء السيارة بالركاب ماهي إلاّ نصف ساعة حتـى امـتلأت وتحركـت السـيارة ، فسـارت متوجه إلى بغداد ، جميلة القرية بهذا الوقت الذي كثيراً ما كان يخرج من بيتهم في ليذهب إلى أرضهم ليعمل بها ، وكم تغنى وتغزل بجمال القرية في ساعات صـباحها الأولى ، فتبـدو ملامحهـا رائعـة وخلاّبـة تسحر النظر وبهجة له ، كعادته لم يشعر بطول الطريق ، لأنه لم يكن يدرك هذا العالم بعد ، بل نأت نفسه بعيداً بعيداً حيث عوالم لا يعرفها إلاّ هو ، نزل وما زالت الحيوية والطاقـة تـدب في جسـده ولـم يشـعر بضيق ولا سأم هذا الطريق الشاق الذي قضاه ، قرر ان يتنـاول طعـام الإفطار قبل ان يذهب إلى الجامعة ، وصل إلى مطعم للأكلات الشعبية وطلب ان يتناول الكباب وهي الاكله التي تعطي للجسد طاقة وقوة ، تناول طعامه وشرب الشاي الذي يعده فاكهة الفواكه ، سار والحقيبة على متنه ، ركب التاكسي ليصله إلى باب الجامعة ومما جعله يشـعر

بالملل هو كثـرة الازدحامـات وغيـاب الخطـط المروريـة ، لتنظـيم الانسيابية في حركة المركبات ، وارد ان ينزل ويقضـي مـا بقـي مـن الطريق سيراً ، لكنه لا يعرف اي طريق يسـلكه ليصـل إلى الجامعـة ، وبعد التي واللتيا وصل للجامعة لكن بعد ثلاثمائة متر ، نزل يترجل ، لأن الشوارع مكتظة بالمركبات وبالأخص في اوقات الدوام ، دخل إلى الجامعة فرحاً بهذا الصباح الجميل وصادف ان الجو كان غاية في الروعة والصفاء ، دخل وتمشى في الطريق المؤدي للكليات احب ان يسير راجلاً ليرى تلك المناظر الطيبة وتلك الزهور الطيبة ، يلتفت من امامه ومن خلفه فيرى الجامعة مملؤة بحسناء غادية واخـرى رائحـة واخرى مقبلة وهو بين هذه المقبلات والمـدبرات يميـل بنظـره هنـا وهناك ، ابتسم وقال لنفسه ، أظنك مقبلٌ للدراسة يا أحمد وليس إلى رؤية الحسناوات ! ابتسم فيما بين نفسه وقال : سلبت بنـات بغـداد عليّ قلبي وما احتوى ، مضى سيراً وقد اعجبه السير في هذا الصـباح الذي عده من اجمل مـا مـر بـه ، لحظـات قليلـة ويصـل إلى كليتـه ، ليدخلها طالباً ويخرج منها من افضـل المهندسـين الـذي سـيرسمون خارطة جميلة وحضارية لعراقهم ،. واخيراً وصل إلى الكلية ، دخلها وترك حقيبته عند الاستعلامات ، واراد ان يسـلم جهـاز الموبايـل ، لكنهم قالوا له بأن يسمح له بإدخاله ما دام بدون كامرة ، دخل وهنا رأى الحياة التي عاشها بأحلامه والتي حرمته النوم لأيام وأيام ، سأل أحد الطلبة عن قاعات المرحلة الأولى فوجئ بأنه ايضاً مـن المرحلـة الاولى ولم يعرف اين يذهب ، سلم عليه وتعرفا على بعضهما البعض واخبره بأنه من محافظة الناصرية وكان صديقه من محافظـة واسـط

وأحمد  قال له إنه في الناصرية ، الجميل بأبناء الجنوب إنهم يعرفـون الانسـاب ويسـألون اولاً عـن العشـيرة ليعرفـوا إلى ايّ نسـب ينتهـي احدهم ، سمعا استاذاً يدعو طلاب المرحلة الاولى ، بأن يجتمعوا في القاعة رقم واحد ، وبالفعل تجمـع الطـلاب وكـانوا مـا ينـوف عـن السبعين طالباً وطالبة ، اخـذ رئـيس القسـم يلقـي علـيهم المحاضـرة الأولى وهي عبارة عن محاضرة تعريفية به وبالقسـم وتاريخـه واخـذ يسرد لهم ويحثهم على الاجتهـاد والتقـدم العلمـي وبـذل المزيـد في انجـاح مسـتقبلهم ، وأنبـأهم بـأنهم سـيعلقون اسمـاءهم في لوحـة الاعلانـات ، ليعـرف كـل طالـب اسمـه في أي قاعـة واي مجموعـة سيكون ، واستمرت المحاضرة التعريفية الاخلاقية الارشـادية قرابـة ساعة ونصف ، خرج الاستاذ وخرج إثره الطلاب كلٍ وزميله ومنهم من يمشي وحيداً ، لأنه للآن لم يعرف أحداً ، خرج أحمد وصـديقه مصطفى ونزلا إلى الحديقة ، يقصان احاديثاً واحاديثاً حتى يتسليا في ما بقي من وقت ، وقضوا وقتاً معاً هذا يسأل وذاك يجيب ، حتـى لم يبقَ مكان في الكلية لم يقصدا إليه ، فعرفا كل أماكن القسم ، وذهبـا إلى النـادي الطلابـي ليجلسـا معـاً ، وجلسـوا قـرب مجموعـة مـن الطالبات ومن محاسن الصدف إنهـن كـن مـن طالبـات مـرحلتهم ، بادرت إحداهن إن خاطبت أحمد بأن يقبـل إلـيهن لـيجلس معهـن ، ونهض احمد وفرح لهذه الدعوة الطيبة ، فلباها فوراً ، ولكن أحمد ما زال جامداً في مكانه ، لكنه رأى احمـد مبـادراً وجلـس بقـرب تلـك الزهور الطيبة وجلس بقربهن واخذ يدعو أحمد ، خاصم نفسه وتحجج بأنه ليس له قابلية لالتهام أي لقمة من الطعام ، لكنه فوجئ بردهن عليه

ان اقبل ولا تأكل ،تعال اجلس فقط هكذا خاطبته إحداهن ، قلبه اخذ يضطرب وتسارعت نبضاته بسرعة عجيبة ووجهه يكاد يكون شاحب اللون من فرط الخجل وفمه كاد أن يجف ، ولم يستطع أن يبلع ريقه إلاّ بشق الانفس ، جلس معهن فوجد الحديث ممتعاً للغاية معهن ، وكلة جاذبيه سألتهُ.. إحداهن وكانت جريئة :

- ما اسمك ؟

- بخجل وتردد ظاهر ،أحمد

- اهلا أحمد اين تسكن ؟

- محافظة ذي قار .

- اوه جميل اهلاً ومرحباً بك ايها الجنوبي الاصيل.

- شكراً لطيبك .

- انا منى وهذه فاطمة وتلك مريم وعرفته عليهن جميعاً ، ولكنه لم يذكر بعد هذه الجلسة اي اسم من اسمائهن من فرط خجله .

- اهلا بكم جميعاً تشرفت بكم .

- لنا الشرف يا أحمد

- واخذت تسأل مصطفى وكان اكثر جرأة من أحمد وكان هو الذي يقص القصص ويروي الاحاديث مما جعل الجلسة مثمرة وكثر فيها الضحك والمزاح مع بعضهم .

قضت تلك الجلسة الطيبة بصبحة هذه المجموعة الطيبة التي سيعيش معها طوال اربع سنوات مقبلة ، أحمد يسأل وكأن يريد ان يقول اين ندى ، اراد ان يلمح طيفها ، ولكنها لم تكن موجودة في ذلك اليوم ولكن أحمد اقسم بأن يشم رائحتها ويتذكر ابتسامتها ومشيتها وغنجها الذي ربما هنا سيقتل أحمد وهنا سيموت ، تمنى واراد ان يلمح نظرة لعيونها ، لكي يطفئ هذا الجمر في احشائه ، يا ترى اين تكون اراضيك يا ندى هل تعرفي ان لك انسان ، يكاد يذوب شوقاً إليك ، ندى قلبي يتوق إليك ، فلم انتِ اليوم غائبة ألم تعرفي ان لك شخصاً له قلب لا ينبض إلاّ لأسمكِ ، لم يا نداوي لم يا نداوي !

لم يشعر بأي لذة ولا أي متعة في هذا اليوم الذي تمنى ان يرى ندى به لا اكثر ، بقي في الكلية إلى أن انتهى الدوام ولم يكن لديهم محاضرات في ذلك اليوم ، بل قضى الطلاب يومهم قي تعارف على الكلية ومع بعضهم بعض .

ندى لم تنهض من فراشها في هذا الصباح ، لأنها احسن بوعكة صحية تعترضها ولم تستطع ان تنهض من سريرها ، ألم يكاد يقطع أحشاءها ويمزق جسمها وشعرت بدوار في رأسها وارتفاع في درجة حرارة جسمها ، كلما حاولت ان تنهض لأنها احبت ان تحضر في اليوم

الأول من الدوام ، لكن يبدو ان هذه الوعكة لا تريد ان تـرحـم ذلـك الفتى الذي هام على وجهه باحثاً عن طيف لندى ليمتع بها عينه وقلبه ،. قضت اليوم كله في فراشها ولـم تستطع ان تنهض منه حتى ، اقبلت إليها أمها ، نحت الغطاء عنها وانهضتها من نومهـا وسـارت بهـا إلى الحمام ، لتغسل جسمها لتطرد الحرارة التي تدب في جسدها وتسري كأنها نار مشتعلة ، وثم تعود بها إلى الفراش لتسـتلقي وتجـد الراحـة والسكينة ، انتهى الدوام وأحمد ما زال الامل يراوده في قدوم ورؤيـة ندى ، لكنها لم تكن موجودة مطلقاً ، اخذ حقيبة ملابسه التي تحوي مجموعة من الملابس وبعض الطعام الذي اقبل به من اهله والذي مـا ألذه واشهى طعمه في فمه ، رجع إلى غرفته في القسم الداخلي ، فوجد إن معه اثنين من الطلاب احدهم صـاحبه احمـد والثـاني طالـب مـن محافظة الانبار كلية العلوم ، كانت هذه الغرفة هي عبارة عن حياة لها لذة ومتعة ولن يسنى ، هؤلاء هذه الصداقة وهذه الرابطة التي ربطـوا انفسـهم بهـا واصـبحوا كـأنهم قطعـة واحـدة إخـوة أو كـالإخوة ، ويتسامرون مع بعضهم البعض وكلٍ يجد في زميله سلوة لـه ومأمنـاً ، هكذا هم اهل العراق ، إن نجح الاعداء في تفريقهم وتشتيت شملهم على اساس المذهب والقومية والدين تراهم سرعان ما يلتحمون معاً ، ليفاجئوا العدو باتحادهم معاً ، كانت فـترة الاصـيل عنـدما عـادوا ، وكان أحمد مرهقاً ولم يكن بحاجة إلى طعـام بقـدر حاجتـه إلى نـوم ليريح جسده من عبء الطريق وتعب الدوام ، تمـدد أحمـد وحالمـا وضع رأسه على الوسادة حتى غاب في نوم عميق هادئ وناعم كأنـه طفلٌ صغير ، لم تكن الاحلام لتكف عنه ولتجعله يهنأ بنومه ، اقبلت

عليه الاحلام تباعاً وكلها بذات الغرض وهو ندى ،،، ندى لا غير ، يا ترى ماذا حتى لم تأتي ، ماذا حصل لها يا ترى ، أيعقل إنها مريضة ؟ يا رباه كيف لي ان اعرف ماذا حصل لها وكيف لي ان أطمان عليها ، تبادر إلى نفسه سؤال :

- لمَ أنت مهتمٌ بندى كل هذا الاهتمام ؟

- تلعثم ولم يستطع ان يجيب واكتفى بالصمت

- هل هي تقربك بشيء ما ؟

- لا

- هل هي صديقة لك ؟

- لا

- هل تعرفك ؟

- لا

- إذن لمَ انت قلقٌ عليها لهذا الحد ؟

- لا اعلم حتى انا لم هذا القلق

- أحمد إنك تحملت اعباء الفراق عن اهلك وانك قادم من الجنوب إلى هنا ، لكي تبني وتحقق احلامك وقد وفقك الله بأن جعلك بذات

الاختصاص الذي ترغب فيه وتطمح إليه ، فلا تجعل نفسك اسيراً لشهوة عارمة تلح عليك فأنت رجلٌ يعتمد عليه .

– يحير في الرد على سؤال كهذا ، فيلجأ إلى الصمت

– أحمد انتبه لنفسك ، فانت لست كهؤلاء الشبان الذين يسيرون خلف شهواتهم ورغباتهم فيقعون فريسه وطعمة للنزوات التي تبعدهم عن مسار العلم والاجتهاد ولا تنسى نفسك لم انت هنا

– لم انسَ ، ولكني اعاني من صراع مع قلبي ولا اظن استطيع الانتصار عليه

– لا يا أحمد لا تستسلم بسرعة ، فما هذا الظن بك ولا بما عرفته سابقاً فيك .

– لم تلومني هكذا ، لأني اريد ان اعيش برفقة من اهوى واحب

– يا أحمد ومن قال إنك تحب

– كل ما فيّ يدل على الحب ، بل علتي هي ان واقعٌ في حب .

– انت واهمٌ يا أحمد وغارقٌ في الوهم

– هل يعد الحب وهماً ؟

– لا

– اذن ؟

– ما انت عليه وهم ، فانت لم تعش قصة حب بعد وتراك تتخيلها وتود ان تكون بطل هذه القصة .

– آآآآه

– لا تتأوه وكأنك عليل

– بل انا عليل حقاً !

وماذا بك ايها العليل ؟

– الحب

– ومن قال بأن الحب علة ، بل هو الصحة والقوة والعزم والثبات

– لكني عليلٌ بهذا الحب !

– هل تعلم هي بما تكابده من ألم وعذاب

– أظنها

– ماذا ؟

– تعلم

– وكيف عرفت ؟

– احساسي

- حتى وان كان كاذباً

- احساسي لا يكذب قط !

- ومن ادراك ؟

- قلبي !

- انك مسكين يا أحمد وتعاني من مصيبة وبيدك كل هذا العذاب

- ليس بيدي ، لكنها أسرت نفسي ورحلت وجعلتني اتعذب واكاد ألفظ انفاسي كل لحظة

- الله على الحب الله الله

- نعم هكذا أحمد عندما يحب واحذروني ، اذا عشقت ، لأني سأملأ ديوان العرب شعراً وسأملأ نثر العرب نثراً

- ما هذا يا أحمد ، هل اصبحت اديباً ؟

- كل العشاق هم ادباء .

- لكنهم كاذبون .

- وكيف عرفت ذلك ؟

- لأنهم يبالغون في الكذب ويصفون اشياء غير واقعية ولا اثر لها

- مثلاً ؟

- يصف محبوبته ، كأنها الشمس بإشراقها ، وكأنها القمر بيوم تمامه ولو أبصرتها لرأيتها أخاه عندما يحلق لحيته

- وعلى هذا تستدل على كذبهم ؟

- نعم

- اذن ظلمتهم وقسيت عليهم ورميتهم بما ليس عندهم

- كيف ؟

- العشاق لا يشبهونكم ، فحياتهم غير حياتكم وعالمهم غير عالمكم ، لذلك يساء فهمهم

- واين يعيشون اذن ؟

- حيث اللامعلوم ،فلا في الارض ولا في السماء ، بل هائمون فيما بينهما

- لكننا نراهم معنا ويعيشون بقربنا ونراهم ونكلمهم ونشاركهم ضروب الحياة

- هم معكم بأجسادهم لا بأرواحهم

- حقاً إنها فلسفة خاصة بهم

- فلسفة الحياة عندهم شيءٌ آخر غير ما عندكم وغير ما انتم عليه

– أحمد لأي مدى يصل الحب بالإنسان ؟

– حيث انه تذوب روحه فيمن احب

– لكن هذا عذاب ، لمَ يوصف على إنه اجمل ما في الحياة !

– انه لذة الوجود ولذة الحياة التي يعيشها البشر على ظهر هذه الارض

– حقاً

– نعم حقاً

– ما هذا الجمال الذي يعذبهم ، كل هذا العذاب وما هذه اللذة التي يستشعرون بها ؟

– الغرام والشوق وكما قالها ابو الطيب المتنبي لا يعرف الشوق إلاّ من يكابده ولا الصبابة إلاّ من يعانيها .

– كلامهم يسحر الفؤاد ، ويجعل النفس تطمح في المزيد من هذا السحر ومن هذه الكلمات التي تلامس شغاف القلب

– لأنها نابعة من قلوب عاشقة نقية .

– وهل كل قلوب العشاق نقية ؟

– العشق كله نقاء واما اصحابه فتتفاوت قلوبهم في ذلك .

– لماذا تصر على إن هناك فرقٌ بين الحب واصحابه ؟

– حقاً هنالك فرقٌ وفرقٌ جوهري ايضاً

– كيف ؟

– لأن النفوس تتفاوت في طيبتها ، فمنها ما هـي طيبـة بطبيعتـه ، ولا تعرف الغل ومنها ما تحمل الندين ومنها ، ما تحمل اللـؤم ومنهـا مـا تحمل الأنانية وهكذا .

– أحمد

– نعم

– انا لا ألومك بقدر ما انا مشفقٌ عليك .

– ولمَ هذا الإشفاق

– لأني أراك تعيش الحب بلا حبيبة .

– آآآآه

– ليتها أدركت

– وماذا وجدت بها لكي تتمنى الوصال بها حتى هذا الحد ؟

– وجدت بها ما ارغب به حقاً

– مثلاً

– طيبتها ، براءتها ، اناقتها ، عذوبتها ، دلالها الظاهر ، رقتها ، لطفها ، جمالها ، سحرها ، غنجها ، دلعها ، طفولتها ، ....

– كيف لك ان تبصر كل هـذه الصـفات ولـم تراهـا إلاّ مـرة واحـدة وبضع لحظات فقط ؟

– لكنها كانت عمراً بأكمله لي

– ماذا اعتراك حينها ؟

– لا استطيع أن أصف بأي كون من الاكوان كنت ولا اي سماء من السماوات حلقت ، رميت نفسي بعـالم لا احـد يعـرفني ولا اعـرف احد.

– اين يقع هذا العالم وما صفته ؟

– لا احد يعرفه إلاّ العشـاق ، فـإنهم يعرفونـه ولعلـه مكـانهم الآمـن الوحيد الذي يجدون المتعة واللذة فيه ، صفته انه لا صفة له

– وما هذا اللغز يا ترى ؟

– ليس بلغز

– ماذا اذن ؟

– لأن العشاق لا يلتفتون إلى الاماكن ولا إلى ما حولهم

– لمن يهتمون اذن ؟

**- لمن بين يديهم وأمامهم .**

**- اتقصد الحبيب**

**- وهل غيره أحد !**

**- أحمد هل دخلت إلى عالم الحب أم ما زلت تراوح على اعتابه ؟**

**- دخلت بأعماقه**

**- وكيف ولا حبيبة لك اصلاً ؟**

**- ومن قال لك ذلك**

**- انت**

**- وهل تريدها ان تقف امامك لتخبرك إنها تحبني حتى تصدق .**

**- ليس كذلك ، ولكني اعرف انك لا تملك حبيبة ولعلك لن تملك قط**

**- لم هذا التشاؤم يا ترى ؟**

**- ليس تشاؤماً ، لكني اعلم إنك خلقت عالماً من الاساطير والاوهام واوهمت نفسك في حب وهمي**

**- لو كان وهمياً لما أثر في داخل نفسي بهذا العمق وهذا الأثر البليغ .**

**- حتماً إنك ما زلت مراهقاً**

– وكيف عرفت ذلك ؟

– لأنك تنظر إلى الحب بقلبك لا بعقلك !

– لا يا حبيبي ، فالحب لا ينظر له من خلال العقل مطلقاً ، بل الحب والعقل خصمان لدودان من قديم الزمان

– لكن العقل افضل من القلب في الحب

– ليس هكذا ، لأن في القلب تعمر النفوس ويكسب ودها

– لكن القلوب عذبت النفوس وجعلتها تعاني من ألم إثر ألم والعقل يخلص النفس مما تعاني من جرح أو ألم .

– افق يا أحمد ، فأنت غارقٌ وعليّ ان أساعدك وانتشلك من هذا الغرق

– وانا قد طلبت هذا البحر وانا من قصده

– أتتعمد في ايذاء نفسك ؟

– بل اتعمد في ان امتعها واجعلها تعيش كما تحب وتهوى

– ترميها في المتاهات وتتركها فريسة ولقمة سائغة لكل المحن وتقول أمتعها ، حقاً إنك لظالمٌ لها .

– الظلم أن تعيش النفس مع شخص لا تحبه ولم تحبه ولكن الاعتياد جعلها تألف هذا وتتأقلم له.

. – الحب انهك قواك وجعلك منهد القوى وانت الفتى القوي المتزن

– لم يضعفني ولن يضعف الحب أحد ، لكنه يجبرك أن تتناسى هموم الكون وتعيش برغد وهناء بعالمك المفضل

– أأنت مع مقولة الحب يضعف ؟

– بالعكس ضدها تماماً

– كيف ؟

– الحب يجعلك تفعل المستحيلات ويسهل لك الصعاب أن كانت لديك ثقة داخل نفسك بأن من تضحي له يستحق هذه التضحية ويبادلك إياها

– اغلب خواتيم الحب محزنة لماذا ؟

– لأنهم لم يخلصوا في التضحية

– ماااااااذا ؟

– اجل لم يخلصوا في الصبر على التضحية التي يجب أن يبذلوها لينالوا مرادهم

ويتحاور مع ذاته ويسأل ويجيب وهكذا قضى نومته التي لم يجد بها لذة ومتعة ليريح جسده المنهك ، ماهي إلاّ إغفاءة قليلة وبعدها يسمع عبث الطلاب في القسم وضجيجهم ، أفاق من نومهِ والساعة تشير إلى

الثامنة مساء عندها نهض متثاقلاً ، ليغسل وجهه ، فرأى إن اصـدقاءه في انتظاره ليأكلوا معاً فهم جـوعى وقـد انتظـروه ليفيـق مـن نومـه ، ليأكلوا معاً ، وبالفعل وضع العشاء وتناولوا ثلاثتهم وكلـهم فـرحين بهذه الصداقة الطيبة التي جمعتهم .

ندى ما زالت في فراشها تشتكي ارتفاع الحمى في جسدها مما جعلها ممددة ولا تقوى على الحركة ، وبالأخص هي ضعيفة امام اي عارض لأي مـرض وإن كـان بسـيطاً كارتفـاع درجـة حـرارة جسـمها او الانفلاونزة ، اهلها عند رأسها يتناوبون على خـدمتها ، سـاعة تنـام واخرى تفيق وتشتكِ وما اجمل البنات عندما تمرضّ ، فتكون حتـى شكواهن مطعمة بدلال وغنج ، ولما فرغ أحمد من تناول عشـاءه ، قام بغسل الصحون والملاعق التي اكلوا بها ، واخذ يهيأ ملابسه لليوم غداً ، اراد ان يلتهي بشيء يلتهي به ليخفف عنه حدة الشوق لحبيبة لـم تعرف إن هناك قلباً معلقاً بها ويتوق لرؤيا وجهها ، أحمد من اولئك الشبان الذين يعول عليهم في كل المهمات وهو شاب يحمل ملامـح الرجولة والمسؤولية منذ وقت مبكر من عمره ، سأل نفسـه سـؤالاً ، ولكنه لخص الحياة كلها عنده :

– من أنا ولـمَ اعيش ؟

– احتار بالرد ، ولكنه قال انا شاب خلقني الله تعالى ، لأعـيش حيـاة حرةً كريمة وان اواصل العمل الدؤوب لخدمة الانسانية واسـاهم في مد المجتمع بالجيل .

لم يكتفِ بهذا السؤال ، بل اخذ يسأل :

- لم الحياة متعبة ؟

- لأنها دار العمل والجد والاجتهاد وليس دار الخمول والركود .

- لم نعاني منها ولم نتحمل عذاباتها ؟

- لأننا نحزن لفقدان الشيء منا وربما هي انانية فينا .

هنا بدأت الاسئلة تلامس الفؤاد ، لكن السائل هنا هو العقل والمجيب ايضاً هو :

- أحمد ما بكَ ؟

- لا أعرف ما بي !

- ممَ تشتكي ؟

- من كل شيء

- لكنك ما زلت لم تجرب شيئاً بعد ولم تخوض غمار شيء بعد

- لكني مرهق ومشتت الذهن .

- أهذا أحمد الذي نعرفه ، كلا لست بأحمد ذلك الفتى الذي ينبض حيوية وعنفواناً

– لم هذا اللوم عليّ ، فأنا اجد نفسي تائه ولا اعرف اين ستحط السفينة بي عند اي جهة

– انت تخلق هذا العالم وتحيط نفسك بهذه الترهات التي لا يصدق بها احد

– أحمد قضيت يوماً واحداً واخذت تنظر إلى نفسك على إنك العاشق الولهان الذي قضى عمراً بأكمله في الغرام .

– انا لست اعاني من وهم الحب بقدر ما اعاني من وهم الحياة !

– ماذا ؟

– لا اجد في الحياة لذة تدعوني ان اعيشها بهذه القوة وبهذه الغضارة وبهذا العنفوان الذي يراد لي .

كف عن الاحباط وابتسم بوجه مشرق للحياة ، لكي لا تجعلها تتمكن منك لتعكر صفوك ، يزداد في التأمل ويغوص في عالم بعيد عنه علّه يجد مأوى يحتويه من هذه الارض ، قرر أصدقاؤهُ ان يصحبوه غداً بعد الدوام لرحلة يقضونها على نهر دجلة ، ليكون غداءهم هناك قرب النهر ، لبى هذه الدعوة واتفق مع اصدقاءه على الاكل والشرب ماذا سيكون ، في الصباح نهض أحمد من فراشه وكأنه على موعد ضروري ، افاق ليس كما ينهض الشباب ينهضون والنعاس مازال في وجوههم حتى عندما يخرجون من البيت تراهم مازالوا نائمين ،

توضئ وصلى صلاة الصبح وإن كانت قد فات اوان وقتها إلاّ إنها حفزت اصدقاءه الذين معه لتأديتها وقيامها .

## الفصل الثامن

# اليوم الأول

خرجوا معاً كلّ ذهب بصحبة رفيقه ، وخرجا معا يسيران في هذا الصباح البغدادي الجميل والذي يبدو رائع كعادته ، يسير أحمد وقلبه يفرح لرؤية الحياة تدب في اوصال العاصمة فالناس هنا لا يتوقفون ، فالكل لديه عمل يجب ان يؤديه في هذا الصباح المشرق ، اعجب بمنظر العاصمة ، وكأنه لا يشير على إنها خرجت من براثن حروب وحروب وانتهت آخرها بالاحتلال الامريكي لهذه العاصمة الطيبة وما رافق هذا الاحتلال من امور يشيب لها الجنين ، بغداد تخرج بعد كل محنة ضاحكة مبتسمة مشرقة وكأنها تعطي رسالة إلى حكامها ، بأنكم ما زلتم تجهلون من تحكمون ، لم هذا الدمار يمزق احشاءها ويجعلها دون المدن والتي يوماً ما كانت عاصمة العالم ومركز اشعاعه الحضاري والفكري والعمراني ، هكذا يتنكر الزمن وينقلب عليها ، لكن مهما دارت دورته ومهما انقلبت الموازين عند البشر تبقى هي بقلبها النقي وشعبها الاصيل القاً وبلسماً . يدخل إلى الجامعة وكله اناقة وألقاً وطاقة تدب في اوصاله ، اليوم هل ستحضر ندى ام كعادته تتركني بعذاب وهي آمنة مطمئنة ، يردد بين نفسها وعينه ترمق الطالبات هنا وهناك علّه يلمح ندى التي ستشعل قلبه وتركته برحمتها قضى اليوم وكان جميلاً ، لأنهم قد باشروا في المحاضرات ، والقيت عليهم المحاضرة الأولى وسجل الحضور ولكن ندى سجلت بقائمة الغياب وهذا ما كان يقض عليه ويألمه ، اتم محاضراته وخرج من الجامعة برفقة مجموعة من الشباب الذي

كلهم طلبة جامعات ، وكانوا حلقة رائعة فعلاً جمعت الجنوب بالشمال والوسط بالشرق والغرب ، والاجتماع يكون حتى خيمة العاصمة ، تعارف الشبان مع بعضهم البعض وكان أحمد منهم وليس معهم ، فيرى مدى سذاجة عقول هؤلاء الشبان ويرى كم هم غير ناضجين بما يرى ويسمع من كلامهم ومزاحهم وكأنهم مازالوا مراهقين بعد .

اكمل الرحلة معهم وشعر بالبهجة نوعاً ما معهم ، عاد إلى القسم عند المغرب متعباً من العبث واللعب الذي قضاه من صحبته ، كعادته يتوسد الفراش محاكياً نفسه ويزيد من تأملاته في الدنيا ليريح هذه الاعصارات التي تعصر نفسه وقلبه ، أول سؤال يسأل نفسه :

- لمَ لم تأتي ندى اليوم ؟

- ربما مريضة .

- ربما تكون في مرضة أو في سفرة ما .

- واردٌ ذلك لكن

- ماذا ؟

- هل استطيع أن اسأل عنها

- بصفتك ماذا ؟

- تردد وحيرة بصفتي زميل .

– ومنذ متى ؟

– لا جواب ولا رد ، فقط صمت ولا غير .

– لا أصدق إنك مغرمٌ بها لهذا الحد .

– واكثر من هذا ربما

– عجيب !

– وما العجب في ذلك ؟

– لم ترها إلاّ مرة واحدة ولم تكلمها إلاّ بعض كلمات متناثرة

– لكنها كانت كفيلة ، بأن اشعلت فتيل الروح وغذتها بكل ما هو جميل

– الله الله على هذا المشاعر

ويستمر كعادته في خيالاته التي لا تنتهي إلاّ باليوم الذي يقترن بالحبيبة ، لتطفئ من لهيب النار المتأججة في داخله .

ينام ولم يقرأ أيّ محاضرة ، لأنه كان يشعر بالضيق والتبرم من أي محاضرة ، فقرر أن ينام على أن يستيقظ فجراً ، ليقرأ هذه المحاضرات وخصوصاً هو من بيئة تجلس مبكرة جداً ، نام ولكن الاوهام والاحلام لم تنفك عنه ، بل اقبلت عليها ، كأنها قطرات

المطر ، وهو يود أن يبقى حالماً ليجد في الاحلام ما يريحه وينـــفس عنه ،

مضى اليوم الأول ، وكان ثقيلاً عليه وشاق لعدم مجيء ندى للدوام ، كان لديه امل في غد لعلّ الحبيبة ستقبل غداً وتنشر الحـب في داخلـه لكنه أقبل الغد والحبيبة لم تقبل ! ومضى يوم ويوم وآخر حتى انتهى الاسبوع الاول الذي قضاه في الجامعة وكان موطن نفسه لرؤيا تلـك التي سلبت قلبه منه ، فلديه شوق كالجمر ولم يعد يتحمل هذا الجمر ، فعلى الحبيبة أن تأتي لتخفف عنه من هذه المعاناة وترحم حالة هذا الشباب العاشق ، في يوم الخميس ، وبعد أن انتهـى الـدوام ، قـرر أن يقضي هذين اليومين مع أهله ، لأنه لديه شوق لهـم اضـافة إلى شـوق الحب ، رجع مكسور القلب ، ولديه احباط في كل كيانـه وتبـددت تلك الروح النشطة والقوية وذابت كذوبان الجليد في يوم مشـمس ، وصل إلى بيتهم ليلاً ، لم يكن بحاجة إلى الكلام ولكن لأهله حقّ عليه ، فهم مشتاقون إليه ، حالما طرق الباب عليهم ، فـتح اخـاه الاصـغر الباب ، وإذ به يترك أحمد واقفاً على الباب ، ليعود هـو مخـبراً اهلـه ليستبشروا بقدوم رافع الرأس وفخر العشيرة ، دخـل إلى البيـت وقـد بادر إليه اهله جميعاً ، فهذا يقبله ، وهذه تشمه ، وتلك تضـمه وأمـه ذرفت دموع الفرح والاب يتهلـل فرحـاً ، غـير مـن مزاجـه وتظـاهر بالحالة الجيدة ، لكي لا يسلب فرحة أهله به ، أخذ يسرد لهم قصص عن الجامعة واخذ يسرد لهم كل ما حدث له وهم ما بين معجب وما بين طامح وفخور بهذا الفتى ، قضى ما يقارب الساعة يقـص علـيهم

حديثه حتى بادر أباه قائلاً اتركـوا أخـاكم ليسـتريح وبعـدها تعـالوا ويسرد لكم ما تريدون ، ياأحمد ، قم بني للراحه وبعدها قص علـى اخوتك ما تشاء .

- لكن نحن مشتاقون إليه ، هكذا ردت اخته الاصغر مخاطبه أباها

- اعلم ، ولكن عليكم أن تقدروا تعب أخيكم هو محتاج إلى الراحة وبعدها تعالوا واجتمعوا عنده

- يا أبي هذا رافع الرأس ، كلمة جعلت دموع أحمـد تتسـاقط علـى خديه

- لا يا أحمد لا تبكي فأنت الوحيد الذي ستكون فخراً لنا

- تأتي أمه التي يحبها كثيراً وتضم أحمـد ضـمة جعلـت منـه ينشـج نشيجاً عالياً حتى أبكى أخوته جميعاً .

- احتضنته أمه بقوة واعطته حناناً وعطفاً كان بـأمس الحاجـة إليـه ، فدنت منه أخته الكبيرة مشفقة عليه ، أحمد قم اغتسل ، ثم غير ثيابك حتى نأكل جميعاً ، فنحن محتاجون لهذه الجمعة التي نجتمع بها .

- تركته أمه وقالت قم بني حتى تغتسل وبعدها تعال لتأكل معنا فأنا محتاجة إلى مائدة تكون أنت فيها .

نهض أحمد مكفكفاً دموعه ، أخذ ملابسه ودخل الحمام ليستحم ، وهنا بادرت اخواته بإعداد طعام العشاء ، فـاليوم هـو عيـد عـدهن ،

أحمد لم يكن اخاً جباراً ، فكان ودوداً وحنوناً وصاحب غيرة على اخواته ولم يكن يرضى أن تمس احدى اخواته بأي أذى أو ذل أو أدنى مهانة ، حالما أتمّ غسله ، شعر بالراحة تعتري جسده ، جلس مع أمه وأبيهِ سارداً لهم كيف كانت الجامعة وكيف كانت حياته في القسم مع زملائه وكيف قضى تلك الأيام الخمسة وهو بعيداً عنهم ، صاحت احدى اخواته إليهم مشيرة إلى ان المائدة قد وضعت ودعتهم ليتناولوا العشاء ، نهض الجميع مسرعين ملبين هذا النداء الذي لن يرفضوا له دعوة ! كانت ليلة ما اجملها ، وما اعذبها ، وما اجمل مزاحهم وخصومتهم التي تنم عن روح نقية وطيبة ، قضوا ذلك العشاء وهم يمزحون ويضحكون وكلٍ نهض وهو فرحان بهذه المائدة الطيبة ، ولما انتهى الطعام ولم يبقّ سوى الموائد والملاعق نهض الجميع ليغسل يداه ، تفرق الجمع وذهب كل منهم إلى ما يشغل نفسه به ، أحمد قرر ان يقضي تلك الليلة في سطح الدار ، ليلتحف السماء ويأخذ بالتغزل بها عسى ان ترفق به وتأخذ رسائل وحنينه إلى من يهمها الأمر ، اخذ بيده فراشه ووسادته وفرش الفراش متوسطاً سطح البيت وكان الجو صافياً والنجوم لامعة والهواء لطيف ،

تقبل إليه أخته وبيدها كوب الشاي .

– أحمد

– نعم انا هنا اجلس

– هذا الشاي الذي سيعدل دماغك ويهدأ اعصابك

- حقاً انا محتاج إلى من يهدأ فكري ودماغي مشوش

- ممَ يا قرة العين ؟

- موضوع ما ، لا شيء

- أحمد !

- نعم

- منذ متى اصبحتِ تخفي عني ما تعاني منه ؟

- يتنهد وتأخذه حيرة من الأمر ولا يعلم ما يقول لكنه ، ردّ بقول : أنا غير سعيد

- لماذا وممَ أنت غير سعيد ، وهل من يكون مهندساً ويدرس في العاصمة وتكون حالته مثل حالتك ويكون غير سعيد ! .

- أيّ والله وربما يكون أتعس وأشد من حالتي .

- قصَ عليّ ما تعاني وستخفف عن نفسك وروحك

- ماذا اقص وماذا أروي وأنا حتى لا أعرف مما أعاني ومما أشتكي .

- قل أي شيء وستخفف عن نفسك أيّ ثقل ، أحمد نحن اخوة وروح واحدة وقلبنا واحد ونحن ملاذ لبعضنا البعض .

**– صدقتي ، فأني لا أجد الراحة والهدوء والصبر إلا عندك وكأنك مخلوقة لتتحملي اثقال اخيك**

**– أحمد وبنبرة حادة**

**– نعم**

**– لا تقل هكذا وتشعرني وكأني مقدمة لك شيئاً فأنت سندي وخير سند**

**– وأنت خيرُ أخت وأنبل صديقة وأعز خليل الجأ إليه**

**– أحمد اشرب الشاي وقص عليه مما تعاني ، أتشعر بضيق ما ؟**

**– شرب الشاي وقال انا اشعر بمشاعر ملتهبة في داخلي ولديّ ميل نحو إحدى البغداديات ،**

**– اتقصد ندى أم غيرها**

**– يطرق برأسه إلى الارض ، ويرد بكل هدوء نعم هي**

**– هل رأيتها ؟**

**– لا**

**– لمَ !**

**– لأنها لم تأتِ للدوام طوال هذا الاسبوع**

- ما السبب ؟

- لا أعلم

- هل حاولت ان تسأل عنها ؟

- نعم

- وماذا قالوا ؟

- لم أصل إلى نتيجة ما ،

- اذن السبب في ضيقك هو ندى ؟

- يصمت ومازال مطرق الرأس ، ولكنه قال : ربما تكون هي السبب

- ولماذا هي السبب فيما تعانيه ؟

- سؤال اثاره وجعله يرفع رأسه لها ، ولكنه لجأ إلى الصمت والدهشة ، ليداري اثارته

- أخي أنت شاب طيب ومهذب ولك المشاعر المرهفة والعاطفة الجياشة لكن لا ينبغي لك أن تقع هكذا فريسة لعواطفك .

- حقاً لا أعلم ما بي لكني غير طبيعي

- ياليتها علمت بما تكابده وما تعانيه لربما اشفقت عليك

- ياليتها لو علمت

-أحمد هذا أنت الأخ الأكبر وأنت السند والملاذ وأنت رجل البيت بعد أبي وأراك بمثل هذا الحال فكيف تكون بهـذا الانكسـار وبهـذا الاحباط !!

– ينتبه أحمد ويفيق وكأنه في غيبوبة وأفاق منها وكـان كـلام أختـه كالصاعقة عليه فكلامها منطقي وصـواب ، رد عليهـا بأنـه سـيكون بأفضل حال ان شاء الله

– أتمنى أن تعود ذلك الفتى المرح الخفيف الظل الذي تلوذ به العائلة في كل ما تتعرض له من حيف

– هذا الكلام ألهـب مشـاعره وانـتفض وهـو الأبـيّ الغيـور ، عنـدما تخاطبه أخته بكلمات هي بركان ، فإذا به يخاطبهـا خطـاب الرجـل الواثق الخطى وبكل حزم

– أنا أخوك ووعدٌ عليّ لأكوننّ عند حسن ضنكِ بي

نهضت تاركه أخاها يعيد حساباته وينتبه إلى نفسه ويصحح مساره ، فهو سقط في أول خطوة خطاها في حياته الجامعيـة ، هـذا الليـل قـد أرخى سدوله واقبلت الخيالات تراوده وتتـزاحم عليـه أتكـون نـدى عاشقة لأحد الشبان ، وما نظرتها ولطفها معي إلاّ نوع من المجاملة لا اكثر ، يرمق السماء علّه يلتمس حلاً منها لما يكابده مـن عـذابات الشوق والاشتياق لحبيبه رسمها في داخله واحبها دون علمهـا ، قـد ابادرها وارى كيف يكون ردها ، لأني لا اتحمل ان اسير خلف وهم

لمدة اربع سنوات ، يتساءل ويبحث عن اجابة لكل تلك التساؤلات ، إنك عاشقٌ يا أحمد ، ولكنـك اخطـأت الطريـق والتعـبير واسـرعت الإعلان ، هكذا كان يخاطب نفسه ، فهو يشعر ويحس بأنه وقـع في حب تلك البغدادية التي سلبت منه اغلى ما يملكه وتركته حائراً يتردد ،. ساعة وساعة واخرى حتى اخذه النعاس فنام كأنه طفـلٌ بـريء ، حالمـا اغمـض الجفـن اقبلـت الاحـلام الـتي لا تكـف عـن مـراودة المراهقين واغلب احلامهم العاطفية تكون خيالية ولا تمت إلى واقـع ظروفهم في شيء ، يأتيه هاتفٌ من بعيد لا يرى له شخصاً ولكنه يسمع صدى صوته :

-أحمد وبنبرة حادة

- بكل تردد وخوف ، نعم

- ماذا دهاك وماذا تعاني وماذا اصاب هذا الفتى الغيور والمهذب من خمول وركود ؟

- لم يأخذه الفضول ليعرف من هذا الصوت الذي يعرف ما يعاني من أحمد ولكنه ردّ عليه وماذا اصابني يا ترى ! حول صيغة السؤال نحو السائل وبذلك جنب نفسه الحرج .

- أتتجاهل نفسك وحالتك التي لا تدل إلاّ على انكسار وهوان ، حقاً ان سن المراهقة لم يعد الفتى يفكر بعقله ، بل بقلبه .

- أواه وهل لدى المراهقين عقول حتى يفكروا بها !

- عجيب أهذا أحمد الذي كنا نعرفه وهو الشـهم والقـوي امـام أي عاصفة تعترضه وبالتالي نراه يقع في اول طريق المراهقة

- وهل يعاب الفتى المهذب والشهم والغيور إن لبى نداء فؤاده ؟

- لا يعاب ، ولكن ليس بهذا الخمـول والانكسـار والضـعف حتـى الافراط

- وهل بان عليّ ما تصفني به ؟

- اجل وبكل وضوح ، الفتى القروي ، عندما يـدخل إلى العاصـمة ، يكون مميزاً في كل شيء ،

- كيف ذلك ؟

- لأنك لو كنت متمدناً مثلهم لما سلمت نفسك وروحك لعاطفة ما تلبث ان تتلاشى وتزول .

- أوه يا رباه لمَ هذا الازدراء فيّ ولمَ هذا العذل ؟

- لأنك فضحت نفسك بنفسك ، وعلقت نفسك بكذبـة وتريـد ان تمشي خلفها

- وهل الحُب كذبة !

- نعم

– يثور وينتفض كمن لدغته افعى ، لمَ هذا التجني والقساوة والظلم بحق الحب ، لماذا كل هذا التنكيل به ، لماذا ، لماذا ، لماذا ،

– اشفق على نفسك يا هذا ، فأنت غارق في أبحر نفسك وجهالة عاطفة لن تبقى ولن تستمر .

– لمَ انت هكذا قاسٍ عليّ ؟

– انا مشفق عليك ولا أريد منك إلاّ أن تكون بكل خير يا أحمد

– لم لا تريد أن أكون طالباً مجداً وشاباً صلداً وبذات الوقت أملك قلباً ذا مشاعر مرهفة وعواطف لا تبرد

– ومن قال لك لا تملك هذه المشاعر ، لكن انت تملك مشاعر لوهم وليس لحقيقة ، يا ترى اخبرني هل تحبك هذه الفتاة بمثل ولعك بها حتى هذا الحد ؟

– يصمت ويطرق ، ربما كما يقولون القلوب عند بعضها او كما يدعى في علم النفس : ان سبب عدم قدرتك على اخراج شخص من تفكيرك هو ان الشخص ذاته يفكر بك

– هذه النظريات تصح لمن يعرف بعضهم البعض وليس الذي بمثل حالتك

لم تبقى أمامه حجج وليس لديه أيّ مبرر ، ليبرر به هذا العبوس وهذا الكبت الذي يؤرقه ، ينام وتأخذه اغفاءةً ولم يفق حتى اقبلت الشمس

بضوئها عليه حتى احس بحرارتها ، عندها نهض ولم يهنأ بنومه القليل ، وليس من عادته أن ينـام حتـى طلـوع الشـمس عليـه ، لكنـه أدرك الكسل الذي يمر به ، نزل إلى الحمام فاغتسل وارتدى ثيابـه العتيقـة وهمّ أن يلحق بأخوته ليساعدهم ، لكن صاحت به أمه قف يا أحمد ، فأنت هنا لترتاح ولتعود نشطاً وذا بال صافٍ للجامعة ولا نريـدك أن تتعب يا بني ، كان بحاجة إلى الراحة ولكن نفسه وضميره لـن يدعـه يهنأ بهذه الراحة واخوته الصغار تلفع وجوههم أشعة الشمس بلهيبها الحارق ، خرج ودعوات أمه ترافقـه وصـدى كلماتهـا الطيبـة يمـلأ مشاعره ، يرى القرية ويعشقها ، ولكنه يأسى للمعيشة الـتي يعيشـها الفقراء الذين هم الأعم الغالب من السكان ،. وصل إلى ارضهم ورأى اخوته وهم يعملون ، بادر إليهم مشجعاً إياهم علـى القـوة والعزيمـة منبأهم بأنهم كلما تعبوا كلما كانت الارض افضل ومنتوجها اكثر ، تشجع اخوته به وتشجع بهم ، فهو يعدهم سنده وهم يعدونه سندهم تلـك هـي مشـاعر الـود والألفـة الـتي تغمـرهم ، الاصـالة والمحبـة والاحترام والتعصب يسود معظم حـالاتهم ، سـاعة أو بعضـها حتـى شعروا بالجوع ، فبادروا إلى طعامهم الذي جلبوه معهم والـذي هـو عبارة عن أربع رؤوس من البصل وأربعة من الطماطم والخيار وأربـع قطع من الخبز مع قدح من الماء ، هكذا كان طعام افطـارهم والـذي يستشعرون اللذة به ويجدونه اشهى وألذ طعام ،. ويعـودون ليجـدوا في العمل ويأخذهم الحرص على الاتقان ، ومـاهي إلاّ سـاعتين حتـى يتركون العمل ويستأنفوا ، ليرجعوا إلى البيت وهم في حالة من التعب والاعياء ، يعود الاخوة الاربعة والمزاح والدعابة تغمرهم حتى يخال

إلى الناظر اليهم إنهم جسدٌ واحد وطبيعي أن يكـون مظهـرهم وهـم بهذه المجموعة أن يبعث الهيبة والخشية من الناس ، فالأخوة احدهم يفني روحه في ذات أخيه ولم يكن لديهم أيّ روح من اللؤم والحسد ، قلوب طيبة بنفوس طاهرة يسيرون جنباً إلى جنب ليجعلوا من منظرهم محط اعجاب المارة ، دخلوا إلى البيت ورمى كلٍ منهم ما يحمل من آلة ودخل ليتمدد على الارض ، أحمد ذهب إلى الحمام واغتسل ثم انتظروا لتضع اخواتهم طعام الغداء ، فأكلوا ونهض كلٍ منهم لحاجة يقضيها ، دخل أحمد الغرفة ، ليأخذ قسطاً من النوم ، ليخرج بعدها إلى اصدقائه ، نام تلك الساعتين وبعدها افـاق فلـبس ثيابـه وخـرج ، اغلب ملابسه كانت ملابس متمدنة وليست بملابس قروية ، خـرج ليسأل عن رفاقه الذين قضى معهم كثيراً من اوقاته يأنس بهم ويأنسون به ، على ضفة الشط مشى مترنحاً يأخذه الخيال ليكتب من القريض ابياتاً ومن النثر اسطراً ، أيعقل كل من وقـع في الحُـب يكـون اديبـاً ، يـرى صـديقه رافـد ، فيأخـذه بالأحضـان وبحرقـة الاشـواق يتعـانق الصديقان معاً ، ويطلب أحمد منه أن يخرج معه كعادتهم التي كانوا دوماً يسيرون معاً حتى يظللهم الليل ، مشى الصـديقان معـاً وجلسـا على ضفة الشط الذي كـان مكـانهم المفضـل ، يسـأل رافـد صـدقه أحمد:

– أحمد كيف هي الجامعة ؟

– بكل انشراح وبكل ثقة وحُب ، إنها جميلة يا رافد حقاً

– تتهنى بها وأنت تستحق هذا الجمال يا أحمد

– اتمنى أن تكون معي في هذا الجمال يا رافد

– أحقاً يا أحمد هكذا تتمنى ؟

– نعم والله وبكل حب وسرور

– ياليتني حققت ذلك المعدل الذي يؤهلني لـدخول تلـك الجامعـة وبصحبتك نقضي اوقاتنا معاً

– بعون الله ستعيد السنة وتجد وتجتهد وتحقق ما تصبو إليه وعنـدها ستكون قد حققت هذا الطموح الذي في داخلك .

– يا رب فكل املي هذا يا أحمد

– رافد انت مصاب بالإحباط وهذا سيء عليك ويضرك كثيراً

– وما الحل في الخلاص ؟

– عليك أن تعي أن الدنيا لا تقف عند هذا الحد لا حاجه لها ، بل ها هي تفتح لك منفذا آخراً ، لتعيد به كل ما تود أن تحققه

– أحمد لا تنسى انك تتكلم عن نفس ناجحة وواثقة من النجاح ، لذا فأنت شخص تطمح بالوصول إلى أعلى ما تود أن تصل ولكن يا أحمد يعتريني القصور أحياناً والفشل أحايين أخرى

– هذا الفشل أنت من يساهم في صنعه ، كفى يا رافد عليك ان تبصر نفسك ، أهذا رافد الذي كان صلباً ومتماسكاً ، والملاذ الذي ألـوي إليه في كل ملمة تعترض طريقي ، فما هكذا الظن بك يا صديقي !

– اتعرف يا أحمد ، فقد عادت نوعاً ما الثقة في نفسي !

– احقاً

– أي والله

– الثقة بالنفس هي التي تجعلك تحقق الصعاب وتستسهل المهمات ، وها هي الثقة تعود فيك لتنهض بـك وتجعلـك تسـتأنف العـودة مـن جديد .

– وهل سأحقق هذا النجاح يا ترى ؟

– بكل تأكيد لكن

– ماذا ؟

– ان تركت المحبطات ولجأت إلى الامور الـتي تشـد العـزم وتجـد وتجتهد وعندها وعدٌ سيكون لك شأن انت ذاتك لم تحلم به

– كلامك يبعث الروح في جسد ميت

– كفى رافد ، كفى تتوقع الفشل ، فتصاب به

– وها انا فعلاً فاشل

- لا ، انت من جلب هذا الفشل لنفسك

- بكلا الحالتين انا فاشل

- لا يا عزيزي ، فالدنيا لم ولن تقف عن أحد ولن تركن ، بل عليك ان تطوع الظروف لصالحك وتحقق ما بوسعك تحقيقه

وهكذا قضوا وقتهم واحدهم يشد العزم للآخر ، حتى اجتمع عندهم مجموعة من الشبان وتكونت حلقة من الشباب الذين هم بعمر الورد ، اغلب حديثهم كان يحمل البراءة والفطرة السليمة والسذاجة وحتى عصبيتهم لم تكن إلاّ عن سذاجة وجهل ، الشبان اغلبهم مالوا إلى ترك الزراعة وذهبوا إلى السلك العسكري ، ليداروا فشل الزراعة ويحققوا لأنفسهم ولأهلهم بعض المال الذي يقيم الأود ، الزراعة تكاد تضمحل بسبب العقلية الفاشلة لدى النظام الحاكم وقصور رؤيته ، اهل القرى يتركون مهنتهم الاصيلة ويلجأون إلى الالتحاق بالسلك العسكري من كافة الاصناف كالجيش والشرطة ، وبالتالي اصبح شباب الجنوب يشكلون ثلثي الجيش العراقي ،

يتداول الشبان في حديثهم العراق وما يعاني من مشاكل وما يدلهم به من الخطوب التي نخرته وجعلته يعيش الحالة المأساوية التعيسة في تاريخه ، يتكلم احدهم وتأخذه الغيرة والحمية على العاصمة :

- لك الله بغداد ما اقسى ما تعانين من هذه الآلام

- يرد احدهم ، عانت وما زالت تعاني ولعلها ستبقى تعاني الى ما شاء الله

- يرد آخر رحم الله أيام ذلك النظام الجبار والدكتاتوري ، الذي امسك بمقاليد الحكم ، فأتقن حفظ الأمن وحقق الامان وكان العراق قوياً منيعاً بزمانه

- يرد آخر لا ليس هكذا المنطق ، النظام السابق كان نظام جزار ودموي وسفاح وعانى منه الشعب ما عانى يلعنه الله

- ويقول آخر وكان لدينا أمل في هؤلاء الذين كانوا معارضة بالأمس ، ولكنهم فشلوا وخابوا وخاب مع فشلهم الامل الذي كان مرجواً

- يلتفت إليهم أحمد ويتكلم بلغة المثقف ، نحن نتجادل عن المشاكل ونخوض فيها ولم نتكلم عن الحلول التي هي الاولى والاجدى في الحديث عن عراقنا اليوم

- يلتفت احدهم ويقول : صدقت ولكن ما الحل يا ترى ؟ وهل لدينا حل ليخرج هذا البلد المنكوب من محن فرضت عليه حتى بقي ضعيفاً امامها ومتضعضع البنيان إزاءها

- يحجم الجميع وينصت ، فيبادر أحمد ويقول : الحل بيدنا وعندنا نحن الشعب ، وبالأحرى نحن الشباب ، علينا ان نكون برلماناً نزيهاً ووطنياً لنشكل حكومة وطنية غيورة وتملك العقلية التي تجعل من البلد متقدماً ، يرد احدهم

- كيف ذلك ؟

- لنغير هذه الوجوه والاحزاب قاطبةً ونسحب البساط عنهم جميعاً ، فلا ابن المرجعية ولا ابن السيد ولا ابن الشيخ ولا ابن الزعيم ، فكلهم سراق وفاشلون وعلينا تغييرهم والخروج بأناس من رحم المعاناة والحرمان ، ليكونوا صوتاً لنا في الحكومة

- ومازال الامر مجهولاً وكيف ذلك ؟

- أن نثقف المجتمع أو بالأحرى ، نثقف انفسنا ونغير انفسنا ونصلح حالنا وبعدها نبدأ بالمجتمع لنؤثر فيه

- وهل ترى المجتمع ينصت إليك ؟ المجتمع ميت او شبه ميت ، انت تتكلم مع شعب جاهل ومتفكك العرى والاوصال ، شعب مزدوج الشخصية ذو ميول واهداف شتى ، بل متعدد في كل شيء ،

- لا الشعب ليس ميتاً وليس جاهلاً وليس مفككاً ، ولكن الطغمة الحاكمة صورته بهذه الصورة والحكومات الخارجية لا تريد لهذا البلد الخير ، فو الله لو كنا نملك حكومة عراقية بالفعل ونزيهةً ولديها ضمير حي لما حدث هذا الذي نحن نعاني منه ،

- المشكلة فيمن اذن الحكومة ام الشعب ؟

- في الاثنين معاً ، فهذا يؤثر بتلك ، لأن الحكومة اذا كانت تملك برنامجاً تنموياً ونهضوياً وتوفر فرص عمل وتمنح خيرات البلد لأبناءه لوقف المجتمع معها وساندها ،

- اذن نحتاج الاثنين ولن نحصل عليهما في عراقك هذا

- لا يا راهي ، فأنت احد هؤلاء الذين سيغيرون ، وانا الثاني ورافد والثالث وفلان وفلان وفلان وهكذا ينتشر الوعي ويزداد الاصلاح ويقوى

ويستمر الجدل ويأتي هذا بالقول ويأتي فلان بالفرض وهكذا كان هذا الوطن الصغير يفكر في سبل الحل والخلاص من المحنة التي يعيشها العراق ، من الملفت للنظر انهم كلهم لم يمارسوا التعليم ولم يصل احدهم مرحلة المتوسطة ، فضلاً عن رافد وأحمد ، لذى حاول احدهم ان يغير الحوار ويسأل أحمد عن العاصمة وكيف اخبارها

- يبتسم فرحاً لهذا السؤال ، ويرد هي جميلة في كل شيء

- وما الجميل بها يا ترى ؟

- أرضها ، سماؤها ، ترابها ، ماءها ، ناسها ، طبيعتها

- الله الله الله ، ما اطيبها اذن !!

- وما اجمل سحرها ، وما اعذبها ، فأنك واجدٌ بها الحُب والحياة والجمال

- وهل وقع أحمد في الحب هكذا فجأة ؟

- نعم

– حقاً ! عشقتها هكذا بسرعة

– وهل تريد وقتاً لتعشق به مدينة الحب والود والسلام !

هكذا تحول الكلام في هذه الجلسة الشبابية من السياسـي إلى الحـب وهذا الكلام يلّذُ لأحمد ويروق له ، وهكذا قضي الوقت حتى وصلت الشمس إلى المغيب ، فتفرق الشبان كلٍ ذهـب إلى منزلـه امـا أحمـد ورافد فذهبا إلى المسجد ، ليصليا صلاتي المغرب والعشـاء ، دخـلا المسجد وكعادته يخلو من الشباب او يكاد ينعدم ولـم يكن يقبل عليه إلاّ الشيوخ والعجزة وهم قلة قليلة ، صلى بهم احدهم صلاةً جامعة ثم انصرفا ، عاد رافد إلى منزله وذهب أحمد إلى منزله ، يعود الفتى وقد هدأت الاصوات وسكنت الاجراس التي كانت نشطة في النهـار هنـا يقف الفتى ، ليجد الوقت سانحاً للتأمل ، يتباطأ في خطواته ويمشي على مهل ليترك لنفسه ان تحلق فيما تشتهي وتحب ، الطموح الـذي يطمح ويسـعى إليـه هـو ان يكـون عضـواً مـؤثراً في الانتـاج المـادي والمعنـوي في المجتمـع ، قـرأ كـثيراً عـن مشـاهير العظمـاء وقـرأ شخصياتهم واهتم بأولئك الرواد الذين بقي تـراثهم حيـاً فينـا ، هـل سيذكره التاريخ ذات يوم في إنه قدم وساهم في التقدم الذي سيحصل في البلد ، يجيد الرسم ويـتقن التصـاميم ، اراد ان يكثـر مـن الأنفـاق والجسور وبناء المرافق الحيوية ، مشروعه الذي يتوق إلى تحقيقه هو ان يرسم مخططاً حضارياً في المحافظة ، ولكن هل ستسعى الحكومة التي كانت معارضة بالأمس والتي امسكت بزمام السلطة ، فلم تقدم شيء لشعبها ولا لوطنها ، لم ينتهي تأمله حتى وصل البيت ، فدخل

وهو مازال غارقاً في هذا الحلم الذي يسعى إليه ليلاً ونهاراً ، اهله مشغولون بأنفسهم وهو يعيش معهم في جسده لا بعقله وقلبه ، يأكل معهم ويذهب إلى السطح ليجد العالم الذي يخلقه بيده ويكيفه لصالحه ، انتهى هذا اليوم كسابقاته دون نسيان الحبيبة التي مازال الحب من طرفه هو ، يا ترى ماذا تقول ندى لو علمت مدى حبي العميق لها ، أيدعى حب هذا الذي انا فيه ؟ أهو اعجاب ؟ أهو نزوة من تلك النزوات التي تمر على الشبان في ايام مراهقتهم ؟ أم هي نظرة عابرة وبريئة ولا تحمل سوى اللطف والمجاملة ،

وقضى تلك الليلة هادئاً لم يعكر صفو منامه اي حلم يفزعه ، ليلة هي الاولى التي يهنأ بها من اليوم الذي رأى فيه ندى إلى هذا اليوم .

في فجر يوم الاحد ، وبعد أذان الفجر ، استيقظ أحمد ليتهيأ بالسفر إلى العاصمة ، نهض وكان في غاية الحيوية والنشاط يدب في اوصاله ، توضأ ثم صلى صلاة الصبح وبعدها ارتدى ثيابه الجامعية والتي هي قميص ابيض بياضاً ناصعاً وبنطلون جينز رصاصي وحذاء جلد اسود ، رأى أهله قد استيقظوا وهم كل اخوته ، لينصرف إلى عمله ، فسلم عليهم وودعهم ، ثم اكمل تسريحة شعره التي بدأت تميل إلى التسريحة البغدادية مع الاحتفاظ بالحشمة والوقار القروي ، خرج مودعاً اهله وكالعادة دموع الوالدة تكاد تنهمر على الخدود من فرط حبها لهذا الفتى البكر الذي سرّ قلبها وبدنها ، وصل إلى العاصمة وقلبه يتوق ومازال يلح في أن هذا اليوم سيكون ليس كباقي الايام ، لكنهُ مضى بمثل ما مضت سائر الايام ، يرجع الى القسم وكانت

حالته يرثى لها ، لأنه منّى نفسه كثيرا في هذا اليوم ولم يحصـل علـى مراده ، كاد قلبه أن يعتصر من فرط حزنه على حظه المنحوس هـذا ! لكنه عاد وتسلح بالقوة والصبر لعلّ غدا يكون خير ، أقبل يوم الأثنين وعاد الى خيالاته أيضا في أن هذا اليوم سيحمل البشارة له أيضا ، مـا اعذب هذا الصباح وما الطف هواءهُ ، دخل الجامعة وقلبه يضـطرب وقدماه لا تقوى على المضي إلى داخـل الحـرم الجـامعي ، خطـوات خجولة وبطيئة جداً ، اخذ يتخطى ويمشي بكل تثاقل ، هل سيدخل ويرى المفاجأة امامه ، وماذا سيقول لو رآها ، وصل إلى كلية الهندسة ورمق الكلية من بعيد متأملاً حديقتها وبابها والنوافذ ، هـل سـيكون يوماً بمثل ما اوعز له قلبه وأنبأه به ، دخل إلى الكلية وقلبه يكاد يصرخ أين انتِ يا ملاكي ، اين انتِ يا معذبتي ، اين انتِ يا حبيبتي ، صـعد إلى قاعة المحاضرات ، فلم يجد لها أثراً ، دخل هذه القاعـة وخـرج من تلك ، نزل إلى النادي الطلابي وتفحص بوجوه تلك الحسناوات التي تسلب الفؤاد من بين الضلوع ، وكـأن إحـداهن تتحـدى القمـر بجماله وبهائه ، خرج من الكلية وكان متأملاً بأنها ستقبل وهذا اليوم سيكون يوماً مشهوداً ، جلس على المصطبة في حديقة الكلية ، ليجد هذا الجو الذي يألفه ، هواء منعش وتنبعث منه نسمات مـن الـبرودة تطرب لها كل حواسه ، يقتطف وردة ويشمها فيجدها لطيفة وذات رائحة طيبة بعثت شذاها في منخريه ، استنشق الهواء اللطيف ونبضات قلبه آخذة بالضرب على اضلاعه ويكاد يخرج الفـؤاد مـن موضـعه ، ليرتمي على قلب الحبيبة التي ستقبل حتماً ، هكذا كان يسلي نفسه ، الطلاب يتوافدون الواحد تلو الاخر والطالبات الواحدة تلو الاخرة ،

وبين لحظة صمت ومازال تائهاً في أبحر المجهول يطل عليه طيفاً ذا ملامح هي كالملاك أن لم تكن هي الملاك بعينه ، تقبل وكأنها الشمس تمشي على الارض وبخطوات متثاقله بطيئة ، النضارة والغضارة والغنج والرقة والاناقة والنزاكة جمعت في شخص هذه الحسناء المقبلة ، لاح له طيفها وهي مرتديةُ الحجاب النيلي وقميصاً ابيضاً وسترةً سوداء وتنورةً طويلة كلاسك حتى كعبها وحذاء جلد اسود ، ممسكة بحقيبتها وتمشي الهوينا وكأنها تمشي على نهرٍ ، ابتسامة من بعيد تشي بملامح طيبة نحو هذا الفتى الذي انتظرها طويلاً وها هو مازال منتظراً ، ها هي بدأت تقترب إليه ، وقف مبهوراً والابتسامة تغمر وجهه ، وقف ليحيّ هذه المقبلة وليجد عندها الراحة والسعادة التي ينشدها ، اقترب واقترب حتى وصلت بقربه ، مالت إلى الحديقة لتسلم على أحمد ، لا يعرف أحمد ماذا اصابه عندها ، أهو يحلم أم يعيش واقع ، وقفت امامه لتقول :

- صباح الخير أحمد

- يتلعثم ويتردد ويصفر وجهه ويرد باضطراب ، صباح الورد

- كيف حالك أحمد ؟

- أنا ... أنا ... أنا

- نعم أنت

- اصبحت بكل خير

- ولمَ ؟

- لأني رأيتك يا ندى

- حقاً !

- أجل والله ، لقد انتظرتك طويلاً وطال انتظاري

- تنصت له وتطرق حياءاً من هذا الغزل العذري

- يبادرها الكلام ، أين كنتِ في الاسبوع الماضي ؟

- كنتُ مريضة ولم استطع النهوض من الفراش

- ينذهل ويتألم لهذا الخبر ، سلامات ، سلامات ، صحبتك العافيـة ورافقتك الصحة دوماً

- شكراً لك على اهتمامك هذا .

- لا احتاج إلى الشـكر بقـدر حـاجتي إلى رؤيتـك سـالمة وتتمـتعين بصحة جيدة .

- تسلم يا أصيل

- لحظة من الصمت ثم لحظات من الصمت أيضا وكلاهما في حالة صمت ، فتبادر هي لتقول :

- لمَ انت ساكت ؟

- وهل يستطيع رجلٌ ما أن يقف أمـــام هـذا المـلاك ويقـوى علـى الكلام ؟

- أحمد كفى

- ماذا !!!

- كلامك يزيد فيَّ الخجل وأنا لا اقدر على سمـاع كلامـك هـذا ، وأنت لك وقعٌ في الكلام ما الطفه وما اعذبه .

- وأنتِ لديكِ أضعاف ما أملك فأنتِ الـتي خطفـت قلـبي مـن بـين اضلعي .

- وهل تتهمني بالسرقة ؟

- نعم ، لكنها سرقة لا يعاقب عليها القانون ؟

- لماذا ؟

- لأن الاشخاص هم من يعينون السارق على سرقتهم .

- اذن أنا لم اكن سارقة بل انت من سلمتني قلبك

- اجل ، لكن لولا سحرك لم اكن اقع بهذه السهولة .

- أنت عجيب يا أحمد

- كيف يا روح أحمد ؟

**- تارةً تصفني بالسرقة واخرى بالسحر ولم اعلم هل لـديك وصـف آخر تصفني به ؟**

**- لا يا ندى لا تفهم الأمور هكذا**

**- كيف إذن ؟**

**- يا ندى انت بريئة ولطيفة وطيبة ، ولولا تلك الصـفات لمـا امسـى فؤادي ملكاً لكِ**

**- أتتهمني بالسرقة والسحر ولا تنظر إلى نفسك !**

**- يبتسم لهذا المزاح البريء ويردد معها اجمل كلام واعذبه .**

**وهكذا يعيش احلامه التي يصنعها هو ويطمأن لها ، يلجأ العشاق إلى الاحلام كثيراً وحتى في اوقات يقظتهم !**

**يفيق من النوم فجأة وكأنه لم ينم لحظـة واحـدة ، نحـى الغطـاء عنـه ونهض وبه رجعة إلى النوم ، لكنه عدل عن كسله وقـرر أن يـذهب ، ليغتسل فعليه واجبات ومحاضرات يجب ان يقرأها ، عاد إلى غرفتـه ويسكن معه اثنان من الشبان الذين لا هم لهم سوى المـزاح المفـرط والكسل الدائم والثرثرة التي لم تنتهي يوماً ما ، كان أحمـد متضـايق منهما ، فلم يسمع من كلامهم حديثاً إستلطفه سوى سخرية وهـزل وهراء ، ضاق من عبثهم ، فأخذ محاضراته ولجأ إلى المرر لكي يجد فرصة ؟؟ يقرأ بها بعيداً عن غرفته ، لكنه ايضاً لم يجد ما يوفر له الجو**

الملائم للقراءة ، عندها رجع إلى غرفته ورمى الملازم بغضب ظاهر وقال لهم بكل رقة ولكنها تخفي وراءها حنقاً وضيقاً منهم :

- شباب نحن هنا في القسم يجب ان ننضم امورنا .

- يرد أحدهم و كيف ؟

- علينا ان نرتب الوقت ، فهنالك وقت للكلام وهنالك وقت للقراءة وهنالك وقت للنوم وهنالك وقت للراحة .

- لم يدعه يكمل حديثه ، ويرد بسخرية ولم تترك لنا حتى التنفس .

- ليس هكذا ، لك كل شيء وأنا معك في كل ما تقول لكن انكم كنتم كثيري اللعب والمزاح والثرثرة ولم أرى أحدكم أمسك بكتاب يقرأهُ.

- أسمع انت ، لا تكن أستاذ برأسنا وعليك أن تفهم نحن لدينا حرية ، فنجاحنا لن يؤثر عليك ولا فشلنا .

- يا حبيبي لا تفهم الامور هكذا

- بحنق وغيض و كيف ؟

- نحن هنا جميعاً لدينا حقوق في المكان وعلينا واجبات ، فيجب أن نحترم بعضنا بعضاً وننظر إلى المشتركات التي بيننا ونعطي كل حق حقه

- أنت ثقيل الظل يا أحمد وأظن أننا لا نتحمل هكذا شخص

- عجيب امركم ، لأني لا استخف بنفسي ولا ارضى أن اهينها تقولون عني ثقيل الظل !

- وهل تقصد نحن نستخف بأنفسنا ونهينها بمزاحنا ؟

- العاقل يفهم

- زاد غضبهم عليه وقالوا : اذا لم تعجبك صحبتنا بإمكانك النقل من هنا وتخفف عنا

- القسم كله مملوء بالطلاب

- استبدل احداً مكانك ، فليأتي من يأنس بنا واذهب انت مع من ينسجم من انطوائك .

- كل هذا لأنكم تريدون ان تعيشوا غربتكم عن اهلكم ونأيكم بسفاسف من الامور وتفاهة من الكلام

- لا شأن لك بهذا وإياك ان تتجاسر على كرامتنا

- عجيبٌ والله امركم

- وما العجب ؟

- تغضبون اذا تجاسر احد على خدش كرامتكم وانتم تسحقونها ! وتلك قسمةٌ ضيزى !

- أحمد اليوم اخر يوم نحن معاً

- يبتسم وبداخله غضب يفور ، لماذا هل ستطلقني يا زوجي الحبيب

- اثارت هذه الكلمة كلاهما واشتعلت نار الغضب في داخله ، واراد ان يرد بيده ، لكنه علم انه لن يقوى على احمد ، فهو قوي البنية ذو جسد مملوء عضل ولن تعمل به ايدٍ مائعة كهذه ! فاكتفى بأن يشتم أحمد ورد عليه بأفحش القول وارذل الكلام .

- زادت نار الغضب في داخله عند سماعه هذا السب والشتم ، فدفعه بيده على صدره بقوة فسقط على ظهره .

- نهض وبادر يضرب أحمد ، لكنه أحجم فقرر أن يشتكي على أحمد هو وصديقه ، احدث ضجة وصياحاً ليجلب الانتباه إليه وليكون هو المظلوم وأحمد هو الظالم ، علا الصياح وأحمد واقف في مكانه يرى هذا الباطل كيف ينتصر والحق لا يستطيع ان يفعل شيئاً ليدافع عن نفسه ، اقبلت ادارة القسم وسمعت من كلا الطرفين ، فقررت أن يخرج أحمد عنهم ويستبدل احد بمكانه ، فأخذ ملابسه وذهب إلى غرفة اخرى لا تقل عن هؤلاء ولا عن سلوكياتهم ، ووصل إلى الامر إلى مسؤول القسم ، فقضى أن يفصل الطلاب المتخاصمين عن الغرفة ، فخرج أحمد عنها وسكن غرفة وحده ، الوحدة كانت خير إنس له ولم يكن بحاجة إلى ضوضاء تعكر له مزاجه ، فهو قادم من الجنوب وعليه أن يتحمل هذا البعد عن اهله ، ليحقق لنفسه تفوقاً ونجاحاً ، غرفته الجديدة كانت هي خير عالم صنع هذا الفتى

وستكون بمثابة الوطن المصغر له ، كان يوم الاحد اجمل يوم مر عليه منذ ولد وحتى الآن ، يشعر بميل نحو القراءة والمراجعة المركزة فهنا المزاج قد تعدل والروح تواقة لبذل المزيد من الاعداد والتهيأ ليوم غد ، نامَ مبكراً ليفيق مبكراً فغداً سيكون اجمل لرؤيا حبيبة يذوب القلب لها ، كانت نومته هادئة مطمئنة انشرح لها الصدر وهدأ البال ، لكن الاشواق بدت تغلي وتفور .

في صباح الثلاثاء بدت نفسه مشتاقة للدوام وتواقة له ، أفاق وكأنه نام كثيراً ، صلى صلاة الصبح وقام بعمل كوب من الحليب الساخن ، ثم بدأت ساعة المراجعة الصباحية التي تسبق الدوام ، قرأ ما شاء له أن يقرأ وكتب ما أراد أن يكتب ويلخص ، ارتدى ثيابه رغم إنها كانت تقليدية بسيطة ولكنه كان في غاية من البهاء بها ، بدا وسيماً وانيقاً بهذه الملابس والتسريحة ، خرج لا يلوي على شيء وكله ولع واشتياق لدخول الجامعة ، دخلها حتى أخذ قلبه بالانشراح والنشوة ، سلّم على زملائه وصعد إلى قاعة المحاضرات لعلّه يرى تلك الحبيبة ، لكنه لم يرَ لشخصها أثراً ، نزل إلى المكان الذي له اثر ما بعده من اثر ، لاح له شخصها فألتفت وراءه فوجدها تتغنج بمشيتها وكانت هذا اليوم فاتنة وجذابة وذو جمال رائع كدأبها ، وصلت إليه ورأته ينتظرها ، فأقبل إليها مبتسماً هاشاً باشاً لها

- صباح الخير ندى

- ابتسامة عذبة وحياء ، صباح النور أحمد

- نظرة لها وبكل رقة ويود ان يطيل الكلام معها ، لكن الافكار غابت عنه وبقي لسانه يتلعثم ، كيفك ندى

- الحمد لله ، وانت كيف امورك وكيف حياتك في القسم ؟

- فرح لهذا الاهتمام منها وعده خير دلالة على إنه شغل بالها وربما لامس قلبها ، بكل خير والحمد لله

- اتمنى لك ذلك دوماً

- زادت دقات قلبه وشعر بالارتياح ، يا الله ما اعذب هذا الكلام والطفه ،

- أحمد فهمت محاضرة امس ، فلم استسغها جيداً وكلما اردت فهمها عصى ذلك عليّ فرميت بالمحاضرة ونمت .

- ابتسم لها من اعماق قلبه ، ولكنه قال إنه فهمها وحفظها جيداً وبإمكانه ان يفهمها ان ارادت

- طبعاً بكل تأكيد

- سأشرح لكِ ولكن عليكِ ان تأخذي المحاضرات التي اخذناها في الاسبوع الماضي الذي كنتِ غائبة فيه

- أوه ، حقاً فهي محاضرات اساسية ويجب أن افهمها ولكن سأستعين بك عليها ؟

- بكل سرور وأيّ وقت تحبين أن نقرأ ؟

- لا أعلم لأرى صديقتي فاطمة وتقوى حتى نجتمع وتشرح لنا

- كمن اصابته على رأسه ، كان يود أن يختلي بهـا ويشـرح لهـا مـا عسر عليها فهمه ، لكنها تأتي بأثنين من صديقاتها ليشاركنّ أحمد في ندى ، بامتعاض ظاهر حسناً إذن

- طيب سأراك واخبرك بالوقت الذي نقرأ به ولعلّ السـاعة العاشـرة صباحاً هو أنسب وقت ما رأيك ؟

- اتفقنا إذن

- لأدخل إلى الكلية إذن

- حسناً

- استأذنك الآن

- بكل سرور

- مع السلامة

- مع الف سلامة ندى

- تبتسم له وترميه بنظرة جعلته يطير الى اعلى السماء ، ودخلت الكلية ، ولكنه لحق بها واخذ يقف وراءها عـن بعـد لـيرى كـل حركاتهـا وسكناتها ، لم يكن ليغيب طيفها عنه قط .

دخل الاستاذ إلى المحاضرة ، فـألقى محاضـرة علميـة في اساسـيات الهندسة المعمارية ، وكان الطلاب كلهم فارغين من أي محتوى من المعلومات عن الهندسة وماهيتها ، لكن ندى كانت قد أشترت بعض الكتب التي أمدتها ببعض تلك الاساسيات التي جعلتها محط رضـى الاساتذة عنها ومحط إعجاب زملائها ، كان الاساتذة يسـألون فـلا يجدون من يرفع يده إلاّ ندى ، فملكت بذلك اعجـاب كـل الـزملاء وامست هي التي تقود القاعة بما تحمل من معلومات اولية ومراجعة مركزة لكل محاضرة تأخذها ،

أعجب أحمد من ندى وزاد اعجابه عندما رآها في تحدٍ مـع الاسـتاذ الذي يحمل لقب الدكتوراه في الهندسـة ، إنهـا تجـادل وتصـر علـى فكرتها وتدافع عنها وتأتي بالدليل فالدليل لتبين صـحة رأيهـا ، هـذه المناظرة التي اقيمت بين تلميذة ما زالت لتوها في مرحلتها الاولى تقف نداً لأستاذ ! انتهت المحاضرة الاولى وأحمد على أمل بهذه اللحظات التي سيقضيها مع ندى وهل ستقبل ام تحجـم وتؤجـل هـذا اللقـاء ؟ ينتظرها ويقف على مقربة منها ، ليكون بـالقرب مـن نظرهـا لعلّهـا تدعوه ، لعلها تخاطبه بوقت اللقاء ، لعلها تطلب منه التأجيل ، كلـها أمور تخطر في باله ويود ان يرى منها ما يسـره ومـا يطيـب خـاطره ، خـرج إلى الحديقـة ، يلـتمس الراحـة في هـذا المكـان الـذي يحبـه وتستطيبه نفسه ، في لحظة صمت وتأمل حتى تقبل عليه اربـع بنـات تتقدمهن ندى مشيرة إليه إن اقبل إلينا أحمد ، رمقهـا بنظـرة ورمقتـه بأخرى ، فكأنما صُيّر خلقاً جديداً ، حيته ندى :

- مرحبا أحمد

- مراحب ندى

- اتمنى إلاّ نكون ثقيلات عليك ، لكن نود منك ان تعيد لنا شرح المحاضرة ان لم يكن لديك شاغلٌ ما ؟

- بكل تأكيد وانا سأشرح لكم ربما افضل من دكتور أياد

- تبتسم الفتيات وتمزح احداهن وتضحك ندى حتى ملأت روح أحمد بهجة ومسرات عذبة ،

بدأ يشرح ويعيد الشرح وتعمد أن يطيل الشرح ما استطاع إلى ذلك سبيلا ، لم يرفع عينه على إحدى الفتيات قط وكان يرفع رأسه ولكن عينه لم ترفع ابداً إلاّ لمن سلبت قلبه وروحه وهي ندى لا غير ، استمر أحمد بالشرح لهن حتى قاربت الدقيقة الثلاثين ، فأتم شرح المحاضرة الاولى كلها ثم بدأ يسألهن عن المحاضرة وهل اخفي عليهن شيء ، كانت الاجابات كلها مرضية له مشجعة إياه ، نهضت الفتيات وكلهن شكرنه على هذا الدرس ومضت الواحدة تلو الاخرى ولكن من سلبت كيانه ما زالت تكتب من الدفتر الذي كتب به أحمد محاضرته الاولى ، مطرقة ندى برأسها تدون وتنقل من أحمد المحاضرة الاولى ، اخذ أحمد ينظر لها بعين عاشقة اخذ منها العشق كل مأخذ ، ما اعذب هذا الملاك ! وما ألطف سحر هذا الملاك !

يصفها بالملاك وكانت هي اشبه بالملاك بما تحمل من براءة ورقة ودلال ، اتمت التدوين ، فسلمته الدفتر وشكرته لكنه يسألها

- ندى

- نعم

- اعاني من علّة واتمنى ألتمس لها الشفاء

- سلامات على قلبك ، وما العلة ؟

- أنا كثير التفكير ، مؤرق الذهن ، عليلُ الخاطر

- ولم كل هذا ؟

- لا أعلم ، حتى إني لم أعد أهنأ بنوم ولا يقظة

- يا أحمد ماذا دهاك وأنا أعرف انكم أهل الجنوب ، أهل شجاعة وصبر ، وجلد على كل الامور والصعاب وأنتم رجال لا تزعزع قوة ما صبركم وشدة مراسكم

- يتأوه كمن ليس عنده رد على كلامها

- احمد

- نعم

- ألديك مشاكلٌ عاطفيةٌ ما ؟

- ينتفض الدم في كل عروقه ويود أن يبوح لها ويصارحها بهذا الحُب ولكنه أحجم ، وقرر أن يلجأ إلى المواربة في القول ، ربما

- كلمة ربما ليست جواب

- بماذا أجيب إذن ؟

- بالصراحة

- ماذا !

- أجل

- نعم لدي معاناة عاطفية

- ولعلها هي سبب هذا التفكير وهذه المعاناة التي تعاني منها

- ضربت على الوتر الحساس واصابت كبد الحقيقة وها هي تقترب كثيراً إلى ما يجعله يتشجع في ان يصارحها بهذا الشعور ، لكنه ما زال خجولاً منها ، فقرر أن يستدرجها في الكلام ، وهل تؤثر الأزمة العاطفية لهذا الحد ؟

- واكثر من هذا في بعض الاحيان

- كيف ؟

- لأنّ ما يلامس العاطفة لا يقوى العقل أن يقاومه ، لأنه لا سلطة للعقل على العاطفة

- كأنها طبيب نفسي يعالج لمريض ما يعاني منه ، ندى

- نعم

- سأجنُّ حقاً من هذا التفكير الذي لم يعد يفارقني لا مصبحاً ولا ممسياً

- ولمَ كل هذا يا أحمد عليك ان تقف وتحكم عقلك ، لتعرف كيف تدير الامور وها انت شاب في ريعان الشباب والعمر مازال امامك فلا تقع فريسة لهكذا لمشاعر ربما تكن كاذبة اصلاً

اصابته على أم رأسه بهذا الكلمة وجعلت الدنيا تسود في عينه ، لكنه قال لها أنه ليس مراهقاً لا يعرف مشاعره وعواطفه

- أحمد ليس هكذا اقصد ، بل انت ما زلت شاباً بعمر الورد وهكذا حالك وتخلق لنفسك وحشة انت في غنىً عنها

- يتأوه ويخرج حرارة الشوق في نفسه ويطرق برأسه

- ما بك أحمد ؟

- بعد تأوه ونظرة إلى هناك ، لا شيء

- إلى هذا الحد انت ؟

- واكثر منه يا ندى

- خبرني عنها ان احببت وهل تستحق كل هذا العذاب والشوق لها

- اجل تستحق اضعاف هذا العذاب واضعاف هذا الشوق والولع

- يا رباه ، ما بكم معشر الشباب عندما تحبون تقعون فريسة هكذا وتنسون ملامح الخشونة والغلظة فيكم

- ألم يكن جميلاً هذا الشيء فينا عندما نحب ؟

- جميل ولكن له حدود

- الحُب لا يعرف الحدود

- ماذا عنها ؟

- ماذا تحبين ان تعرفي عنها ؟

- بكل ما تود ان تخبرني عنها فسأقنع بذلك

- احبها حُباً لو قسم على بنات العاصمة لحصلت كل بنت على نصيب منه

- تضحك وبقوة ، هكذا هم العشاق كاذبون بالوصف

- ولمَ لا يكونون من اصدق الناس !

- محال ، محال فقد قيل قديما كذب العشاق حينما يصفوا عشقهم .

- يتأوه من ردها ومن قساوة كلامها ويصمت

**- قلت لك حدثني عنها لا تصف لي حبك لها !**

**- سأقص عليك من نبأها ،**

**- تفضل**

**- لا اعرف عنها شيئاً سوى إنهـا فتـاة في الجامعـة وعمرهـا يقـارب عمري ربما ،**

**- اصابتها دهشة وسخرية مما قال لها ، احقاً ما تقول ام تمزح**

**- حقاً**

**- تكلم يا أحمد ودع المزاح والسخرية لاحقاً**

**- اقسم بالله لم امزج**

**- كيف لك ان تحُب فتاة ولم تعرف عنها ادنى معلومات وكيف لك ان تحُبها وهي لم تبادلك بعض المشاعر !**

**- ربما تحُبني**

**- ربما !!!**

**- نعم**

**- سأصاب بالدوار من قصتك هذه**

**- ولمَ يا ندى !**

**– لأنه من غير المعقول إن هناك شاب يعيش قصة حب ويولع نفسه بها ولم تعرف تلك الحبيبة بما يكابد هذا الشاب من معاناة**

**– ياليتها لو علمت فكم أعاني من هذا الشوق لمعرفة ردها عندما تعرف بأني أحبها**

**– أنت تحلم وتود أن تعيش احلام مضطهد بها أنت وتخلق عالماً تعيساً لتعيش به ضحية**

**– ما الحل إذن ؟**

**– عليك أن تصارحها وتعلن لها حُبك لها وعندها ستعرف ردها ، لكي تستمر بحبك وان كان ردها بالرفض فعليك ممارسة حياتك طبيعية .**

**– أنا لا اقوى أن أقف أمامها ، فكيف سأقول لها ما اكابد وما اشعر ؟**

**– عيبٌ عليك ان تقول هكذا كلام**

**– وما العيب ؟**

**– أنت الرجل وعليك تقع المبادرة الأولى**

**– كلامها شجعه وجعله يستقبل طاقة إثر طاقة ، ولكنه طمح بالمزيد ، فأخذ يتغابى حتى يوقعها في شباكه ، سأخبرها حتماً ولعل الوقت قد حان لإخبارها .**

- احسنت فكن جريئاً واقبل عليها وصارحها وأن أبت ، فاتركها ولا تعد تعبأ لها أو تشغل نفسك بها

- تعجب من كلامها ، فلم يجد منها أي نوع من التمسك بـه ، ولـم يجد أية علامة من علامات الغيرة الـتي تظهـر عنـد النسـاء ، اراد أن يستدرجها اكثر واكثر ليقع على الوتر الحساس الذي عنده سيكلمها ، ندى لديّ سؤال

- تفضل

- كيف اعرف أنها تتقبلني كحبيب ، وهـل مـن علامـة تعـرف بهـا المرأة عندما تميل لأحد ما ؟

- سؤال أحرجها فحول الكرة إلى ملعبه وامست هي الخجلة المترددة التي لا تقوى على رد لهكذا سؤال يوجـه إليهـا ، قالـت ليسـت كـل النساء تدرك معنى العلامات ، فربما تحب بعضهن التصـريح وتميـل بعضهن إلى التلميح .

- باغتته بهذا الرد ، أنا محتار بهذا ، لأنـي اخجـل إن أقبلـت عليهـا فترفضني وبالتالي ابقى طوال عهدي في الجامعة لا استطيع النظر إليها

- وهل هي في الجامعة عندنا ؟

- بل في كليتنا ، بل في قسمنا ، بل في ذات المرحلة التي تجمعنا ،

- وربما تكون معك في نفس القاعة الدراسية

– اجل

– حولت الكلام وابعدته عن نفسها ، لتداري الخجل الذي اصيبت به ، ما زلنا لم نعرف بعضنا البعض ، فربما تكون محتاجة إلى ان تعرفك اكثر فاكثر وعندها أذهب إليها معلنا حبك لها وولعك بها

– ابعدته كثيراً حتى رمته خارجاً عن قطب الرحى ، وهل يحتاج الحب إلى وقت للتعارف

– بكل تأكيد ، ربما يكون ما انت عليه إعجاب لا اكثر

– اعجاب !

– اجل لا غير

– لم يعجبه هذا القول ، فأراد ان يقتحم لكنه احجم وبكل مرة يود ان يخبرها لكن يصاب بالتلعثم فيلجأ إلى المواربة ، وهل ما بعد الاعجاب إلاّ الحب ؟

– تضحك ، إلاّ اذا كان الاعجاب من الطرفين عندها سيبدأ الحب

– هزمته بقولها هذا وافحمته ، فهم أحمد من كل ردودها ان لن تقع في الحب حتى تتعرف على الشخص الذي يلائمها حقاً ، لذى قرر ان يذعن لمشيئتها ويستأنف مصارحتها بالحب إلى حين تحين الفرصة ويأتي الظرف المناسب والوقت الذي يكون ملائما للحب ، اخذ نفساً عميقاً وتقبل فكرتها بعقله ومازال قلبه رافضاً هذا التأجيل .

– أحمد فالحب اذا لم يتبع بتفاهم وانسجام فلن يدوم ولن يستقر

– اجل ، الاهتمام والتفاهم هما عصب الحب واستمراره

هكذا كانت المحادثة بين أحمد وندى والتي عرف أحمد من خلالها كيف ينفذ إليها وكيف يصارحها بما يختلج في صدره من عاطفة ، قررت ان تستأذن منه ، فأذن لها وبداخله شعور بالخيبة ، لأنه لم يدرك في كلامها اي ميل نحو او حرص عليه ، افترقا وذهب كلٍ منهما إلى حيث يجلس زميله ، أحمد قد أسودت الدنيا او كادت ان تسود في عينه ، وندى لم تقع فريسة لهذه العاطفة التي ربما تتلاشى سريعاً ، مضت ولكنّ كلمات أحمد قد دخلت إلى عمق عاطفتها ولا مست منها القلب ،

مضى اليوم وكلٍ ادرك من صاحبه ما يختلج في صدره وما يضمر له من مشاعر وود ، يعود أحمد وقد شغله التفكير وذهب به كل مذهب ، ربما يكون ردها يدل على الرفض الذي لا يود ان يسمعه ولا ان يشهده ، رجع يقلب التفكير في اقوالها واخذ يبحث عن تأويل وتحليل يريح قلبه وتطمأن له نفسه ، اخذ يكرر ويكرر اقوالها فوجد إنها لا تدل على عاطفة ولا تخفي حب ، هنا الألم ، هنا الخيبة ، هل ستذهب كل تلك العواطف هباءاً ، كأنها رماد في مهب ريح عاصفة ، ياللهول هذه الخيبة وياللهول المصيبة ان تلاشت الحبيبة بأول تصريح ، لم يهدأ له بال ولم يغمض له جفن . كان يومه حزيناً كئيباً ، عادت همومه تتزاحم عليه وهو مستسلم لها مذعن ، يتخبط خبط عشواء ،

فتارة يذهب به التفكير هنا وطوراً هناك وهو بينهما يتأرجح ، لمّ اعاني من ألم الحب ولم أجد الحبيبة بعد ! لمَ انت ذابل كل هذا الذبول ومنجرف وراء شيء ربما تكون خاتمته وهماً من الاوهام التي تمر على الشبان في مثل العمر ، فما زلت لم ادخل العشرين من عمري بعد ! فلمَ هذا البؤس ولم هذا الضيق بالحياة ولم أخلق عالماً كئيباً لأختبئ وراءه ، عندها نظر إلى نفسه بعين العقل والوعي وقرر ان يطبق الوصفة التي وصفتها له ندى ، فقرر ألاّ يفكر بها كثيراً وينشغل بدراسته ويجد بها ، ترك امر العاطفة إلى حين وأستأنف التفكير للمواقف التي تعزز وتثبت هذه العاطفة الجامحة او ربما تزيلها وتجعله يعيش الواقع الحقيقي ويترك سفاسف الاحلام واضغاثها .

كان يوماً ثقيلاً عليه رغم حلاوته برؤيا تلك الحبيبة ، لكنه لم يكن ليخفي ألماً وحسرةً ، هكذا هو الحُب ألم يصحبه ألم ولا يثبت له إلاّ من كان اهلاً لهذا الحب وهذا الألم ، هو لم يكن مطمأن إلى صحة اقوالها بالقدر الذي أراد أن يكون من فرط حبه لها أن يسمع لها النصائح ويطبقها وان كانت لا تنسجم ونفسه التواقة وروحه العذبة ، وضع لنفسه برنامجاً وليسيرنّ عليه ، فعزم ان يجد ويجتهد في ان يبلغ أرقى المراتب وينافس الطلبة الأوائل وربما تصدر أولئك الطلبة ، يستيقظ وقد دب الأمل في جسده ولم يكن متثاقلاً ، خرج من القسم الداخلي وسار بخطوات واثقة متوجهاً نحو الجامعة التي ستكون خير ملاذ ، ليحقق من خلاله طموحاته ، يدخل الجامعة ونصيحة ندى تشغل كل فكره وقرر ان يسمع لها في كل ما تقول ، لأن الحبيب لمن

احب مطيعُ ، يدخل القاعة ليجد ملاكاً بها مطرق الرأس وحالما دخل القاعة رفع الملاك رأسه ، ليعطي اعذب ابتسامة وارق كلمة يسعد بها أحمد طوال يومه

- صباح الخير أحمد

- بكل لطف وعذوبة ، صباح الانوار

- كيف حالك اليوم ؟

- الحمد لله على خير ، وأنتِ ؟

- نحمد الله على كل حال .

- يود أن يطيل هذا الكلام ، لكن الطلبة يرمقونهم بنظرات تحمل الود والعجب وربما الغيرة ، لأن أحمد وندى هما أول أثنين يندمجان معاً ويكون بينهما نوع من الكلام الرسمي الذي لا يكون اكثر من المجاملة والحديث العابر ، لكنه يضمر وراءه عاطفة وود ومشاعر رقراقة . يدخل الاستاذ ليلقي المحاضرة ، فلم يجد تجاوباً معه إلاّ أحمد وندى وفرح بهما وقال انتما السبب في بقاء المحاضرة مستمرة لهذا الوقت والذي هو ساعتان متواصلتان ، اسئلة ونقاشات وملاحظات وكأن الطلبة على رؤوسهم الطير ، احجم الجميع لأنهم لم يقرأوا اي كتاب خارجي ولا ادركوا شيئاً من مبادئ الهندسة ، سلطت الاضواء على هذه الثنائي والذي اسبغ عليهم نوعاً من الانجذاب نحو بعضهم البعض تحت ذريعة الدراسة والاجتهاد ،

النظرات لم تنقطع ، بل تبعها اضطراب في القلب وحنين ، وقضى أحمد الاسبوع الثاني مع ندى بأحلى ما يقضى الوقت ، لم يكن شيء اجمل عنده من رؤيا شخصها ماثلة بالقرب منه سواء رمقته بنظرتها البريئة أو انشغلت عنه بزميلاتها ، اقبل الاسبوع الثاني والذي سيشهد مناسبة دوماً ما يفعلها الطلاب في عامهم الاول وهو ما يعرف بحفلة التعارف التي يتعارف الطلبة على بعضهم البعض ، الانطباع الذي اخذه أحمد ، إن ندى لن ترفض أيّ دعوة للحُب ، لكنها لن تقبل المفاجأة والسرعة في اختيارها لأنها اوعزت إليه إنها لن تتزوج إلاّ من تطمأن له وتدرك مدى تقبلها له والاندماج معه ثم الارتباط .

في صباح يوم الاحد والذي اشرق على العاصمة بأرقى وابهى واجمل صباح ، يفيق من نومه ولديه موعد مع الحياة ، ليدخل في عمقها ويعيش طيبها وحلوها ويختبر مرها ويذوق ألمها ، لم يكن كأغلب الشبان ، في عدم تحملهم المسؤولية ولهوهم وعبثهم وصخبهم ، بل كانت المسؤولية ترافقه حيثما حلّ سواء بيقظته أو نومه ، حُلم واحلام عليها ان يدركها ويبلغ غايتها ، اجمل حُلم يود ان يدركه ويحققه هو النبوغ والشهرة كمهندس ترك مسحة واثر في البلد ، ولكنه يذكر عاطفته التي لم تكفّ عن مراودته فيقول ما اجمل الاحلام عندما تطعم وتصحبها العاطفة فبالتالي تكون احلام جميلة ولها وقعٌ في القلب وصدى في النفس ، خرج والهواء النقي يملأ رئتيه ووجهه مفعم بحب الحياة وما تحوي ، خرج في الساعة السادسة صباحاً ليمشي على طريق الجادرية راجلاً ، فيكون بتلك الساعة من

اعذب الاوقات وألطفها ، يسير وقد أقبل الإلهام إليه ويود ان يغني أغنية لهذا الصباح البغدادي الجميل ، حركة الناس بطيئة والهدوء يدب في اوصال وطرق العاصمة ، لا احد يعلم بماذا يفكر وماذا يشغل باله ، يصل إلى مطعم شعبي ليتناول الأكلة الشعبية الشائعة وهي الكُبة البغدادية التي يستطيبها كل البغداديون ، يدخل المطعم بملابسه الانيقة وروحه العذبة ما زالت هائمة هنا وهناك ، يسأله المضيف عما تشتهي نفسه

– صباح الخير

– يتفاجأة لهذا الصوت وخاله صوت تلك التي سلبت منه فكره ، ولكنه فوجئ بأنه المضيف ، صباح الورد

– ماذا تطلب ؟

– ما يحُبه البغداديون

– يبتسم المضيف ويظنه يمزح ، البغداديون يحبون كل شيء طيب

– أريد الكُبة

– تأمر

– تسلم عزيزي

عاد فكره إلى سياحته المعهودة والتي تجعله يحلقه بعيداً ولكنه خيال وما اقسى الخيال عندما لا يرجى تحقيقه !

يأكل طعامه ويشرب الشاي ، ليأخذ طريقه إلى المؤدي إلى الجامعة وقد أحب ان يذهب مشياً وخصوصاً كانت بغداد في هذا اليوم من اجمل ايامها ، فالصفاء يسود كل ارجائها والجمال يدب في اوصالها ، يدخل إلى الجامعة وقلبه معلق بمن يسكن لها الفؤاد ويستريح ، يقرر ان يبقى ولو للحظات في حديقة الجامعة ، ليشم من شذى عبير هذه الورود ويتنسم بهذا الجمال الفارع ، يقتطف وردة حمراء ذات رائحة طيبة ويمسكها بيده ويرمقها بنظرات ونظرات ويود لو اعطى هذه الوردة إلى وردة حياته وزهرة عمره ، يصل إلى بناية الكلية وقلبه يأخذ بالاضطراب وسرعة النبض ، يسلم على فلان ويبتسم لفلان ويمازح فلان ، يختلف عن اغلب الشبان في رزانة خُلقه ودماثة اخلاقه ، ورجولته الواضحة المعالم ، المرحلة الاولى مبتهجة وفرحة ، لأن اليوم ستكون احتفالية رائعة أعد لها إعداد راقٍ ، يذهب ذات اليمين وذات الشمال مفتشاً عن فاتنة بغداد واميرة النساء صاحبة الحسن والجمال ، لكنه لم يدرك لشخصها أثراً ، قرر ان ينتظرها عند مدخل الكلية ، لتجبر على السلام عليه ، ينتظرها ولا يبرح مكانه ويقف عند اي زاوية تقبل منها لكي يضمن رؤيتها ، ها هي اقبلت تتغنج بمشيتها وتبدو كأنها قمرٌ في عمر يومه الرابع عشر ، تسارع الخطى عندما رأته ولكنها خطوات متزنة ، مرتدية حجاباً اسوداً ومانتو رائع ذو لون أبيض مطعم بنقط سوداء وحذاء سبورت ابيض اللون ، يبتسم لها وترد له الابتسامة وتقبل إليه

– صباح الخير

- صباح الانوار

- كيفك مهندس أحمد ؟

- يبتسم ويرد ، اذا كانت المهندسة ندى بخير فحتماً انا بخير

- ندى بخير واليوم تشعر براحة معنوية وبالأخص اليوم حفلة تعارف لدى الطلبة .

- حقاً ، إنه يومٌ جميل من بدأ صباحه ويشي بخاتمة طيبة وجميلة

- نتمنى ذلك

- يا رب

تدخل ويود لو اوقفها لتخفف من حدة الشوق الذي يعتصر قلبه ويفتت من روحه لكن أبت غيرته ان يعترض طريقها ويجعلها تخجل من إلحاحه على التقرب إليها ، هنا تركها تبعد عنه ولكن روحه ادركتها ولصقت بها حيثما حلّت ، كانت اجواء الجامعة مضطربة ، فطلبة المرحلة الاولى لديهم حفلة وايّ حفلة هي الاولى في دخولهم الحياة الجامعية ، تتوجه الطلبة لقاعة الحفلة وستحتوي الحفلة على فعاليات مضحكة واخرى تعارفيه ، الجميع مبتهج بهذه الحفلة وبالأخص أولئك الذين لديهم عاطفة جامحة ويود احدهم ان تتاح له الفرصة ، ليعبر بها عن رأيه بمن ملكت في قلبه منزلاً ، جلس أحمد في المقدمة بالقرب من الاصدقاء وجلست ندى في المقاعد المتوسطة تحوطها اربعٌ من صديقاتها ، تبدأ الحفلة ويبدأوها العريف ، ليرحب

بالطلبة وثم تتلى بعده كلمة لعميد الكلية وبعدها بعض الفقرات الرسمية المعتادة ثم يترك الاساتذة الحفلة للطلاب ليقضوا وقتهم دون قيد ، اخذ الطلاب يعبثون ويمزحون ويسخرون وكانت فقرات من الحفلة لم يألفها أحمد ، فقد أحس بضيق من حضور هكذا حفلات يكون طابعها سخرية ومزاح مفرط وجرأة ، القروي لديه خلق وتربية تأبى عليه ان يجلس بمكان لا يهاب ولا يحترم فيه ، التفت إلى الخلف ليجد أميرة حُبه تنظر إليه ، فتعجب ورمقها بنظرات بريئة حلوة عذبة ، ونحت وجهها عنه ، لئلاّ يراهم أحد ما ،. بدأت فقرة الأسئلة والاجوبة الجريئة والتي لم يستسيغها أحمد ولم يحبذها ، هي مسخرة وليس حفلة تعارفيه ، هكذا كان ينظر لها ، ولولا وجود ندى بها لما بقي بها حتى لحظة واحدة ، شعر بالازدراء من بعض الفقرات التي لا تملك الذوق ولا الاحترام ، يظن الطلبة إنهم يتسلون ويمرحون ولا ذنب عليهم في هذا ولكن أحمد رأى المشهد غير ما ينظر له الطلبة ، كأنهم راقصات تتغنج وكأنهم ممثلي السينما ، الذين يوكل إليهم دور ساذج فكاهي ، أبت نفسه وشخصيته إن يبقى جالساً في هذه الحفلة ، لذا قرر إن ينهض ، ليخرج إلى الحديقة ، نهض ليترك الطلبة في عبثهم وصخبهم ونزل إلى الحديقة ولكن ندى تعجبت من خروجه ونظرت إليه متعجبة ، لكنها رددت ربما يكون لديه حاجة يقضيها ، لأنها بدأت تنجذب له وتميل إليه لم يطمأن قلبها لهذا العذر وظلت منشغلة به ، مضت ساعة كاملة وأحمد لم يقبل ومضت نصف ساعة اخرى وما زال أحمد غير حاضر ، ندى بدأت تملّ من الجلوس في الحفلة التي استمرت إلى الآن ثلاث ساعات ، اخبرت صديقتها بأنها

تود الخروج وملت من الجلوس ثم إن الحفلة شارفت علـى الانتهـاء ولـم يعد هناك شيء مهم يدعو للبقاء اطـول ، لأول مـرة لـم تناقشـها صديقتها كثيراً ، بل نهضت معها ، ونهضت اخرى واخرى ، نـزلنّ إلى النادي والذي هو المكان المفضل لدى معظم الطلبة ، لكن نـدى مالت بهن إلى الحديقة دون ان تشعر إحـداهن ، بـل كـن منشـغلات بالحديث عن فقرات الحفلة وما تضمنت ، رأت طيفه جالساً وحيداً هناك على مصطبة ورأسه إلى الارض ، قررت ان تجلس بالقرب منـه على مرأى منها ، دنت إليه ومازالت صديقاتها لـم يشـعرن لمَ اقبلـت ندى بهن إلى هذا المكان ! رمقها ورمقتـه وبـدت النظـرات تتسـابق فحيته احدى صديقاتها :

– مرحبا أحمد

– مرحبا بكِ نور

– لم أنت هنا ؟ ألم تحضر الحفلة ؟

– حضرتها والآن خرجت منها للتو

– كانت غاية في الروعة حقاً ، فلقد استمتعنا بها كثيراً

– فعلاً كانت حفلة جميلة ، وندى واقفة متبرمة حتى اخذتها الغـيرة لمَ تكلمه نور ولم تكلمه هي !

جلسن بالقرب منهن وحديثهن الحفلة وما احتوت ومـاذا فعـل هـذا وماذا قال ذاك وماذا و مـاذا ، وهـنّ يضـحكن ويسـخرن مـن بعـض

الفقرات ، ندى بالها عند أحمد ، فقلبهـا يميـل نحـوه وتـراه جالسـاً وحيداً ألم يحب حضور حفلة كهذه ؟ أم لم يألف هكذا حفلات ؟ أم يحمل شخصية معقدة لا تحبذ المرح والضحك ؟ سؤال وأخر تردده بين نفسها وتود ان تقترب منه لتسأله عن حالته وما هو سر خروجه من الحفلة ولم يمضِ وقت على بدأها ، نهضت ساره واخذت معها نور وبقيت فاطمة مع ندى ، ندى ترمق أحمد ، ليقبل إلـيهم يجلـس معهن ، ولكن خطواته خجولة كسلى لا يقـدر ان يقـترب مـن نـدى فيصيبه الشحوب ويغمره الهيام بها ، تقبل إليه فاطمة ومعهـا نـدى ، جلست ندى مقابله وبينهما فاطمة صديقتها ، تسأله ندى

– أحمد لمَ خرجت من الحفلة ؟

– بصراحة لم انسجم معها ولم تعجبني بعض فقراتها والـتي تلامـس الرجولة وتقل من الحياء

– وهل انت بنت لكي تخجل ، اجابتها فاطمة هكذا !

– وهل الحياء للبنات فقط ؟

– هكذا هو السائد

– ليس هذا هو الصحيح

– إذن ؟

– للرجل حياءً واحترام يجب ان لا يهان ، نفسي لم تتقبل ان اسمع أسئلة بمثل ما سمعتم وإن العفة للرجل والمرأة

– جميل ان نرى في هذا العالم شخصٌ يملك رجولة ويصحبها حياء

– ان حياء الرجل ليس كحياء المرأة فشتان بين الاثنين

– افهمك ، بالفعل كانت بعض الفقرات لم تستسغها نفوسنا ، ولكن هذه هي الحفلات وهذا الروتين الرسمي الذي يسودها

– نعم ، ولكن جميل ان نكون نحن الثلاثي معارض لمظاهر السخف والسخرية المفرطة ،

– تبتسم ندى وتضحك فاطمة ، اذن لنشكل حلقة لنستقطب غيرنا وإلاّ فلن نقوى على التأثير على باقي الزملاء

– إذا كنا نملك الوعي الثقافي والمصداقية في النصيحة ستكون لكلماتنا صدىً ومقبولية عند الطلبة جميعاً

– لا اعتقد يا أحمد ، الطلبة مازالوا لم يخرجوا من مرحلة المراهقة والتي هي بين السذاجة والنضج ، يحتاجون الى ثقافة ومعرفة بأن بعض الفقرات من الحفلة يجب ان تلغى ويستبدل بعضها بما يلائم المرحلة العمرية والسعة الثقافية

– صحيح واتفق مع هذا الرأي ، لنسعى بمشروعنا الثقافي هذا . وقضى أحمد بعض الوقت معهنّ مبتهجينّ بهذا المرح اللطيف وهذا

المزاح العذب ، النظرات لها لغة لا يفهمها كل الناس ، ترمقه بنظرة ويردها بأخرى ولم تشي تلك العلامات لديهما واكتفى كل منهما بالتجاهل ، ندى لا تقبل اي علاقة تكون خاطفة فهي لم تبل من اخلاقه ولا من طبيعته شيء ولا تعرف منه سوى إنه فتىً من الفتيان يربطها به الكلية ولم يمضي وقتٌ على تعارفهما فهي تحتاج إلى ان تخلي بين قلبها وعقلها ، لكنها لم تكن تمل من الحديث معه ، بل إنها كانت تساعده على تلك اللقاءات ليروي كلٍ منهما الظمأ الذي يضمره لصاحبه ، لحظات لم تكن من الدنيا ولن تكون من الآخرة حتى فهي لحظات عذبة بريئة حنونة ، الحُب يسير بالعشاق لدروب ومتاهات معقدة ثم يتركهم يخوضون تلك العقد لوحدهم ، الفتى لديه رغبة في الافصاح عن مكنون عواطفه لها والفتاة لها ميل وانجذاب نحوه ولا احد يجرؤ على التصريح ، يعود إلى بناية القسم ، ولكنه يعود وقد احس بأنه له منزلة عندها وإنها تميل إلى وده ، ولكنها بنت وعليها ان لا تطمئن بسرعة ، يعود وليس كما يعود اغلب الطلاب يرتمون إلى النوم ويتركون واجباتهم ، غير ملابسه وصلى صلاتي الظهر والعصر وعندها عمل له طعام واكل ، ثم اخذ يقلب بمحاضراته ساعة او بعضها حتى غلبه الكرى ، فنام لساعة أو نحوها ، هنا تتزاحم الاحلام وطيف الحبيبة ما انفك يراوده ويلح عليه ، تقبل إليه بطيفها صريحة ولكنها بالواقع خجلة لا تقوى على الوقوف امامه ، – أحمد

– نعم

- اشتاق إليك كثيراً

- حقاً يا ندى

- اي والله حتى اني لم اعد اتحمل هذا الشوق الملح وهـذه العاطفـة البريئة

- وانا لست مشتاق ، بل الشوق انا

- تطرق خجلة ، ما اعذب كلماتك وما الطفها وما أرقها وما اجمل وقع صداها في قلبي

- هو الحب وهو الفؤاد الذي يقول وما انـا إلاّ معـبر عمـا يخـتلج في حنايا الصدر من مشاعر

- ما اطيب قلبك ايها الفتى القروي

- نحن عندما نعشق نذوب بشخص الحبيب

- يا له مـن ذوبـان ، وانـا ادرك بـأن الحـب عنـدكم مطعـم بـالغيرة والحرص والرجولة

- ولكني لا املك تلك الشجاعة ، لأقف امامك واعرب عما اعـاني وما اكابد

- مما تعاني ؟

- ألم ممض يؤرقني مصبحاً وممسياً ولم اعد اهنأ بعيش ولا ألذ بحياة

- ولمَ كل هذا الحُب وانت لما تملكني بعد

- احببتك دون قيد ودون معرفة التفاصيل التي توضع وانا ابقى احبك حتى وان كان الطريق إليك مملوء بالأشواك

- ولم الاشواك ؟

- لأنها تجرح ان دخلت في الجلد وتجـرح اكثـر ان خرجـت وهـذا حبك تماماً

- وكيف جرحك حبي وانت لم تدخل به بعد ؟

- بل دخلت إلى اعمق اعماقه ووصلت الى الذروة منه

- ياله من وصف يقع في النفس موقع الرضا والقبول

- ندى انا هائمٌ بكِ ولأجد الحياةَ لذةً ومتاعاً ، لأنك بها يا زهرتي

- زهرة !

- واجمل واشهى واطيب زهرة عرفتهـا الطبيعـة الخلابـة والحديقـة الغناء

- يا الله ! كم أنا مغتبطة بك وبسحر كلماتك المعسولة يا ايها الفتى الذي ملك بمجامع قلبي

- كم انتِ ساحرة ايتها الزهرة الطيبة !

- وكم انت طيب وغيور ونبيل ايها القروي

- القروي ذابت نفسه بعشق احدى بنات المدينة وهل سيجد مكاناً له في قلبها ؟

- سيجد قلبها وطناً يسعه لوحده ويكون اميراً به

- يطير فرحاً ويرقص مرحاً وتكاد روحه تحلق في اعلى السماء وهي في غاية من السرور والغبطة والحبور

- يا اميراً تغار منه كل الرجال ، ويا رجلاً تشتهيه كل النساء

- ولكنه لا يشتهي إلاّ إياكِ يا أجمل النساء

- يا عظيم حظي برجلٍ كشخصك

- يا لعظيم حظي بامرأة كأنتِ

- هل هذا يعدُ غزلاً ؟

- بل يعدُ أعذب الغزل

- دعنا لنعيش الغزل ودعنا لنمارس الشوق ، لكي نخفف على النفس مما يحترق فيها

- النفس أصبحت بركاناً ملتهباً من الشوق وربما تحرق كل ما يوضع فيها

- لهفي عليك يا أيها الفتى العاشق ! فكم احترقت نفسك

- وما زالت

- يا لطيبها ويا لعطفها وبرها واعذبها ، إنها ملكت مني الروح والقلب والكيان كله

- لولا براءة وطيبة نفسك لما رأيتِ جمال نفسي ، ولربما نحن كما قالها الاديب : ومن نفسه بغير جمالٍ لا يرى في الوجود شيئاً جميلا

يعيش في ضيق وضنك والمصروف الذي يأتي به من اهله بالكاد يكفيه ، لكنه لم يكن مبذراً ولا مسرفاً ، الدوام كان اجمل وقت يقضيه من يومه ، قضى الشهر الاول من المرحلة الاولى وهو يعيش وهم الحب وحب الوهم ، لكنه أراد ان يتخلص من هذا الوهم الذي يصاحبه دوماً ويتحرر من الضعف الذي اعتراه في تركيزه واجتهاده ، اتصلت ايامه مع بعضها البعض واضحت جميلة بكل ما فيها سواء بضنك العيش او بسعته ، اللذة والألم يجتمعان معاً في أحمد ولكن قلبه القوي ونفسه الطموحة جعلته يتحمل اعباء هذه الحياة ، يراها فيبتسم لها ويرتجف قلبه لها ، لكنه لم يعد ذلك الفتى الهزيل الضعيف الذي كان في بدايات ولوجه الجامعة ورؤيته لشخص ندى ، المرحلة الأولى كانت جميلة له ولغيره وشعر الجميع بها بكل فرح وبكل سرور ومتعة وحبور ، السفرات الجامعية كانت قمة باللذة والمتعة والبهجة لدى عموم الطلبة ، فلقد عرفته بمختلف الطلبة وبالأخص اخلاقهم وتربيتهم ومدى درجة وعيهم ورشدهم الثقافي والمعرفي ، الحياة

الجامعية كانت مصدراً خصباً له في ان ينمي قدراته ومواهبه ومعلوماته ، فكانت مكتبة الجامعة هي الإنس له والرفيق الذي لا يمل منه ، يعكف بها كلما حان له وقت شاغل ، ولم يمر يوم عليه لم يستعر به كتاباً من مكتبتها ، قليلون هم أولئك الذي يجدون في الحياة الجامعية ويندر الابداع فيها حتى يعد بأصابع اليد الواحدة ، يقرأ ويقرأ دون ان يشعر بملل من القراءة ، بل كلما قرأ وتعمق اكثر زاد نهمه للمعرفة والعلم ، كان يسبق محاضراته بأكثر من محاضره ، لأن المراجع التي يقرأها سهلت له المحاضرات وجعلته هو اللسان الناطق في القاعة ، بدأت تتكون لديه مجموعة من الاسئلة والاستفسارات عن اختصاصه وسبل النهوض به ، وهذا جعله يدرس حتى المواد التي هي عصب المشاريع الاعمارية ، وهكذا هي حياته حتى ادركته الامتحانات النهائية ، ندى كانت تعني له الحياة التي يستلذ بها ويطيب لها ، قرب موعد الامتحانات وسيغيب طيف ندى طوال فترة العطلة الصيفية ، فكيف السبيل إلى الصبر على تحمل هذا الفراق الذي لا يود ان يأتيه لا اليوم ولا غداً ، النظرات فيما بينهم لم تنقطع والاشارات كانت مستمرة وللعيون لغة يعرفها اهل الحب ولكن اللسان يكون صامتاً في الاغلب ، ليترك للعيون والقلب الصوت واللغة ، اقبلت الامتحانات النهائية والطلبة مشغولون بها وبأدائها ، يدخل بعض الطلبة ولديهم سعيٌ من الدرجات يجعلهم يطمأنون لنجاحهم ويدخل آخرون وسعيهم قليل لا يكاد ينجحون من الدور الاول ، أحمد سيدخل الامتحانات ولديه من السعي ما يجعله يحتاج إلى بعض الدرجات البسيطة ويجتاز المرحلة بكل وثوق وجدارة ، لكنه أراد ان

يكون في المقدمة وها هو في مقدمتهم جميعاً ، اقبلت إليه ندى لتسأله عن درجاته :

– مرحبا أحمد

– مرحباً ندى

– كيف اخبارك ؟

– بكل سرور وعلى كل خير

– اتمنى ذلك دوماً من نصيبك

– الف شكر لأمنيتكِ الطيبة هذه

– كيف كانت درجاتك ؟

– الحمد لله حصلت على ما استحقه ومن الله التوفيق

– الف مبارك وان كنت اتمنى لك درجاتٍ اعلى واعلى ، فأنت كنت متفوقاً ومجداً ومثابراً

– سأجدُ أكثر في الامتحان النهائي ، لأحافظ على هذا السعي

– احسنت ، فيجب ان تحافظ على هذا المعدل وإلاّ سأزعل عليك !

– ولمَ !

– خجلـت واطرقـت حيـاءً مـن قولهـا هـذا ، لكنـه درات خجلـها ووجدت مخرجاً ، انك كنت من الطلاب المجتهدين والنابغين وهذا يحتم عليك الاستمرار على هذا المستوى وافضل منه

– ان شاء الله

– وانا لديّ بعض الاخفاقات واخذت تقص عليه انها كانت مقصـرة في هذه المادة ومظلومة في تلك وبخس حقها كما تتوهم في اخرى

– لا عليك ، فأنتِ قريبة من درجاتي وانا وانتِ بذات المستوى وان كنت اقول انكِ افضل نوعاً ما

– لا ، لست بأفضل ، بل انت افضل مني بكـثير وانـا سـأكون بمثـل حرصك واجتهادك وعندها سأكون عند حسن ظنك بي

– ظني بكِ خير في كل الاحوال

– تسلم يا أحمد

– يود ان يدخل إلى قلبها ليجد ما سبب اقبالها عليه ، هل هو الشوق ؟ الحب ؟ الصداقة ، الاعجـاب ، ام لا شـيء ؟ وهنـا الطامـة ، اراد ان يسألها عن شؤون حياتها ، لكي يغير الموضوع وشيئاً فشيئاً يلـج إلى العاطفة ، ليلامسها مساً عسى يعرف مـاذا تضـمر لـه في هـذا القلـب الحنون ، ينظر أليك بصمت ، لكن عيونه تكاد تملأها خجلاً ، لأنها كانت تملك من الرقة والنظرة البريئة ما جعلها تلجأ إلى الصمت أيضاً

– يا ترى ماذا اصاب الفتى ، ليحدق بي كل هذا التحديق ، هكذا تردد في داخلها ، لكنها اكتفت بالصمت الذي يكون هو المعبر الافضل في بعض الاحيان

– ندى

– ترمقه بود ، نعم

– يصمت ويصمت ويغرق في صمتٍ عميق

– اصابتها عدوى الصمت بالأضافة إلى الحياء الذي ملأ وجهها

– هو الرجل وعليه ان يستغل أيّ لقاء ، ليعبر عما يضمر لها من عاطفة وشعور ، قرر ان يغازلها بغزله البريء ولكن هل ستعرف إنه غزلٌ عُذري لا يحوي أية لؤم أو دناءه

– لمَ انت صامت يا أحمد ؟

– ومن ذا الذي يقوى ان يملك الكلام بحضرة أميرة النساء

– اصابها بالصميم وجعلها تعرق ويحمر وجهها ويذبل ويسوده شحوب وكأنها مصابه بفقر الدم الحاد ، لم ترد ولم تعلق ، لكنها اكتفت بأن اطرقت ثم ابتسمت له ، الخوف من خسرانها هو الهاجس الاكثر الذي يراود أحمد ، لأنه لا يريد لهما فراقاً ، ولذى كان عليه ان يملأ قلبها شعوراً به ، لم يستمر الحديث بينهما اكثر من لحظات حتى انصرف كلٌ منهما إلى شأنه،

تقبل الامتحانات النهائية مسرعة وكأن الايام تركض ، هل سيفاتحها بما يخفي لها من حب ام سينتظر عاطفتها نحوه ، هي مازالت مصرة على إنّ ما بينهما الآن لا يعدو ان يكـون صـداقة جمعتهمـا الجامعـة وصدفة يوم التسجيل ، وهو يشـعر نحوهـا بعاطفـة جامحـة وشـعور جامح ، لكنه متردد بين الاحجام والتصريح ، آثر ان ينتظر حتى تبـدأ بالأقبال عليه والخوض معه في علاقة اعمق واعمق ، يذهب إلى الدوام صباحاً وقلبه مفعم بالأمل والطاقة الواعدة التي أضفت عليه طابعاً من التجلد والقوة والبأس ، بدأت الامتحانات النهائية والجميع منشـغل بها ويود الجميع ان يحصلوا على النجاح ومن الـدور الاول ، أحمـد كان من اكثر الطلبة قلقاً واضطراباً ، لأنه يجب ان يكون من الأوائـل فعليه يتحتم الجهد والتعب ، لكي يبلغ هذه الغاية ، يوم الاحد سيكون الامتحان الاول الذي سيكون مثيراً له وربما محزناً ، لأنه سيبدأ العد التنازلي للأيام التي يرى بها الحبيبة ، قرر أحمد إلاّ ينـزل إلى اهلـه في فترة الامتحانات ، لكي ينتفع من الوقت الـذي يقضـيه ذهابـاً وإيابـاً والفرصة هنا افضل للقراءة والجو مريح والاجواء تشجع على القراءة ، اغلب طلاب القسم الداخلي يكونون مضطربي الاوضاع وغير متقنين للوقت وللمستقبل ، تراهم يعبثون ويمرحـون ويلعبـون ويجـدون في اللعب حتى إذا اقبلت الامتحانات ، بادر الجميع إلى تصحيح المسار والجد والاجتهاد ،لأن الفشل يكلفهم ضريبة شديدة وهي البعد عـن اهلهم ونأيهم عن مكان إقامتهم ، فيتحتم عليهم النجاح وإلاّ شـعروا بالخزي وتأنيب الضمير ، بدأت الامتحانات وأحمد يكـاد يحسـب الوقت الذي يمر لأنه سيفارق ندى لمدة العطلة الصيفية وسيحرم من

وجهها مدة من الزمن ولم يعد يتحمل لهذا الفراق المحتوم والمفروض عليه ، دخل الامتحان وقلبه مطمأن ، لأنه درس المادة بإتقان وكان لديه سعيٌ من الدرجات ممتاز ، وحينما سلّم ورقة الامتحان لم يشعر بصعوبة ولا شيء من قبيل ذلك بل اجاب عنها وكله ثقه ، يخرج كما يخرج أولئك الذين هم مطمأنين لأجوبتهم ، رأى ندى وكأنها منتظره شخصه ، لتسأله عن الامتحان ،

- أحمد

- اقبل إليها مبتسماً ، مرحبا ندى

- مراحب أحمد

- كيف كان الامتحان ؟

- جيد ، لكن لديّ بعض الاخفاقات التي اقع بها دوماً

- وما هي ؟

- الفرع الثاني في السؤال الثالث والفرع الأول في السؤال السادس

- واي سؤال تركتي من هذه الورقة التي تحوي ستة أسئلة ؟

- الأول

- لمَ ، كان سهلاً وحلّه كذا وكذا واخذ يعطيها الحل وكان الجواب اشتقاقي ، فتعجبت من حفظه للجواب الرياضي بهذه الصورة العجيبة

- لم اكن احب الاشتقاق ، ولم اراجع موضوع الاشتقاق ابداً

- لو كنت ادري لشرحت لكِ الموضوع بصورة سهلة وسلسة

- كنت اتمنى ذلك لكن كنت خجلة منك

- ماذا !

- نعم

- ولمَ الخجل يا ندى ! أيعقل ان يخجل بعضنا من بعض ! وبالأخص حول الدراسة

- انا خجلة في كل شيء وليس فقط الدراسة ، ولا اريد ان اكون ثقيلة الظل عليك

- ازعل عليكِ ان اعدتِ هذا القول ثانياً

- لا ، أرجوك ، انا آسفة ولن اغضبك مني

- احسنتِ

- لا يهون عليّ ان تزعل مني يا أحمد

- حقاً ندى

- تطرق وتتصبب عرقاً ، نعم

- ولمَ ؟

- حصرها في زاوية واحدة ولا تستطيع الافلات من بين عاطفته وولعه بها ، لكنها اوجدت طريقاً للخروج من بين هذه الزاوية الضيقة ، لأنك كنت نعم الصديق لي

- ماذا ؟ يتعجب من ردودها التي لم يحبذ قساوتها

- تصمت ، انا اتعبتك معي كثيراً ، في كل مرة اطلب منك ان تشرح لي وتفهمني ما عسر عليّ فهمه

- هذا فقط ؟

- يعيدها إلى الزاوية الضيقة ، ولأنك شخص طيب وعزيز وخلوق وابن أصل

- هل هذا كل شيء ؟

- صمت بعد صمت ثم ابتسامة يتبعها ضحكة ثم تقول : نعم

- شكراً لكِ على هذه الكلمة التي اعتز بها وسأبقى افتخر بها

- لا داعي لهذه المجاملة يا أحمد

- ولا توجد مجاملة قط ، بل هي حقيقة احببت ان افصح لكِ عنها

- شكراً

- ندى عندي طلب ؟

– تفضل

– أن نزيل الكلفة فيما بيننا

– تمام ، كما تريد

– فرح بهذا الرد ، انتِ اقرب صديقة عندي واعز طالبة في كل الجامعة عندي

– تخجل ويملأها الحياء ، قررت ان تتركه ، لأنها تكاد تذوب في عاطفته الجامحة

– أحمد حاول ان يطيل معها الكلام وبالأخص عندما كانت صديقاتها في القاعة الامتحانية فالأجواء كلها معه ، لكنه الأبي الاصيل أبى ان يجعلها عرضة لأي كلمة وان كانت شيئاً مألوفاً في الجامعة ، لكنه لم يرغب في ان تتعرض لكلمة عابرة ، اين ساره ، فاطمة ، حاول ان يسألها عن صديقاتها لكي لا تبقى لديها حجة او عذر لانصرافها عنه ، اجابت هي إنهنّ ما زلن في القاعة الامتحانية

– ندى هل ترغبين في ان نأكل معاً وانا احب ان نتناول طعام النجاح معاً

– وجدت طلبه هيناً ، لكنها لا تطيق ان تمشي معه دون ان يعتريها الارتباك ويصيبها الشحوب حتى جف ريقها ، قالت بعد تردد ، نعم

– تعالِ إذن

- هلمّ

وسارا معاً جنباً إلى جنب حتى دخلا النادي الطلابي فأجلسها وقال لها : ماذا تحبين أن نأكل ؟ فردت ما يشتهيه هو ستأكله طبعاً ، قال لها إنهما متشابهين في الاذواق إذن

- اجد اكثر من يفهمني أمي ولكن يبدو إن هنالك أحدٌ غيرها ، هكذا قالت في داخل نفسها ، طلب الطعام وكان من اشهى وألذ طعام أكله في كل سنين عمره على الاطلاق ، لم ينقطع الحديث عندهم ، بل اتصل وانتصل حتى ذهبا إلى ابعد ما يتوقع أحمد ، فأخذت تقص عليه بعضاً من شؤونها وعن عائلتها وهو مصغٍ جيد لها ، كانت حلوة في كلامها المعسول الذي جعله يتيه في لجة بحر العاطفة ، اخذت تقص عليه نبأها وهو معجب بها أيما اعجاب ، هناك اقبلت ساره وكأنها تبحث عنها ، فأقبلت إليهم مسرعة ، لتجلس معهم على ذات الطاولة ، كانت ساره مثرثرة كثيراً وتَسرف في الحديث إيماً اسراف وأحمد لا يروق له هذا ، بقي جالساً على مضض ويود لو خرج بندى إلى الحديقة ليتجنب حضور ساره ، لكنها اقبلت ونغصت عليهم جلستهم التي روت العطش الذي يحمله أحدهم للأخر ، كانت تحدثهم عن اجوبتها وانها اخفقت كثيراً ولعلّها تفشل في هذا الامتحان الذي اوعزت فشلها فيه إلى صعوبة الامتحان ، لكنها أعذار الفاشلين لا تنفك !

أقبلَ الامتحان الثاني ولقاءاتهم اخذت تزداد بذريعة الامتحان والاجوبة ، لكنه يخفي وراءهَ حباً بين الضلوع ، تقبل وكانت في قمة الجمال بنظره ، ولم تكن ترتدي إلاّ جبة سوداء وحجاباً اخضراً فاتحاً وحذاء فلات عادية ، لكنها بدت وكأنها القمر او الشمس في لحظة إشراقها الاولى ، تبتسم له عن بعد فسلبت روحه وكادَ أن يخرج القلب من صدره ، ليرتمي على قلبها

– صباح الخير أحمد

– ما أعذب حروف اسمه ، عندما ترددها ، فهي لم تذكر الصباح إلاّ وتبعته بأسمه ولهذه الكلمة مغزى واي مغزى في داخله ، صباح الورد ندى

– بكل رقة وعذوبة وغنج ، اليوم متعبة جداً ولم أنم إلاّ ساعة أو بعضها

– لمَ هذا الاجهاد ، فأنا أخشى عليك من هذا التعب والسهر

– لكنه الامتحان الاصعب عندي اليوم ، فإن تجاوزته على خير ، فسأكون مطمئنة لكل ما يأتي

– انتِ ممتازة وهي الدرجة التي ستحصلين عليها وانا واثق

– أحقاً يا أحمد كم اتمنى ان اسمع هكذا كلمات ترد الثقة في نفسي

– بنبرة حادة لكنها كاذبة ، وهل فقدتي الثقة يا ندى ؟

– بانفعال بريئة ، لا لم افقد ، لكن انا قلقة من هذا اليوم

– لا عليك ، فسيكون هو الاسهل عندك وأعدك بهذا

– الله على هذه الكلمات ، اتمنى أن انتهي منه وبكل جدارة ، فإنا لم أحب المادة ولا الاستاذ حتى

– يبتسم لها ، ولمَ !

– كانَ جافاً اكثر من المادة ولم يكن أي شيء يحبب إليّ حضور محاضراته إلاّ سجل الغيابات

– لا اتفق معك في هذا ، عليك ان تنظري إلى نفسكِ ومستقبلك ، فهو لا يهمه نجاحكِ وفشلك بقدر ما يهمكِ انتِ

– فعلاً ، لكنَ جرت الامور بمثل ما جرت ، سأدخل وانا قلقة مضطربة لا أطمأنّ حتى اخرج من القاعة سواء ظفرت بالنجاح أو الفشل

– لا تقولي فشل قط ، النجاح وحده الذي يليق بكِ

– أصارحك يا أحمد ؟

– بماذا ؟

– انك بعثت القوة والعزيمة والامل في نفسي ، فأشكركَ من صميم روحي

- لا داعي للشكر اصلاً تعالِ ،لندخل إلى القاعة قبل ان يدركنا الوقت وتغلق القاعة

- تمام إذن

بدأت الايام التي يرى ندى بها وستقبل العطلة الصيفية التي يفارق بها المحب حبيبه ، الامتحانات كانت هي المتنفس التي يتنفس بها أحمد وندى ، كانت هي الايام الـتي ازداد حـديثهم مـع بعضـهم الـبعض ، تحت ذريعة الامتحانات والاجوبة وجد أحمد الفرصة المناسبة ، لكي يأخذ بألوان الحديث معها ، مرت ايـام الامتحانـات مسـرعة ولفـت وراءها لقاءات الاحبة ، هو اليوم الاخير وما اجفاه واثقله على قلبه ، كان يخرج من الامتحان مبتسـماً بشوشـاً ، لكنـه الآن يبـدو غاضـباً مزمجراً ، مزاجهُ مضطرب ، تبدو عليه ملامح الغضب واضحة ، وجد اميرة النساء واقفة كعادتها منتظرة إياه لتسأله حتى تطمأنّ إليه :

- مرحبا أحمد

- مراحب

- مظهره يدل على آيات من الغضب والانفعال ربما ، ما بك أحمـد اراك تبدو على غير عادتك

- لا شيء مهم

- وكيف وحالتك هذه

- لا يمهم ، لا تشغلي بالكِ في حالتي

- وكيف لا اشغل بالي فيك ، لمن اشغله إذن !

- كلمة اشعلت فتيل الحب في داخله ، وفجأة تراه وكأنه ينهض من علة ويتحرر من قيد ، لقد راقت له هذه الكلمة ونفذت إلى قلبه ليحللها وليعيدها مرة ومرة ومرات على مسامعه ، أحقاً هي قلقة عليّ لهذا الحد ، ما اسعدني بها إذن ، ندى وهل لهذا الحد انا مهم عندكِ ؟

- وربما اكثر من هذا الحد ، فأنتَ مختلف عن كل الطلاب الذين اعرفهم وإنك تتمتع بطيبة واخلاق ونبل قلما نجدها في شبان هذا الزمان

- يا لطيبك يا ندى ، فلديك كلامٌ معسول يسيل عذوبة ورقة

- تخجل فيحمر وجهها كلما حاول أن يتغزل بها ، شكراً

- ولم الشكر ! انا قلت الحقيقة ولم اجامل ولم امدح ،بل اعطيت الوصف الذي يليق بكلامك

- تبتسم دون ان تعلق على شيء ، ألم تخبرني عنك اليوم ؟

- الحمد لله كان الامتحان سهلاً بالنسبة لي ، اجتزته وبكل ثقة ان شاء الله

- ان شاء الله ، لكن عليك أن تطمح في المعدل الذي يؤهلك ، لتكون من أولئك الأوائل في القسم

– يا رب كم اتوق إلى هذا ، وبعون الله انتِ معي

– أنا أتمنى لكني فوجئت ببعض الاخفاقات التي ربمـا تقـف حجـر عثرة عن اللحاق بك

– لا عليك سيكون التصحيح منصفاً ويتجاوز اخفاقاتك ويكتب لك النجاح العالي

– أحمد

– نعم

– انا جائعة وأود أن آكل هل تحب أن تقبل معي ؟

– وكيف لا ألبي دعوة لك !

– تبتسم تعال إذن .

– تفضلي .

– لكن عندي شرط .

– ما هو ؟

– أنا دفع الحساب هذا اليوم

– يفرح لهذه الدعوة وبرفع الكلفة فيما بينهما ، انا موافق

ذهب معها وله فرحة تسع الدنيا وما فيها ، ندى تـتكلم وهـو يصـغي لهذا الوجه الملائكي ويدعها تتكلم وتتكلم إلى ان خـرج مـن صـمته ليقول لها :

- ندى

- نعم

- ما اعذب كلامك وما اشهى حديثكِ وما ألذّ تعابيركِ !

- تطرق حياء كعادتها وتبتسم ، لترد بكلمة لم يحبذها ، شكراً لـك أحمد

- انا لم اقصد مدحكِ وانما نطقت بالصواب الـذي اشـعره نحـوكِ ، فأنتِ افضل واحلى من كل ما وصفت

- كفى أحمد ، انت تزيد الخجل في داخلي وانا لا اقاوم كلماتك .

- وهل يروي الظمآن قطرة من الندى ؟

- وماذا يريد إذن !

- يريد مـا تـوده نفسـه وتطيـب لـه ، فـالنفس تعشـق مـن تـأنس لـه وتستطيب له ، ولعل نفسي تتقوق لمن أحبت وألفت

- هل تكتب الخواطر والروايات يا أحمد ؟

- رواياتي لا تسعها اوراق الارض كلها ولا جميع الاقلام

- أواه ولمَ هذه المبالغة المفرطة التي لا تعدو ان تكون إلاّ سيل من المشاعر المختلجة في ثنايا الصدر

- العاشق العذري عندما يكتب ويروي قصة حبه ، فلن يرويها إلاّ وهي محاطة بهالة من القداسة والتعظيم

- جميلة هي روحك ،وهنياً لك على تلك الروح الاصيلة

- ولكنها ليس بأجمل من روحك

- كعادته يضرب على الوتر الحساس ، انظر انظر اقبل الثنائي المرح ، يلتفت فيرى ساره وفاطمة مقبلات عليهم لينغصا عليه هذه الجلسة الجميلة ، فيبدأن بالسلام ثم الثرثرة والثرثرة المتصلة حتى يمل من حديثهنّ ويود لو نهض ، لكنّ قلبه لم يطاوعه بوجود ندى امامه ، استمر جالساً معهن يجاملهنّ بالكلام ، ولكنه لم يرغب بقدومهنّ إليه ، بقي جالساً ، لكنه أحسّ بثقل نفسه ، فقرر ان يترك المجلس لهنّ ليفرغن للأحاديث النسائية ، استأذنّ منهنّ ، لكنه فوجئ بنظرة كلها براءة ورقة ، فأبتسم لهذه النظرات وذهب ولا ارض تحمله ولا سماء تظله ، الفرح لم يعد ، يسعه فهو كالطائر الحر ، يعود إلى القسم وقلبه يتوق إلى الجامعة ويود إلاّ يبرح منها ، الطلاب في القسم ثرثارون ويمزحون وضوضاء ومن لم يألف هذه الحياة ، فلا يستطيع الاستمرار معهم لكن أحمد تجرع ضجيجهم وعبثهم المفرط على مضض ، يقرأ إمتحانه الاخير ، الذي سيلحق بعطلة صيفية يغيب بها عن العاصمة التي الهمته حب الحياة ، وسيغيب شخص الحبيبة عن رسمه ولعلّ

هذا هو الادهى والأمر ، يقرأ وعينه تكاد تقطر دموع نزلت على خديه ، فلم يطلب هذا الفراق ولم يتحمل مرارته ولكن تلك هي الظروف ولا تبديل لأحكامها ، يتم قراءته ويذهب إلى النوم دون ان يتناول اي طعام آملاً في ان يكون غداً كسابقه مع الحبيبة والبعد بينهما مسافة سنتيمات قليلة ، غاصَ في نومه الهادئ البريء المتزن دون عبث كالشخير والتقلب ذات اليمن وذات الشمال ، يفيق وقد سمع صوت المنبه وهو يدق منبهاً إياه إلى وقت صلاة الصبح ، فينهض بكل عنفوان وكأنها لم ينم ، يتوضأ ثم يصلي ويبدأ مراجعته في هذا الوقت الذي هو أطيب الاوقات عنده ، الاصوات هادئة والطلاب نيام ، سرعان ما اتم المراجعة ، فقرر أن يخرج والساعة تشير إلى السادسة صباحاً ، ارتدى ثيابه وتعطر وكان في غاية الاناقة الرجولية ، يسير ومعه بعض ملازمه ، ليراجع بها لكنهُ أراد ان يستنشق هواء العاصمة الذي يسر قلبه ويملأ نفسه بهجة ، لهواء العاصمة نكهة لا يعرفها إلاّ ابنائها ، فكيف بهذا القروي القادم من الجنوب ! يعشق هذا الجو ويتغنى بما قرأهُ الجواهري والرصافي والسياب ويردد القصيدة لهذا وذاك ، ولكنهُ يلحن بها تلحيناً يكاد يملأ النفس ويعصرها ، العاصمة في هذا الوقت مازالت هادئة ، ولكنها تبدو في كلا الحالتين جميلة ، فسواءً بضجيجها او بهدوئها ، يغمرها الجمال ، يمرّ على الشارع المؤدي إلى الجادرية ، ويسير بالطريق المؤدي إلى الجامعة ، لكنه يمشي الهوينا ويساير الهواء بتلطفه ، الهواء منعش للغاية والشمس مشرقة وليست حارقة والانسجام يملأ الارجاء ، تذهب به الافكار كل مذهب ولكنه يشعر بأنه يحلم ويحلم وهو مستيقظ وعليه أن

يعيش الواقع ويواكب الظرف الذي يعيشه ، لماذا يحلق بأبراج عالية وهدفه وحلمه في الارض ماثلاً بين يديه ،

وبينما هو غارق في هذه الاحلام ، إذ وكإنّ أحدهم يسأله :

– أحمد

– ينتبه مذعوراً لهذا السائل ، الذي لا يعرفه ، بعدد تردد وتلعثم يقول : نعم

– ماذا بك ، ولمَ هذا العبث بنفسك ؟

– ومن أنت حتى تسأل ولمَ عليّ أن اجيبك !

– لا تتهرب ، فأنا عليك مشفق وإليك ناصح .

– كمن يطمئن له وإن على كره ، وماذا بي حتى تسأل وتأخذك الحمية عليّ

– انت غارق في احلام هي هناك .. هناك بعيداً ملوحاً إلى السماء

– يرفع رأسه إلى السماء ، ويطرق كئيباً آسفاً

– لا تطرق برأسك كالنساء ، عليك أن ترفع هامتك وتنظر إلى نفسك إلى اين انت ماضٍ

– لا أدري ولعلي لا اريد ان اعرف ، لكني مقتنع بما انا عليه من حياة

- ولم جعلتها نكرة ولم تعرفها بألفٍ ولام ؟

- ماهي ؟

- الحياة

- يصمت ويحاول أن يقول إنه ...

- يقاطعه بقوة كفى تبريراً لهذا الضياع الذي تعيشه ومحيط نفسك به

- يحاول أن يدافع عن هذا التلعثم الذي إعتراه ، لكنهُ لا يجد لكلامه صدىً ومقبولية ، فيأثر السكوت ويترك لهذا السائل الغريب أن يأنبه على ما يمرُ به

- تصمت لأنك لا تقوى على الرد ، هذا أحمد الذي هو فخر عشيرته وقريته التي يرددون دوماً بثقافته وعقليته وتربيته ورجولته !

- وماذا تغير في هذه الصفات ؟

- اصبحت حياتك ليس إلاّ وهماً يدعى ندى

- يخفق قلبه خفقه ، يكادُ يخرج من بين ضلوعه لسماعه اسم ندى ، ولم يدع وهماً وانا وهي أحدنا يألف الآخر وحتى إننا امس كنا مع بعضنا البعض

- وهل هذا الذي يجعلك بهذا الخمول والضعف امام عاطفة لا محال زائلة

- ولم تتشاءم بالزوال ؟

- لأنك وندى لستما بندين

- ولمَ ؟

- فرق بينكما في كل شيء ، وتشابهٌ واحد وهو المرحلة الجامعية ولعله لا يكفي لتبرير ولعك بها حتى هذا الحد

- وأيّ الفروق تقصد مادية ام معنوية ؟

- ربما كلا الاثنين

- مااااااذا !!!

- نعم كلا الاثنين

- ولكنّ ندى لا تعير لهذه الماديات شيئاً ولا أية اهمية ، التربية والشرف والاخلاق والثقافة هي افضل من المال الذي لا يعطي جاهاً ولا سمعةً

- ينتفض لهذه الكلمات كمن لدغته افعى ، ندى ذات خلق واخلاق وتربية وطيبة واصالة فلن تعطي اية اهمية لهذه الماديات

- وما زلت تجانب الحقيقة والواقع

- وكيف !

- هل نسيت نفسك من انت واين انت ؟

- لم انسَ

- وهذا افضل لك

- ولم هذا السؤال ؟

- حتى تعرف الفرق الظاهري بينك وبينها

- ها انت تقول فرقٌ ظاهري ولن تعطي ندى للظواهر شيئاً

- وأهلها ؟

- يصمت ويتردد ، وما شأنهم ان كانت هي صاحبة القرار الاول والاخير

- أحمد أتظنُ نفسك أن البغداديات يملكن الحرية المطلقة في الموافقة والعدم في شأن الزواج ، ما زلت بغداد شرقية ورجالها كذلك ، لم يفرطوا بغيرتهم ولم يتنكروا لإصالتهم

- انا ادرك هذا وأعي كل ما تقول ، لكن القرار لها إن رفضت وإن قبلت ، اهلها لهم الشكليات والروتين السائد لا اكثر

- أحمد ، لنفترض طلبت يدها ، هل ستوافق ان تعيش معك في ذي قار وحيث القرية التي تتصف بصعوبة الحياة وخشونتها بالنسبة لندى ، وهل سيقبل اهلها ان تتزوج رجلاً بمثل ظروفك ؟

- لا مانع اذا كنا بذات الاختصاص وذات الثقافة وسنعمل معاً ونعيش بأفضل من هذا الحال

- هذا الكلام انت تقوله وليس اهلها ولا حتى هي

- هي !!!

- اجل

- فهي اليد التي ستكون معي والسند الذي سيقف جنباً إلى جنب معي

- لا تعول على هذا الجنب حتى لا تنصدم به

- ولم أنت بهذا القدر من الجفاء والحنق عليّ

- انا ناصحٌ لك ، شفوق عليك ، واود ان تكون كما عهدتك سابقاً عقلك هو الذي يسيرك وليس عاطفة مراهق لم يسبر معنى العلاقات بعد

- وهذا شيء جميل ، ان حبي خالص ونقي ولم يلوث بأيّ نوع من العلاقات

- جوابك يدل على سذاجتك العاطفية وفقرك العاطفي

- ماذا عليّ ان افعل ؟

- عليك ان تنتبه لدراستك وتجد بها ما وسعك إلى ذلك من سبيل

- وماذا بعد ؟

- لا شيء ، اهم من هذا

- ماذا !

- كما سمعت لا شيء يستحق أن تبذل له اية أهمية ولا تعطيه اي ذرة من وقتك له وتشغل نفسك به

- تطلب المستحيل إذن !

- ليس مستحيلاً لرجل قوي وله عقل في رأسه وليس قطعة من الحجر الاصم

- وما شأن العقل في ذلك ؟ انا لديّ قلب ومشاعر وجدت أليفاً تسكن له وتأنس به وترتاح له وتذوب به

- هذا هو سبب فشل اغلب الشبان

- وهل الشبان الذين يقعون في قصة حب يدعون فاشلين !

- بالتأكيد ، إن كانوا بمثل حالتك ، فهم افشل الفاشلين

- وما بها حالتي وليس بها اي شيء يدعو للفشل ولا شيء من قبيل هذا الاحباط الذي تصفني به

- لأنك أعمى لا تبصر

- وكيف أعمى ولديّ هذه العيون

- إنك اعمى تصرف ورؤية وواقع

- اريد حلاً يرضي قلبي وعقلي واكون رضيّ النفس به مطمأن العاطفة

- أنتبه لمستقبلك واسعَ بكل جهدك له ، واجعل هذه العواطف عرضاً لا توليها كل هذا الاهتمام فما زلت في ربيعك التاسع عشر

- ماذا يعني هذا ؟

- إنك ما زلت مراهقاً وعواطفك كاذبة ومشاعرك سرعان ما سوف تتبدد وتتلاشى وتصبح ماضٍ لا ذكرى له

- وهل يحتاج الحُب إلى عمر ووقت وزمان ، محدد لكي ينشأ وينمو ؟

- نعم يحتاج إلى كل هذه الصفات ويحتاج إلى إدراك ووعي وحسن تصرف وتدبر

- أووووووه ، مللت منك ومن كل كلماتك السمجة ، ولم أعد أطيقك واتحمل قساوة كلماتك التي لم احبها ولن استسيغها قط .

- لأنك تسير نحو الفشل ونحو التدني بالمستوى وليس الرفعة والنهوض ، أنتبه فأنت ملزم بأن تكون محافظاً على لقبك الذي كنت دوماً تتوق له وتحب ان تدعى به ، المهندس المعماري أحمد ، كم

من المرات التي افضيت إلى نفسك وبيدك المسودات ترسم الخرائط والمشاريع التي تود تطبيقها ، حتى جعلت قريتكم الفقيرة كأنها قطعة من موسكو

– لم انسَ كل هذا ولم يغب عني هذا الحلم وهذا الهدف ، ولكني لم أذنب عندما تركت لقلبي يختار من يألف لها ويسكن عندها

لم يشعر بطول الطريق ولا بالمارة لانشغال نفسه وهذا الهاجس الذي لازمه منذ خروجه من القسم حتى وصوله إلى باب الجامعة ، دخلها والساعة تشير إلى الثامنة والنصف بمعنى إنه قضى ساعتين من التأمل في هذا العالم الذي احاط نفسه به ، يسأل ويسأل واجوبة غامضة تشكل عليه تارة وتنبهه تارةً اخرى ، يدخل وقلبه هادئاً مطمئناً ، لأن هذا الخيال الذي لازمه اعطاه بعضٍ من الصواب واستطاع ان يخرجه من عالم الاوهام الذي دخله ، اخذ يفكر ويفكر حتى قال سأمتحن وسأغادر الكلية ، لأرتحل إلى مرآب السيارات واذهب إلى بيتنا فوراً ، يدخل الامتحان ولم يفتش عن اميرة حبه ، بل تجاهلها ودخل القاعة ورأسه في الارض ، سرعان ما اكمل الامتحان اراد ان يخرج من القاعة لمح شخصاً يرمقه بنظرات ملؤها البراءة الطيبة ، فيلتفت فإذا بها ندى ، لم يتمالك نفسه امام هذا الكائن البريء الذي ملك حواسه كلها ، فيعطيها الابتسامة والنظرات الطيبة ، فتبتسم ويكاد الاستاذ ان يفضحهما لولا ان أحمد خرج مسرعاً ، اعطته تلك النظرات جرعة في التريث وان لا يغادر دون ان يودعها ويعطيها قلباً طالما احبها وذاب بها ، ينتظرها هذه المرة هو ما اطيب قلبك يا أحمد

– يلتفت ، فإذا لا احد ولكنه ادرك إن هذا الذي يخاطبه إنما هو هذا الخيال او الهاجس الذي يطارد أحمد حيثما حلّ ، وما الخطأ في طيبة قلبي

– طيبة القلب إن كانت مفرطة تكون مذمومة في اغلب الاحيان

– وماذا تريد مني أن اكون ؟

– ان تكون واعياً ومدركاً الامور بواقعية

– كيف يعني ؟

– ان تجعل العقل بمكان القلب وتمضي وراء العقل حيثما أمرك

– وهل العقل دوماً على صواب ؟

– مهما يكن فهو افضل من القلب

– سأسمع لقلبي عندما يخفق واعرضها على عقلي كي يعي ويحيط القلب بسور عظيم يمنعه من التيه والطيش

– وهل تستطيع ذلك ؟ وانت الفتى الذي أسلمت الروح والجسد لعاطفة لا نعلم بدايتها حتى نعي آخرها

– إني لأمقت كل نصائحك ، فأنت تحول بين نفسي الطيبة البريئة وتجعلني افكر بغير هذه الطيبة وبغير هذا الاخلاص الذي احمله

- فكر يا أحمد وقدر الامور فما زلت في مرحلتك الاولى وفي ذروة سن المراهقة فقراراتك لا يعبأ لها مهما بلغت من نفسك ما بلغت

اراد ان يقسو على نفسه ويترك ندى دون أن يلقي عليها نظرات ونظرات ، لكي يأخذ معه طيفها هناك إلى قريته ، لكنّ قلبه لم يطاوعه فيما عزم عليه ، جلس على المصطبة منتظراً إياها وماهي إلاّ لحظات حتى خرجت من قاعة الامتحان تتغنج بمشيتها وتكاد تقطع قلبه تقطيعاً بتلك النغمة العذبة التي تثيرها فيه ، ينهض من مكانه مستقبلاً هذه الفاتنة بأرق ابتسامه وألطف نظرة وأرقى تحية ، لم يجعلها تبادر بالكلام ، بل أسرع بالكلام :

- صباح الورد يا ندى

- بكل رقة وبكل عذوبة ، صباح الورد أحمد

- اليوم آخر يوم يمكن إن أراكِ فيه

- لا تذكرني ، لأني لم أحبه ولم أطيقه ، فأنا ما زلت أود الدوام ، لأنّ الجامعة هي المكان الذي تأنس فيه البنات

- اراد ان يداعب مشاعرها ويلاطف قلبها ، وحتى الشباب ، فهم يجدون الدوام هو ألطف مكان وأعذبه

- كيف ! أنتم بإمكانكم الخروج متى شئتم لأي مكان شئتم

- لكننا نرى الجامعة افضل مكان ، لأنها جميلة بكل شيء

- فعلاً فهي ايام ممتعة لنا في العمر ولعلـها هـي الايـام الاجمـل الـتي يقضيها الشباب في عمرهم

- بالفعل هذا

- هل ستعود إلى القرية اليوم ؟

- فوجئ بسؤالها الذي يدل على اهميته بالنسبة لها قال بحسرة : نعم سأذهب اليوم

- سنشتاق إليكَ

- ماذا !

- سوف نشتاق لكم

- ماذا تعني هذه الكلمة سوى إنها متعلقة به وتفكر به بالقـدر الـذي يفكر بهـا ، تـدهورت احوالـه واضـطربت اوضـاعه ، جميلـة كلمـة الاشتياق ، لكنها لم تقلها بصيغة المفرد ، بل لفظتهـا بصـيغة الجمـع وهنا تساءل لمَ صيغة الجمـع ولم يكـن مـن احـد موجـود إلاّ همـا ، تشتاق العافية لكِ يا ندى

- تسلم أحمد وفقك الله وجعلك من اوائل طلبتنـا ، فأنـت تسـتحق لقب الأوائل

- ماذا اقول امام هذا الفيض من الكلمات الِرقراقة الطيبة والعذبة

- لا تقل شيئاً ، فأنا لم أمدح ولم اجامل ، بل وصفت ما اشعر به تجاهك

- وهل هذا كل شعوركِ تجاهي ؟

- جعلها في زاوية ضيقة جداً ، لكنها وجدت المخرج منها بسهولة ، لأنك طالب مجد وخلوق وطيب وذو تربية اصيلة

- رفعته إلى السماء واهبطته إلى الارض بسرعة ، شكراً لكِ

- عفواً فلا داعي للشكر بيننا

يودعها ويلقي عليها أعذب الكلمات وألطفها ، ثم يحاول أن يملأ نظره بجمال طلعتها ، لم يطل حديثهم إلاّ لحظات معدودة وذهب كلٍ منهم في ناحية ، ذهبت هي إلى بيتها مسرعة وذهب هو إلى القسم الداخلي ، ليأخذ ملابسه وملازمه ويذهب فوراً إلى بيتهم ، طيفها ملازمٌ له ولم يتركه وهو غارقٌ في احلامه وعالمه الذي صنعه بنفسه ، لكي يأوي إليه كلما ضاق بعالم الواقع ، يصل إلى قريتهم وقد تعجب بها ، فهي تبدو بملامح غريبة بعض الشيء وليست هي القرية التي كان يجدها أجمل مكانٍ له ، فقد عم الخراب والجفاف بها ولجأ أبناءها إلى السلك العسكري ، لكي يجدوا عملاً يعيشون به مع عوائلهم ، فالفقر طفح في هذه القرية التي كان يغذيها نهر الفرات وينعش تربتها وبذلك تكون خصبة للزراعة ، لكنها اليوم تبدو أرضاً شبه مقفرة قاحلة ، اصابه ذهول لمرأى هذه القرية وجعلته يصاب

بالإحباط الشديد جراء السياسية التعسفية التي تنهجها حكومة ما بعد الاحتلال الامريكي ، هذه الحكومة لن تكون هي المنقذ لهذا الشعب ولن تكون هي التي تحقق له الحياة الحرة الكريمة إذن ما الحل يا ترى ؟ هنا خرجت العاطفة التي في داخله وامست غضباً مشتعلاً ، يمشي خطوات كالغريب اين هي ملاعب الصبا واين هي الاماكن التي كان يتردد عليها واين محل سيد راهي الذي كان هـو المحـل الوحيـد في هذه القرية واين السمكري ابو وائل ، واين فلان وفـلان هكـذا اخـذ يعدد من فقدهم ، سارع بخطواته حتى وصل إلى بيتهم فطرق الباب ، فاستقبلته بوجه ناعم حزين ، دخل فوجـد إخوتـه علـى لعـبهم وأمـه متمددة هناك واخواته بقينّ في ركن في البيت يلعبن بـه وبـاقي اخوتـه كانوا خارج البيت ، قبل امه وقبلته وقضى شطراً من الحـديث معهـا ملقياً إليه افراحه واتراحه وهي تسمع له وتصبره وتذكره بـأن يكـون جلداً صبوراً وإلاّ فكيف يكون السند لدى جميع إخوته ، فرح بإخوته واخواته وهو محاط بهم ، من عاداتهم التي بقوا محافظين عليها هي ان تأكل العائلـة مجتمعـة وعنـد الاجتمـاع يكـون المـزاح والمـرح والطرفة ، اهله يفتخرون به ويكلمونه وكأنه اعلى منهم في كل شيء في حين أبت نفسه ان يتعالى على اهله ودوماً كان يحدثهم بما ينسجم مع عقولهم ودوماً يمازحهم وينصت إلى حديثهم ويتركهـم يقصـون عليه القصص وهو منصتاً لهم .

قضى بعض الوقت مع اخوته وهو يشعر بهالة من الفرح والبهجة التي تسر قلبه ، ما اجمل الشعور وانت محاط بـإخوة كلـهم يحترمونـك

حتى العبادة ، شعور رائع يحيط أحمد وهو بهذه العائلة التي يفخر بها وتفخر به ، وضعت اخته طعام العشاء وجلست العائلة حول المائـدة متلاصقين جنباً إلى جنب ولم يخلُ العشاء من طرفـة ودعابـة ومـزاح حتى نهض الجميع وعلى وجهه ابتسامة ، اتم أحمد عشاءه ، وقرر ان يصعد إلى السطح ، ليكون هو السلوة له بعالمه الذي خلقه والوحـدة العاطفية التي يمر بها ،تفرق الاخوة كلٌ لمـن يـألف حديثـه وأحمـد يفترش فراشه ويجلس عليه ، لتكون السماء هي المرآة التي يرى روحه من خلالها ، يحب العزلة والوحدة ولم يألف الاندماج مع الجميـع ، لأنه لم يجد احداً يفهمه ويتلاءم ومزاجه وطبيعته ، تراه يرمق السماء متأملاً بجمالها وهدوءها ويود ان يحلق هناك بالقرب منها ولعله صعد لها مرة ومرة ومرات ولكن هذا الصعود لم يتم إلاّ وتلك الحبيبة هـي السبب له ، لا يحتاج إلى مركبـة فضـائية ولا إلى صـاروخ ليصـل إلى أعلى السماء ، ليحلق بها مرفرفاً بجناحيـه ، بـل يحتـاج إلى ابتسـامة لطيفة من شخص حبيبته او نظرة بريئة منها ، المساء بـدأ بعـد صـلاة المغرب وحلّ الظلام ، ليجد العشاق الاجواء الـتي يطلبونهـا ، يعـود شريط ذكرياته في ايام الجامعة ، بدأ من اليوم الذي رأى اميرة احلامه وحتى يومه الاخير الذي قضاه في الجامعة مودعاً إياها ، بدأ الشـريط من لحظة اللقاء البريء والروح الصافية التي لم تحمل دناءة ولا انانية ، ولكنها حملت ناراً وايّ ناراً، تلك النار جعلت نفسه تحترق مرات ومرات وها هي تعيد الذكرى لكي تجد بالاحتراق لذة ولكن كيـف يكون الاحتراق لذة ومتعة لدى العشاق ! إنه لشيءً عجيب ان تحترق روح الانسان وتراه يطلب المزيد والمزيد هذه النار المؤججة في حنايا

الصدر هي نار تبرد أحياناً وتلتهب احيان اخرى ، والعشاق في كلا النارين يتعذبون ولم تكف قلوبهم عن هذا العذاب ! يبتسم لكل موقف رآها به ويعبس لكل موقف حرم من وجهها ، لكن نفسه بدأت تنزل من هذا الصعود غير المبرر ، وتقرر النزول إلى ارض الواقع ليشهد الحالة كما هي ، لأن حالته يرثى لها ، فهو يرزح تحت عبء عاطفة سلبته حتى ألذ ساعات الرقاد ، يسأل نفسه :

– لم كل هذا العذاب ؟

– يجيب ، لأني أعشقُ إحدى النساء

– ولم كل هذا الألم ولم كل هذه العزلة وهل الحُب هكذا ؟

– ليس هكذا لكني لا اعلم ما بي ولم افعل هذا ولم اقوم بهذا ولكني أعترف بأني لا املك نفسي ولا قلبي

– لا يا أحمد ليس هذا الحب فما زلت مراهقاً لا تعرف من الحب حرفاً له ولا همساً

– وكيف لا اعرفه وأنا غارق فيه وسكران حتى الثمالة !

– لأنك لا تعرف أين وكيف ومتى تحب !

– عجيب وهل الحب يحتاج إلى هذه الادوات الاستفهامية التي تعني الزمان والمكان والحال

– أجل يحتاج الحب إلى هذه الثلاث وإلاّ فلـن يفلـح صـاحبه ، ولـن يطيب له العيش ، ولن تستلذ له الحياة

– لا يروق لي سماع هذا الكلمات ، لكني أعي إنه عين الصواب

– هل سيعود أحمد فتىً وليس كمثله فتىً ، وهل سيترك العاطفة تقرر مصيرها ويلجأ إلى حياته فيعيش كما يعيش غيره بمثل حالته !

– تردد ثم جواب الواثق ، سأستإنف من جديد واعود أفكر في عقلي لا بقلبي

– وهذا هو المتوقع منك ، لأنه عليك تقع مسؤوليات وتبعات ويجب ان تكون قدوةً لإخوتك

– اتفقنا ولن اخلفك الوعد وانا الصادق بوعدي معك

هكذا حسم امور هذه العواطف التي تجيش في صدره مسببة له آهات وآهات ، ينام وبكل هدوء وكأنه لم ينم دهراً كاملاً ، مازال يستيقظ مبكراً ولـم تغيره ملامح العاصمة ، يغط في نوماً عميق ينسى كل تلك الاوهام التي كانت تـراوده ولـم تسـتطع هـي ان تعكـر صـفو نومـة ، وراحة باله ، وطيب مزاجه ، كالأطفال ينام ويغوص في لجة الاحلام ولكنها احلام هادئة غير مفزعة ولا خيالية ، سـاعة وسـاعة واخـرى حتى ادركه الفجر ، يصحو من نومه كمن لديه منبه وهو الذي اوعـز لعقله بأن يستيقظ بهذا الوقت ، كان يعشق ان يستيقظ في اول الصباح ، لتداعب نسمات الهواء البارد قلبه ولتجعله في عالم من الجمال الذي

يصنعه بيده ، نهض من فراشه ونزل ليرى إنّ جدته كعادتها تعمل اوراد السحر وتقرأ الادعية التي سمعت بأن الله سيغفر لها كل ذنوبها إن داومت على ترديدها ، يصبح عليها فترد التحية له وتناديه ليجلس معها لحظات ليشرب الحليب الذي اعدته وكسرة من الخبز ليبل ريقه بهذا الغذاء الذي تعده اصح غداء ، يلبي طلبها ويجلس معها وذلك قبيل أذان الفجر ، لتروي له حكمة او مثلاً سمعته في ايام يفاعتها الاولى ، ولتقص عليه حكايات ذلك الزمان وكان يصغي لها ويستمع لأحاديثها والتي كانت تعجبه جداً ويتعلم منها دروساً وعبر ، هكذا يستمر جالساً معها إلى حين شربه لكوب الحليب وأكله لتلك الكسرة من الخبز فعندها يتوجه إلى المسجد ليصلي صلاة الصبح وكان مواظباً عليها طوال عمره ،

يخرج بعد ان يتوضأ ويمشي في الطريق ، متأملاً في الحياة ومشاكلها والامور الذي تعترضه فيها وكيف له ان يواكبها ويمضي معها صبوراً جلداً على كل ما تقدم ، يصل المسجد وكان بالياً سقفه يكاد يهوي إلى الارض وجدرانه رطبة نخرتها الرطوبة نخراً والارضية غير منتظمة والفرش والسجاد عتيق جداً ، هذه الحالة وهذا المنظر يسأل الشيخ الذي يصلي بهم صلاة الجماعة بعد ان يصبح عليه

- لم هذا المسجد مهجور ؟ ورواده قليلون بالكاد يحصون بعدد اصابع اليد الواحدة ؟

– هي توفيق من الله يا أحمد والناس في اوقات الفجر نائمة وبعضهم يبعد عنهم المسجد وكلٍ له عذرٌ يمنعه

– لكن المسجد إذا هجر سيخاصم الناس ويشتكي إلى الله تعالى عن هجر الناس له

– بالفعل يا أحمد ، فهذا المسجد يبعث الصفاء الروحي ويقوي من روح الاصرة بين المجتمع ويجعلهم موحدين إخوة وأحبة

– انا لديّ من الاصدقاء كثر ، لكن اغلبهم لا يصلي وبعضهم متقطع والاخرين غير مداومين عليها وقليلون هم الملتزمون

– الله يوفقهم لما يحب ويرضى ويغفر لهم مهما يكن فهم عيال الله وابناءه ولا نتكلم عنهم إلاّ بأحسن الكلام

– صدقت يا شيخ ، علينا أن نبقى ندعو، لهم ليغفر الله لهم ويرضى عنهم ، هلُم يا شيخي لنصلي صلاتنا ، ويصليا صلاة الصبح ، وهم خمسة ، سادسهم الشيخ ، يتم صلاته ، ويقرأ ورداً من الادعية الصباحية التي يستجلي رضى السماء وعطفها

عليه ، عندما يتم صلاته يخرج والناس مازالوا نياماً والقرية هادئة مطمئنة ، الهواءُ عذب في هذا الوقت ويبعث في النفس بهجة وسروراً ، يمشي في هذه القرية التي تغيرت ملامحها نوعاً ما ، فلقد جفت الارض وسبخت وأهملت الزراعة فيها اهمالاً ومال اكثر ابناءها إلى الانخراط في السلك العسكري وبذلك اصيب الجنوب العراقي بقحط

شديد اصاب الزراعة ، الحكومة لا تملك ذرة من وطنية ولا ذرة مـن عقل إدراي يوقظ الاقتصاد العراقي ، ماتت او ستموت الزراعة وتبعتها الصناعة ، فالتعليم ، فالصحة وهكذا حال البلد ، بدأ ينهار شيئاً فشيء ، هذه الحالة ألمت بأحمد وجعلت مشاعر الغضب والحنق على هذا النظام الغاشم الذي لم يحقق أقل مما يطمح به شباب العـراق ، مـال ناحية الشط الذي كان هو السلوة له والراحة التي لا يجدها إلاّ فيـه ، الماء انحسرَ وانخفضت نسبة المياه في الشط واصبح مرمى للأنقاض والقاذورات ، وبذلك اصبح غير صالح للشرب ولا حتى للغسل ! لمَ هذا الحال ؟ ولم هكذا اصبحت قريتنا الجميلة ! عرج إلى ارضـهم ، فلم يجد الماء ، لكي يرويها ، فالماءُ لم يعد يكفي هـذه الارض الـتي هي حوالي ثلاثة دونمات ، فلم يزرعوا منها إلاّ دونماً واحداً ، والباقي جف وذبلت الحياة التي في تربته ، لم يتمالك نفسه لرؤيته هذا الحال حتى انهالت الدموع على خديه ، الضمير والحس الوطني ، كانا هما سبب الألم الذي يشعر به ، ساعة او بعضها حتى يملّ من العمل فيعود إلى البيت غاضباً واخوته معه ، لكـن أحـدهم سيتركهم غـداً ، لأنـه سيلتحق في الجيش ويلتجأ إلى حياة العسكر ليعيش ، امسـى الشـبان يلجأون إلى السلك العسكري ليس حباً به ولا ولعاً بعذاباتـه ، ولكـن لأجل لقمة العيش التي اصـبحت هـي صـعبة علـى الفقـراء مـن ابنـاء الجنوب والذين هم الغالبية العظمى من السكان ، يعود إلى البيت كئيباً حزيناً كاسف البال ، لا يطلب الاكل ، بل يلجأ إلى الغرفة ، ليستريح من همه لا من تعب جسده ، تقبل عليه أمه بصوتها الحنون وعذوبتها الناعمة ورقة لفظها : أحمد حبيبي تعال لنأكل معاً فأنا مشتاقة لتلـك

الايام التي نأكل معاً وانا بقربك ونقضي أوقاتاً مع بعضنا البعض ، لم يستطع أن يعكر مزاج أمه ولم يروق له أن يرفض لها دعوة ، بل نهض وعلى وجهه ابتسامة وبفمه كلام يود ان يلقيه على أمه ، وهي مرحبة به أشد الترحيب لأي كلام يلقيه وتتمنى ان يكون ذلك الكلام هو قبوله في الزواج ، لكي تذهب لتختار له بنت اختها التي أحبت أن تكون زوجة لأبنها على كره منه وازدراء ، وتلك هي الأمهات تحب أن تختار هي زوجة لأبنها ولا تحب أن يختارها احد غيرها حتى وان وكان ابنها ، همهُ ان يجد عملاً يجني من وراءه مصروفاً له في ايام الجامعة ، الارض لم تعد تكفي وبالكاد تسد حاجتهم لملأ البطون الخاوية واثنين من اخوانهِ ذهب إلى الجيش ، ليجدا فرصة من العمل يستندان عليها ، قرر أن يلجأ إلى مقر تجمع عمال البناء ليعمل ويكد ، ذهب إلى هذا التجمع ، فرأى جمهور من الشبان والبسطاء بملابسهم الرثة وكلٍ منهم منتظر رزقاً يقبل إليه ، يوم ويوم وآخر واسبوع ، فلم يحصل أحمد على أي عمل ولم يقبل عليه احد يستدعيه ، ازدادت الحالة سوءاً ونفسيته تعقدت وقلبه انكسر لحاله هذا ، يذهب إلى العمل فجراً ويعود ضحىً ولا امل في الحصول على العمل حتى فتح له باب الفرج في الاسبوع القادم وإذا بأحدهم يطلبه لقوة جسده وبروز عضلاته وقوة شخصيته ، ترى اي عمل سيعمل اليوم ! إنه أعطي معولاً وكان العمل ، تهديم بيت بكامله واستخلاص الطابوق وتنقيتها وعزلها في مكان ما ، امسك بالمعول وكل ضربة منه على الجدار، يزداد قوة في أن يجاهد في دراسته ويحقق ما يطمح إليه ، انتهى النهار ويداه مجلت وعضلاته تقلصت ، والمفاصل كأنها ممزقة الاربطة ،

رجع إلى البيت فرمى بنفسه على الارض ونام بملابس العمل من فرط الاعياء الذي أصابه والتعب الذي تعرض له ، غاص في النوم ولم يحلم بحبيبة هام بحبها ولا اعترضه شوقها ، لكن هل سيتم نومه هادئاً دون مرور طيفها ، لكي يزيل التعب الذي اصابه ولتمسح على رأسه فتمص التعب وتعطي الجسد قوةً وصبراً وتحملاً ، هكذا هم العظماء يلقون هواناً وعذاباً وكداً حتى يبلغوا درجاتهم التي يستحقونها من الرقي والحياة المرفهة الناعمة ، يسمع صدىً من هناك قادم لمحَ شخصه ، لكنه لم يتبين ملامحه ما هي ، حتى إقترب هذا الطيف واصبح مقابلاً له ، – الله يعطيك القوة والعافية .

– يسمعُ الصوتُ ولا يكاد يرى الشخص ، لكنه عرف إن نبرة الصوت يعرفها ولن يكون احدٌ غيرها ، ندى !

– ومن غير ندى مهتمٌ بك ؟ ومن غير ندى يتقطع قلبه من اجلك ؟

– ما اسعد قلبي بكِ ، وما اسعدني بهذا الطيف الذي فتت قلبي وجعلني أهيم في ارض الله الواسعة بحثاً عن مكان يشغلني ، فلم أجد إلاّكِ أحد يحتويني

– يا الله لهذا الحد وصل بك الحب ، ما اسعد جدي وانا اجد احداً يحبني بمثل الحب !

– واضعاف من هذا الحب ، ان الكلمات لا تعبر عن ما يجول في القلب تعبيراً صريحاً معبراً فيبقى القلب يشتهي من يفهم نبضاته

- متعبٌ انت يا أحمد ؟

- كادت روحه أن تزهق وقلبه يتوقـف عـن النـبض والحيـاة ، نـدى ذهب التعب وزال الألم بسؤالكِ عني

- حقاً هكذا

املك تأثيراً على جسدك كما قلبك !

- نعم

- هي القلب تتجـاذب ويعطـي احـدهم إلى الثـاني مـا يلهمـه الامـل والصبر والحياة

- وقد اعطيتني كل هذه الثلاث ، قلبي بكِ متيمٌ

- أحمد عليك ان تعي امراً ما ؟

- ما هو ؟

- انك فتىً طموحاً وطالباً مجداً وعليك ان تكافح من اجل مستقبلك وانه لا يليق بك هذا العمل ليس لأنك كاسبٌ ، بل لأن ثقافتك وروح الهمة العالية عندك والنبوغ في دراستك لا يتلاءم والحالـة الـتي أنـت فيها .

- وماذا افعل اذا قدري حتم عليّ ان اشقى واشقى واشقى

- ولكني واثقة ان بعد الشقاء فرجٌ عاجلٌ يسر قلبك وبدنك ويريحك من اعباء الحياة

- وتلك امنية لطالما تمنيتها واتمنى من الله تحقيقها لي

- ستحصل عليها وانا واثقة ولكن

- ولمَ هذا الشرط ؟

- هذه هي الحياة بقدر ما تعطيك تسلبك

- وما اقبحها من حياة إذن

- ستتعب وتلقي ألواناً من العذاب والمشقة حتى تبلغ الغاية وراء هذا التعب فلا تتذمر ولا تشتكي وكن فتى جلداً صبوراً .

- سأكون بمثل ما تحب ندى والله على ما اقول من الشاهدين

- وفقك الله واعانك على وصلك إلى تحقيق احلامك

- دعوة لا اتوقع أن تردها السماء ، لأنها خرجت من أطهر قلب عرفته في حياتي

- الآن سأرحل .

- ولمَ هذا الرحيل الذي لا احبذه ولا أتحمله

- سأغيب عنكِ بطيفي ولكني واثقة من مكاني في قلبك واذا اردتني فسأقبل إليك لاهثة مسرعة

- إذن سأناديك كل لحظة .

- ابتسمت وتلاشت كما يتلاشى الجليد امام شمسٌ حارقة وبقي هو ينادي وينادي ولا من مجيب ، نهض من فراشه وقد شعر ببهجة اعترته وسرت في جسده ، الهموم والآلام التي يشعر بها قد زالت واضمحلت ولم يعد لها مكاناً في قلبه وروحه ، هي ندى لا غير من يبعث في النفس الحياة التي تشتهيها ، هي التي تكون بلسماً لكل جراحاتي .

# الفصل التاسع

# يوم جديد

يفيق على يومٍ جديد لعلّه يحمل بشـرى لقلبـه التـواق أو ليمـر بـدون عذابات وإرهاصات ، يخرج كما واعد أحد اصحابه ، ليعمل عامـل بناء في مكان يبعد عن بيتهم مسيرة ساعتين او اكثر ذهاباً ، لما يصـل إلى ساحة التجمع التي يجتمع عندها جمهرة من الناس اغلبهم الشباب يرى البؤس والألم على وجوه اغلبهم ، فيسأل هذا ويصحب ذاك حتى كون علاقات مع اكثرهم ، يأتي الرزق تارةً ويعسـر أخـرى وهـو في كلا الحالتين راضٍ ومقتنع بما قسم له الرب وما أعدته له الحياة ، تعلم دروساً وعبر من حياته هذه ما لو درسها بأفضل الجامعات لما اعطته هذه المعلومات الـتي شـهد تجربتهـا بنفسـه وابصـرها بعينـه ، هـذه المعلومات دخلت إلى عقله واستوعبها وفهمها ، يوم بعده يوم وأخر حتى تلاحت له انباء بـأنّ الكليـة سـتقوم بتوزيـع نتـائج الامتحانـات عندها شعر بالبهجة تعتريه والفرح يغمره لـيس لأنـه سيحصـل علـى نتيجة يعرف بأنه ناجح ولكن ليرى شخصاً لم يعد يتحمل بعده كـل هذا البعد ، اليوم خميس والاحد سيذهب إلى العاصمة ، ليجدد عهداً بمن سلبت لُبه ، ما زالت المرحلة الاولى محافظة على هيئته من طبيعة وذوقه في الملابس وقصة الشعر والكلام ، وربما سيغير من هذه الهيئة القروية ، ليكون حضرياً ومن قلب التحضر ، فهو سيكون بغدادياً في ارجح الظن ، يفرح لوقع هذا النبأ ويطير مـن شـدة الفـرح ، يقبـل في المساء على اهله والتعب غير بادٍ عليه ولا تدل ملامح وجهه على أي تعب أو كد ، بل تدل ملامحه على بشاشة وانشراح وتفاءل وبهجة ! يدخل البيت ، فيغتسل ويرتدي ثياباً حلوة ويتعطر ويخرج ليهيم عند الشط الذي يلهمه الكلام العذب الذي يود ان يتغنى ، فاليوم يوم طربٍ

وغناءٍ وفرح وسأغني بأعذب الألحان وأتغنى بأجمل الاشعار ، يخرج وقد ارتدى بنطلونه الازرق وقميصه السمائي الفاتح اللون وحذاء سبورت وساعةً وخاتماً يزين يديه اليمنى وقلبَ الشعر إلى الوراء ورفعه قليلاً ليحاول أن يغير من الهيئة القروية مع الاحتفاظ بها كأصالة وتربية ، يأتيه صديقه رافد ويخرجا معاً ، ليجددا عهداً بصداقتهم الحميمة ، إلى إين نمضي يا حضرة المهندس ؟

- إلى مكاني المفضل

- وهو ؟

- حيث القنطرة التي نعبر عليها إلى الناحية الثانية من قريتنا

- وماذا فيها لكي تشعر بالسعادة وانت واقف عليها

- سعادة لا تعدلها سعادة وبالأخص لقلب ملأ بحب الحياة

- الله على رقة المشاعر التي كسبتها من بغداد وبالأخص من البنات البغداديات

- يطير فرحاً بسماعه هذا الكلام ويكاد يطرب له ، أجل فلقد ملكت بغداد كل جوانحي

- وصرت عاشقاً ولهانا !

- عاشقاً ! ما اجملها من كلمة واتمنى أن أعيشها واتصف بها

– وانت للآن غير متصفٌ بها ؟

– للأسف نعم

– عجيبٌ أمرك !

– وما العجب في امري يا رافد

– كل هذا الذي فيك ولا تدعى عاشقاً ؟

– وما الذي فيّ ؟

– إنك غارقٌ في قصة عشقٍ عميقة

– اصابه بالصميم ، ولكنه أحجَم ثم نطق : صدقت لكن

– ماذا ؟

– ربما لا تصدقني لو أنبأتك

– تكلم وانا واثق من كلامك ومن صدقك

– انا غارقٌ في قصة حبٍ ما

– واضحٌ هذا فيك

– لكن

– ماذا ؟

- هي من طرفٍ واحد للآن ولربما تمضي الايام ويكون الحب لدينا معاً

- حب من طرفك أنت أم منها ؟

- ينصت قليلاً ويجيب وهو مطرقٌ ، مني

- توقعت منها !

- ولم !

- وهل تجرؤ إحدى البنات ألاّ تميل بحبك او الهيام بك والذوبان فيك

- ولم كل هذا الاطراء في حقي ؟

- ليس إطراءاً ولكن للحقيقة هو انصاف انت شاب خلوق ومثقف وطيب واصيل وجميلٌ

- شكراً لحسن ظنك بصديقك

- لا داعي لكلمة لا استحقها ، بل إني وصفتك بما هو فيك واضحاً لديّ ولدى الجميع

- وهذا شرفٌ لي ما بعده شرف أن اوصف بالخلق والثقافة والطيب

- ولمَ نسيت الجمال يا أحمد !

– جمال الخلقة لا يهم بالرجل بقدر ما ذكرت لي

– لكنك تتحلى بالاثنين معاً الخُلق والاخلاق

– يبتسم له ويقول تعال إلى مكاني المفضل

يمضيا معاً وأحمد يكاد قلبه يرقص فرحاً ويطير مرحاً، فهو علم بلقاء قريب سيرى به تلك الحسناء التي عبثت بنفسه كل هذا العبث وجعلته يفيض لها شوقاً ويكابد في سبيلها حتى أثر في نفسه اعظم الاثر ، يصلا عند طرف الشط ويجلسا قرب محاذاته فيجد أحمد ان الشط قد انحسر وانخفض إلى الاسفل واصابه الجزر ، فيألم أي ألم لموت وذبول الحياة الزراعية والتي يسببها الجفاف والنقص في المياه ، لم يتغنى بما يعاني منه ، بل طرب فرحاً وكاد يطرب كل اهل القرية بما انشد من اعذب الاشعار منها المحلية الريفية ومنها الادبية الفصيحة وبكلا الحالين هو فرحٌ مسرور بما انشد وما ألقى ، أصدقاؤهُ يجدون مثلهم الاعلى قد اصابه ما اصابه من عشق ولعلهم وصفوا العشق بهكذا نوع هو مرض واي مرض ، ولو علموا ان أحمد يعيش الحب من جانبه فقط لربما ضحكوا ساخرين او مشفقين ، بقي إلى ان ادركهم أذان المغرب ، فلجأ كلٍ منهم إلى بيته وقصد أحمد الأذان الذي كان يبعث في نفسه صدىً وايّ صدىً ، يقبل على هذا الصوت القريب ، فيدخلُ المسجد ويتوضأ ثم يلج الباب فيرى شيئاً أثارهُ وهو إنه تعود أن يرى مجموعة من النعال عند عتبة الباب ، فيعرف العدد الذي اقبل يصلي ، لكنه رأى نعالاً واحداً فقط ، إستدرك

لكنه دخل فلم يجد حتى الشيخ الذي يصلي بهم صلاة الجماعة ! هنا تعجب ولكنه اعطى العذر لهم جميعاً ، صلى واتم الادعية التي إعتاد عليها والتي من أهمها دعاء الفرج ، الذي بقي متمسكاً به طوال عهده بالحياة ، هكذا اخذ العهد على نفسه ، قفل راجعاً إلى البيت وقد احس جوعاً اصابه فاشتهى الطعام ولكن العائلة نقص منها اربعة ، اثنين من اخوانه ذهبا إلى الجيش واثنين من اخواته تزوجتا وبقيت العائلة في قلة حتى اتى اليوم الذي لم يبقَ فيه من الابناء إلاّ سكينة وحسام وهما اصغر الابناء ، يدخل البيت ويجلس قرب ابيه ليحادثه حديثاً يقطع الصمت الذي اصاب البيت ، فيأكل مع اهله وكان هو فاكهة المائدة بهزله ومزاحه حتى اضحك اباه وامه ، ونهض يغسل يديه و ليذهب مع ابيه إلى مضيف الشيخ ، ليكسب من هذه المدرسة دروساً واعظم بها من دروس وتجارب واعظم بها من تجارب ، اباه يرتدي الزي العربي وهو الدشداشة والعباءة يلف بها ظهره ويرميها على متنه ثم شماغ وعقال يزين به هذا الزي الذي يعدونه احلى وابهى زي للرجل العربي و بالأخص ابناء القرى والارياف ، يأتي يوم الاحد ، فيفيق من فجره وكله أملٌ ، فينهض ويغتسل ويرتدي ثيابه التي قد اشتراها ولم يلبسها ولا مرة ، قصة شعره قد اختلفت وملابسه مالت إلى شيء يشبه ملابس ابناء العاصمة وتعطر بعطرٍ جميل وجذاب ، خرج فرحاً بهذا الصباح ومتأملاً الخير كل الخير في هذا اليوم ، يركب السيارة ويغيب عن الوعي تماماً ولجأ إلى هناك حيث بغداد وحيث الاعظمية بالتحديد والتي هي مسكن قلبه وروحه المركبة في هذا الجسد ، يصل العاصمة ولم يشعر بأي ضيق ولا تبرم ولا سأم ،

بل البهجة تملأ محياه وتغمره العاطفة ، يقرر ان يـذهب ليأكـل عنـد هذا المطعم الذي تعود إن يأكل عنده ، يتم افطاره ، فيقرُر أن يسلك طريق الجادرية مشياً كما احبَ دوماً ، ما اعـذب هـذه المدينـة ومـا اطيب هواءها وما اجمل ناسها وانبل شعبها ، يسأل نفسه :

- هل هذا الجمال الذي تقصده هو جمال العاصمة ام سكانها ؟

- بالتأكيد كلاهما

- انت كاذبٌ

- ولم هذا الوصف الذي امقته اشد الموقت وازدريه اشد الازدراء

- لأنك لم تنطق بما يجول في القلب حقاً

- وما الذي يجول في القلب يا ترى ؟

- مسكين تتظاهر بالسكينة والدعة في حين إنك تجانب الحقيقة كثيراً .

- ولم هذا التأنيب يا ترى .

- إنك تعشق سكانها لا غير .

- ومهما يكن فبالتالي احببت الاثنين معاً .

- ليس كما تنطق بهذا الهراء ، بـل إنـك تحـب سـكانها وبـالأخص احدى بناتها ، فجعلت من بغداد اجمل المـدن واحلـى المحافظـات عندك

- ليكن هذا

- بل هو الصواب يا كاذب .

- يبتسم لهذا التساءل والاستدراك ويعرج نحو باب الجامعة ، ليشهد حركة من الطلبة الذي اقبلوا ليستلموا نتيجة جهودهم لعـام كامـل ، منهم من اخفق ومنهم من نجح ومنهم من نبغ وتفوق عليهم . يسـلم على البواب ومسؤول الاستعلامات ثـم يلـج وقلبـه آخـذٌ بالنبضـات السريعة ووجهه آخذً بالشـحوب وريقـه يكـاد يجـف ، هـل سـأرى شخصها ؟ هل سأحصل على فرصة لأكلمها ؟ هـل سـنجلس معـاً ؟ سؤال وسؤال وآخر كلها تدور حول لقاء الحبيبة التي ستعطي له املاً واي امل ، وشعوراً ..

يستطيع ان يتحمل بعد ثلاثة اشهر والتي هي فترة العطلة الصيفية التي يقضـيها الطلبـة في دعـة واسـتراحة ، ويقضـيها بـين الهمـوم والآلام والمشاعر الملتهبة التي أرقت ليله وسلبته طعم الرقـاد الـذي يهنـأ بـه المتعبون والذين يكدون طوال يومهم . يمضي إلى ان يصل باب الكلية فتزداد نبضات قلبه ويكاد يجف ريقه من القلق ، همه الوحيد هو لقاء ندى وليس نتيجة الامتحان التي عرفها من معدل السعي واجوبتـه في الامتحان لكن الموضوع والهم والقلق لشخص الحبيبة لا غير ، يدخل

مفتشاً هنا باحثاً هناك ، يسلم على هـذا ويشـغله ذاك وقلبـه لا يهـدأ وعينه تنظر ذات اليمين وذات الشمال ، أيعقل انها لم تأتِ لـرؤيتي ؟ ألم تشتاق لشخصـي ؟ بحسـرة وألم ألم تـأتِ لتأخـذ نتيجتهـا ؟ ولا جواب على هذه الأسئلة ! بقي شارد الذهن ، منهد القوى ، مضطرب الهيئة ، أيعقل إنها لم تأتِ اليوم ! يسأل هذه ويسأل تلـك والجـواب بالنفي ، إنها لم تقبل بعد ، استلم نتيجته وكانت اغلـب المـواد هـي امتياز وبعضها جيد جداً ، بقي منشغلاً بصديقه هذا وذاك لكي يقتـل الوقت عسى ان تأتي ولن تأتي ، انتظرها حتى بلغـت السـاعة الثالثـة مساءاً ولم يأتِ احد يحمل له بشرى او نبأ عنها ، عـاد خائبـاً حزينـاً كاسف البال ، منهد القوى ، محط القلب ، خـائر الجسـد ، اراد ان يرجع إلى اهله ، لكنهُ قرر ان يذهب لزيارة الامام الكاظم (ع) ، لكي يهدأ من نفسه المضطربة ويريح قلبه وليدعوا الله في هذا المكان الطاهر عسى ان تفتح السماء ابوابها لهذا القلب الكسير ،

لجأ إلى مرقد الامام علّه يجد راحة من هذا الهم الذي يصاحبه دوماً ، هم الحب ما اقسى هذا الهم وما امضهُ على صاحبه ، فيسـلبه اجمـل اللحظات ويرميه بمتاهات من الاحلام التي هي بعيدة كل البعد عـن الواقع ، يقصد الامام بقلب ملتاع ، يدخلُ حتى ينفجر بكـاءاً عاليـا ، يشهق ويشهق حتى اشفقت عليه الزوار وظنـوه إنـه صـاحب حاجـة سواء يمر بأزمة مالية أو حالة مرضية او يلتمس دعاءاً لأحـد احبابـه ، لكنهم نسوا ان يسألوا ما خطب شاب بعمر الورد يقطع القلب مظهره ، مرض الحُب ! وهل الحُب مرض ؟ إنه اقسى وادهى مـرض ، فهـو

يأكل الروح ويلتهم الجسد ، لكن العشاق مازالوا يطلبونـه ويلحـون في طلبه ومن افقر منه امسى كائناً لا حياة له ، لانّ الحب يعطي للحياة لذة ومتعة وبهجة لن يعرفها إلاّ من وقع أسيراً في هذا السجن المدعو بالحب ، بقي يبكي حتى جفت دموعه وهدأ قلبه وراح يذكر آلامـه لهذا الامام العظيم ، فأخذته سنة من الراحة والطمأنينية والصفاء ، اتم زيارته فخرج يبحث عن طعام ، لأنه كان جائعاً ، فقرر ان يذهب عند نهر دجلة وبهذا الوقت يكون نهر دجلة آية من آيات الجمال والبهاء ، مضى حتى وصل إلى احدى المطاعم الشعبية البغدادية ، فأكـل ثـم قصد حافة النهر واخذ يمشي في محاذاة دجلة حيث الامواج الهادئـة تضرب بعضها ببعض وتبعث نغمة حلوة عذبة تروق له ، بقي متجولاً في هذا النهر حتى ادركه وقت الفجر ولم يشعر بهـذا الوقـت الـذي مضى ، رغم مراهقته الغضة وفتوته الفتية لم يترك تربيتـه ولم يتخلـى عن طيبته ولم ينسى اخلاقه ، تراه محافظاً على صلاته ولا يخفى انـه ملتزم دينياً بحكم الظروف المغلقة التي عاش في ظلها ، يعود إلى اقرب مسجد ، سمع أذان الفجر يعلو من بين نوافذه ، قصد المسجد فصلى ومضى قاصداً مرآب المركبات ليعود إلى اهله ، يقصـد المـرآب وفي طريقه ظهر له هذا الخاطر الذي ألحّ عليه دوماً وأرقه كثيراً ليسأله :

- كيف اخبارك ايها الفتى المراهق ؟

- ينذهل أحمد من هذا الصوت الذي أفاقه من حالة التيه الـتي غـرق بها لكنه عرفه فهو صاحبه الذي كان دوماً يؤنبه ، حتى هنا لم اهرب منك !

- ولم أنت كاره طلتي عليك ؟

- وهل بك شيء حتى احبك !

- لماذا ؟

- انت تعلم

- لأني اريد نصحك وارشادك ويقظتك من هذا النوم الذي انت فيه

- لا احتاج إلى نصائحك واتركني أعيش معاناتي لوحدي

- اتقصد فشلك وتفاهاتك :!

- وحتى هذا دعني أعيش الألم اذا لم يكن منه بد

- ليس هكذا الامور ؟

- ماذا إذن ؟

- إنك معطٍ مساحة من روحك وقلبك وكيانك لوهم سرعان ما تكتشف انه سراب لا اكثر

- لست محظوظ في هذه الحياة ولكني ما زلت مصر على الحياة

- هل رأيتها ؟

- من ؟

- خيبتك

- !؟

- اجل هي لا غيرها

- هي لم تكن خيبة ، بل هي الحياة التي لا اريد غيرها ولن أحيد عنها

- أتنظر !

- لمن

- لها

- ماذا بها ؟

- حتى هي لم تعبرك أصلاً ولم تشتاق لك ايضاً وكذبت تلك المقولة التي يقولها علماء النفس من ان الشخص الذي تفكر به يفكر بك

- ربما لها ظرفٌ منعها وعلى كلٍ فهي معذورة وعذرها مقبول

- إلى هذا الحد وما زلت تدافع عنها

- وسأبقى دوماً

- عجيبٌ امرك يا أحمد

- وما العجب وفيمَ !

- تحب ان تمارس دور الضحية وتعشق ان يقف فوقك جلاد وبيده سوط يضربك به

- انت دوماً قاسٍ بحكمك عليّ

- ليس كما تقسو عليك هذه الفتاة الجافة

- ينتفض كمن لدغته افعى واخذ يدافع عنها بكل غضب ويتوعد ويتوعد

- هونّ عليك يا هذا ، فلن تستحق فتاتك كل هذا الغضب

- بل تستحق ان افني حياتي من اجلها

- لأنك مجنون ولا تعي ماذا تفعل

- وما الحب إلاّ للمجانينِ

- الجنون في الحُب شيء والجنون في الوهم غباء وحمق

- وما انا ؟

- بالغباء والحمق

- سيأتي يوم وتراني يداً بيد معها ونتمشى على نهر دجلة وننشد اغاني الحب معاً

- لا تنم هنا وتبقى تهذي وتتفوه بالهراء فلا طاقة لي على تحمل كلمات فتىً مراهق

- ولم مازلت تنعتني بالمراهق وقد بلغت ما بلغت من العمر

- وما الذي بلغت يا احمق

- ولم الشتم هذا ؟

- ليس بشتم ، بل هو الوصف الذي يليق بك

- انا اتممت المرحلة الاولى من الجامعة وتجاوزتها بكل جدارة وحصلت على اعلى الدرجات

- ولكنك مهزوم عاطفياً وهذا لو تنحى عنك لكنت الآن بأفضل مما انت عليه

- انت تتكلم هكذا ، لأنك لم تجرب قصة حبٍ قط ولم تثر انتباه إحدى البنات فلذا انت غير مرغوب لدى النساء لذى تحاول ان ترمي بفشلك على الآخرين

- تريد ان تقلبها عليّ ، فما انت بقادر

- ولم ؟

- لأني لم اكن مهزوماً بمثل ما انت عليه

- وماذا تريد مني حتى انال اعجابك يا ترى ؟

– اريدك ان تترك امـر العاطفـة إلى حينـه وإلى الظـرف الـذي يسـمح للعاطفة ان تعبر بكل جلاء عما تكابد من شوق ولهفة

– ومتى يحين هذا الوقت الذي يسمح لقلبي بالكلام ؟

– دعه ، فالقلب لا يعي شيئاً وان تكلم هذر والهذر لا يليق بالحكماء

– انا لا اريد ان اكون حكيماً ، بـل اتمنـى ان اكـون غبيـاً في الحـب لأقصى غايات الحب

– وتلـك هـي حالتـه الآن ، لكنهـا بـالوهم والخيـالات الكاذبـة ، فمشاعرك الآن ليست بصائبة وكلها تجري وراء شيء انت ذاتـك لا تعرف ما هو هذا الشيء الذي يؤرقك هكذا

– انا اريد الحبيبة ولا غير وأعدك لن اشتكي من شيء بعدها قط

– فلو حصلت عليها لسوف تطلب المستقبل الذي يجمـع شملكمـا ويعينكما على حياة كلها عناء في عناء

– الحب لا يحتاج إلى قصور ضخمة ولا الى مال ، بل يحتاج إلى حياة كفاف ، يلم شمله بمن احب

– واين هي الحياة الكفاف ، واين هو المال الكافي لكـي تحيـا حيـاة الكفاف ؟

–سأحصل على عمل فورما أتم دراستي وسأحصل على عمل مرموق أعيش بـه ، فلـديّ مـن المشـاريع الطموحـة الـتي لـو عرضـتها علـى الحكومة ، لأخذتها وبذلك ينهض البلد وينهض ابناءه معه

– احلام واوهام لا اريد

– ليست من الاحلام في شيء ، بل هي الواقـع الـذي انـا عـازمٌ عليـه ولديّ من الطموح ما يمكنني من تحقيق احلامي

– عندما تحقق عشر احلامك تعال لنتكلم !

– ولمَ هذا الاحباط !

– لأنك في الخيال تتكلم وانا على الارض واقفٌ

– واين الخيال مني ؟

– أحمد هل ابصرت نفسك ؟

– بماذا ؟

– بحياتك وظروف المعيشة التي أنت فيها وتود تغيرها

– يصمت ويطرق بخيبة ، نعم نظرت

– ظروفك هل تسمح لك أن تبقى أسـيراً لعاطفـة لـلآن لا بدايـة لهـا ولربما لا نهاية لها

- كلامك قاسٍ ولا يروق لي والادهى إنه الواقع الذي أحاول الهروب من امامه حتى لا احرم من عذاب الحب الموهوم

- اصدق كلمة نطقتها

- لأني مدحتك بها

- وتظنني بحاجة إلى مدحك

- ولمَ لا تحتاج

- لأني لا اهتم بالمدح ولا الثناء ، فأنا بعيدٌ كل البعد عن هذه التفاهات التي يطرب لها الناس جميعاً

- ماذا تريد مني حتى تتركني وشأني ؟

- اريد منك ان تفيق من نومك هذا ، لكي تصحى من حلم الليل وقد اصبحنا في الصباح

- سأترك الاحلام ولكن الامر ليس بيدي ، لأني اجد روحي تميل حيثما يميل الفؤاد

- حتى وان كان في طريق الخطأ

- بعد صمت للحظة ، نعم

- هنا يتحتم عليّ ألاّ أبخسك النصيحة ويحتم عليّ كصديقٍ لك ان ادعمك بكل خطوة تخطوها

– لك الشكر على نصائحك ، ولكن ما المقابل الذي تريده ؟

– وهل تظن إني كما البشر لا يفعلون عملاً إلاّ والمقابل نصب اعينهم اللئيمة

– عجيبٌ امرك

– وما العجب في خاطر يترفع أن يتشبه بكم معشر الإنس .

– لماذا تلاحقني وتشفق عليّ إذن .

– لأني أجد فيك ما لا اجده في غيرك .

– وماذا تجد ؟

– اجد فيك الطموح للوصول إلى غاية لها نفعٌ انساني وحضاري على المجتمع ولك رغبة وإلحاح في تحقيق طموحك الذي يلازمك حيثما حللت

– لك مني الشكر كل الشكر والوفاء كل الوفاء

– انت فتىً عليك مسؤولية كبيرة وما زلت في اول درجة من درجات السلم وعليك ان تتجاوزها إلى النهاية

– بعون الله سأغير من هذا التفكير وهذا الخنوع لعاطفة لا اعلم إلى إين ستقودني

– هكذا انت ولن يليق بك هذا الخمول وهذا الذبول الذي عصف بك وألمّ بك

– لا عليك من الآن أعدك بأن اكون فتىً وليس ككل الفتيان

– كيف ؟

– سأترك العاطفة على جنب ، وأهتم بدراستي أيما اهتمام ، واعمل في هذه العطلة الصيفية لكي ينتفع اهلي بما كلّت به يداي ، واعيش في حدود يومي ، فأنا سأترك الماضي للماضي والمستقبل للمستقبل ، فكلاهما بعيدين عني ولست أبنهما

– هذا عين الصواب وكبد الحقيقة إن انت فكرت بهذا التفكير وصرت تقيس الامور بهكذا مقياس

– انا كانت لديّ عاطفة وهذه العاطفة لحُب لم اشهد من اطواره شيئاً بعد ولعلي لن اشهد ربما

– انت صرت بمأمن من نزوات العاطفة وبمأمن من مكر القلب وما يفكر به

– تركتهما إلى حيث الوقت والظرف والمكان الذي يجب ان تعيش في ظله

– ومن هذا الذي يسدي النصائح التي هي عين الصواب .

– انه صديقك أحمد لا غير.

- هذا الفتى الذي كله عنفوان ونبوغ وطيبة وطموح .

- يبتسم ، اجل هو .

- ما اسعدني بصحبته وملازمته حيثما حل

- وهل تحب صحبته ؟

- كثيراً

- وهل تعجبك بعض افعاله واقواله ؟

- بل كلها

- لكنك كنت غير راضٍ عنه طوال هذه المدة التي قضاها في مرحلته الاولى وهو يشهد علاقة عاطفية بريئة ربما تحصل وربما لن تحصل

- كان فتىً طيباً وبريئاً وهذه الطيبة اجتمعت عنده وطفحت مما ولدت له مشاعر نحو إحدى من لامست شغاف قلبه ، فظن تلك الملامسة ربما حُباً لكنه ادرك مؤخراً إنها نزوة من النزوات التي تعترض الشبان في مراحل عمرهم وبالأخص سن الشباب

- كلامك مقبولٌ عندي لكني لا اقبل منك ان تصف طبيعة مشاعري ورقتها وصدقها بالنزوة العابرة

- وماذا إذن ؟

- اتفقنا ان نؤجل المشاعر والعواطف لا لنلغيها فشتان بين التأجيل والإلغاء

- وقد وعدتني للتو ماذا حصل حتى تخلف الوعد

- وعدتك في إن أستإنف العواطف ولهيبها لوقتها المعين والذي سيحصل في وقته المناسب او الاكثر من مناسب

- سأصدق بقولك لأنك صادقٌ عندي ولن تستطيع الكذب عليّ ، لأني اقف بقربك على الدوام

- وهل يخفى عليك شيء أيها الخاطر الملحّ ،ولكنك وفي ، ولن أُنكر صفتك هذه

- وهل صفةٌ واحدة استحقها ؟

- هي واحدة لكنها تعادلهن جميعاً ، لأنها اساسٌ لهن جميعاً

- اشكرك على حسن الظن وصدق التعبير وروعة الاسلوب

- لا شكر ، فنحن أصبحنا رفيقين ولا ينفك احدنا عن رفيقه

- ونعم الرفيق اذا كان أنت

- ونعم الخاطر اذا كان أنت

- لنترك بعضنا الآن واتركك لتعود إلى أهلك مصحوباً بالسلامة وراحة البال وصفاء الخاطر

– اشكرك ومن عميق فؤادي أيّها الخاطر المخلص

وهكذا ودع كلٌ صاحبه ومضى أحمد إلى مرآب المركبات التي تقلّه إلى ذي قار ، فأنتظر حتى يملأ الركاب المركبة لتنطلق به إلى أهله محملاً بأغلى شهادة وهي الامتياز بمرحلته الاولى ، لم تبقَ للعواطف قوة مسيطرة على نفسه وقرر إن يعطي لكل شيء حقه من الوقت ، يصل إلى اهله فرحاً مبتهجاً والعائلة تفرح وتبتهج له وتبارك له هذا النجاح الباهر ، وصادف اليوم الجمعة ان لبيت عمه مناسبة فرح ودعيت العائلة إلى هذه المناسبة وفرح أحمد ، ولبى هذه الدعوة والفرح يملأ محياه ، يذهب مع إخوته واخواته إلى بيت عمه ورأى اجتماعاً كبيراً يضم الاقارب والبيت مملوء بالشبان والصبيان والكبار وكلٍ أخذ ألفهُ واخذ يقص عليه احاديث واحاديث كلها شوق لبعضهم بعض ، يصل إلى بيت عمه وقد تقاطرت عليه النظرات كأنها رشقات المطر ، الجميع معجب بأحمد وانه سيكون مفخرة لهم في ادبه واخلاقه وعلمه وثقافته ، يقضي نهاره في بيت عمه فرحاً مبتهجاً بما رأى وسمع من قصص وحكايات يقصها عليه ابناء عمومته ، النظام العشائري له نفوذ في ابناء الجنوب ولكن أحمد لديه رؤية مخالفة كل المخالفة لما اعتاد عليه ابناء القرى والارياف ، لكنه كتم هذا الاعتقاد وحفظه لنفسه .

ارضهم لم تعد تكفي لتعيل هذه العائلة ، فلجأ اثنان من اخوانه إلى الجيش ولجأ هو إلى الدراسة والعمل الذي يمكن له المصروف الذي يحتاجه في ايام دراسته ، عمل في البناء وتاره في معمل الاسمنت

وغيرها وغيرها حتى قضى عطلته الصيفية بهذه الاعمال التي لم تلق به ولا تناسب شخصه ، تقبل ايام الدراسة وله شوقٌ عظيم لأيام الجامعة وله توق وايّ توق لشم عبق الجامعة ، مرت العطلة الصيفية عليه شرّ ايام قضاها واجماً ، لكنه اعطى لنفسه عهداً ويجب ان يفي بهذا الوعد ، الفقر ، الحرمان ، الطموح ، هذه الثلاث اجتمعت فيه وجعلته يشتعل ويكاد يحترق بهذه اللظى ، لكنه مضى ثابت الخطى ، واثق الوصول إلى الغاية التي يسعى لها ، الايام إنقضت طويلة اكثر مما كان يتمنى وكانت كلها لم تطب له ، لأنه حرم من سماع ألذ صوت سمعه ، يتهيأ للدوام وكله رغبة في ان يوطن نفسه للنهوض بنفسه ، فقرأ محاضرات ومحاضرات و محاضرات من المرحلة الثانية ، حتى يكون على اطلاع عام على كل مواده ، وكانت هذه هي خطته وطريقته التي تمكن من خلالها ان يتفوق على زملاءه ، هل سيتفوق عليهم في هذه السنة ويحقق رغبة لطالما كانت ملحة عليه ، سينجح وسيتقدم بدراسته خطوات يتقدم كل الطلاب بها ، يهيأ نفسه ، ليذهب إلى احلى الاماكن عنده واعزها جميعاً إلى قلبه ، يرتدي ملابسه ويتوجه إلى العاصمة قاصداً جامعتها الكبرى التي هي العش والبيت لكل مبدع ولكل عالم ولكل اديب ولكل مهندس ولكل طبيب ، جامعة بغداد ، خرجت عقول نوابغ استطاعوا ان يترك اثراً في العلم والمعرفة هل ستخرج هذا الفتى لكي يكون علماً من اعلام الهندسة التي يحتاجها بلدٌ كالعراق وعلى الدوام ، ليبني صرحاً هنا وبرجاً هناك ومشفى هنا وجسراً او نفقاً هناك ، هذا ما يحتم على الفتى ان يكون على قدر المسؤولية وعليه ان يتحمل ساعات

وساعات اضافية لزيد بها كم المعلومات التي يحتفظ بها دماغه ، يقصد بغداد والمركبة تتجه به نحو العاصمة وكلما قربت منها بدأ قلبه يحن لها ويتوددها وتأخذه تلك المشاعر في ان يذوب بها ، يصل إلى بوابة بغداد حتى يبدأ قلبه يغلي كالمرجل شوقاً ولهفةً ، تمضي به المركبة حتى تجعله يدخل إلى قلب العاصمة ، ينزل من المركبة فيمضي كعادته المألوفة التي ألفها دوماً وهي ان يمضي مشياً إلى الجامعة على طوال الطريق من القسم الداخلي حتى الجامعة ، ويعشق ان يمشي في هذا الطريق لكي يستلهم منه الصفاء و الطمأنينية التي ينعم بها وهو يمشي في طريقه ، واثناء سيره يخطر له هذا الخاطر الملح عليه ليسأله :

- كيف انت يا أحمد ؟

- ينتبه له مذعوراً ، بكل خير

- لم أسألك عن هذا

- عن ماذا تسأل ؟

- مشاعرك المرهفة وقلبك الخفاق

- وتسألني وانت العليم بهذا

- وكيف لي ان اعلم وقد اقسمت لي وعليك ان تفي بهذا القسم والوعد

**– وعدتك انا ! وما زلت على وعدي لم انكث اي حرف منه**

**– هل متأكد ؟**

**– يطرق إلى الارض ويفكر ملياً ثم يجب نعم متأكد**

**– وهذا ما أرجوه لك**

**– سأمضي بما عزمت عليه ، وسأكون جاداً في الحياة لا لاعباً**

**– وهذا هو الذي يُراد منك يا أيها الفتى الطموح**

**– وسأسعى وان كانت جناحي مكسورة ومستقرة في الارض**

**– لكنك ان مضيت بما وطنت به نفسك ، فستبلغ ما تصبو إليه**

**– الحياة صعبة وشاقة ولها طرق وعرة**

**– لكن بالطموح ورباطة الجأش وقوة الاصرار على النجاح تحقق لنفسك ما تكيف الحياة لك**

**– سأترك التوفيق بهذا إلى الله وسأعمل ما يحتم عليّ .**

**– عش في حدود اليوم ، واعمل على ان تمضي يومك بأحسن حال ، ولا تفكر في السابق ولا في المستقبل ، بل فكّر كيف لك ان تنهي يومك بأفضل خاتمة ، لكي تستقبل يوماً جديداً وانت بطاقة وحيوية وعنفوان**

- وهو كذلك وعلى

الله توكلت وبه إستعنت .

- فلن يخيب من يتوكل على الله ويجعله نصب عيينه

- ونعم بالله الذي لا يترك إنساناً يسعى ويكد للظفر بمستقبل له ولعائلته واهله ومدينته

- صدقت بهذا التسلسل الذي هو يعبر بجلاء عن حب الانسان نفسه

- انا رتبت بهذا الترتيب ، لأني لا أكذبُ ولا اتملق كذباً ، بل وصفت طبيعة نظرتي في الامور والحياة كما أأمن بها

- ليبارك الله لك حياتك هذه .

- سأتركك الآن ، لأدخل إلى الجامعة ، لأني سأنشغل عنك واترك لنفسي ، تأخذ حظها من الشوق لهذه الجامعة ولهؤلاء الزملاء الذين سأقضي معهم وقتاً ربما سيطول او يقصر

- حسناً ، ولكن تذكر اني لن اتركك وسأعود إليك في وقتٍ لا حق

- اتفقنا على ذلك

وهكذا انتهت هذه المحادثة والتي قصرت هذه المرة ، يدخلُ فيسلم على الجميع ويكلم هذا ويقف مع ذاك وهذا مشتاق لهذا وذاك مشتاق لتلك وهذه هي طبيعة العلاقة بين الطلبة ، لم يسأل عنها ولم

يهتم لها ، لكنه كان يتمنى لو أبصر شخصها ووقف معها ضارباً وعده عرض الجدار ، وانتهى اليوم ولا جديد ولا حتى حادثة تستفزه وتثيره ، يعود إلى القسم الداخلي وقد بقي وحيداً بتلك الغرفة التي اصبحت بمثابة وطن ثانٍ له ، لم يجد شبيهاً له يسليه بهذه الغربة الموحشة التي يعيشها ، فهو ينظر إلى الحياة بغير المنظار الذي يرى به باقي الناس ، يمارس يومه طبيعياً هادئاً لا تكلف فيه ولاعناء ، ينامُ مبكراً ويفيق مبكراً ودوماً ينهض قبل أذان الفجر ليصلي صلاته في وقتها ، وليقرأ في هذا الوقت الذي يكون اغلب الطلبة نيام ، فهذا الجو الذي يبعث نسمات من الهواء البارد المنعش الذي تستلذ له النفس وترتاح له ، يبدأ صباحه بكل نشاط وحيوية ، فيخرج مبكراً ، ليتناول إفطاره في الساعة السابعة صباحاً وليذهب إلى الجامعة مشياً لتكون تلك رياضة له ومتعة وهو يسير في قلب العاصمة قاصداً اجمل مكان بها ، وهو مركز العلم وحقل المعرفة بها ، يدخل الجامعة ويلتفت ليرى شخصاً أحسه ولم يتبينه ، فإذا بها ندى فلم يستغرب لرؤيتها ولم يحفزه رؤيتها بعد هذا الغياب الطويل والذي عانى منه ما عانى ، يسلم عليها :

- السلام عليكم

- وعليكم السلام أحمد

- كيف انتِ ندى

- الحمد لله وانت ؟

- الحمد لله على كل حال

- هل اخذتم محاضرات امس ؟

- نعم واحدة فقط

- كنت غائبة وكنت اظن ان الدوام لم يشتد بعد

- بل إشتد من الاسبوع الماضي ، لكن الطلاب اتفقوا على ألاّ يحضروا المحاضرات ويكون الاسبوع الاول هو راحة ومتعة لهم

- دومهم هكذا ، يملون المحاضرات ، وكأن اللعب والمرح لا يوجد إلاّ بأوقات الدراسة

- وهل انتِ رافضة لهذا التكاسل واللامبالاة

- نعم وبكل شدة

- إذن فقد حصلت على من يؤيدني ويجتمع معي بما أراه

- معك في كثير من الامور وربما غير منتبه أنت

- أثارته هذه الكلمة ، لكنه قرر ألاّ يعبأ لأي كلام مثير حتى يترك المشاعر والعواطف لوقتها ولظرفها ، جميلٌ أن أجد خلاً لي

- بعون الله موجود هذا الخليل ودوماً ان شاء الله

- من المتحدث ! ندى تتكلم هكذا !

- ما بك أين ذهب تفكيرك ؟

- وهل يجرؤ ان يفارق مكاناً توجد ندى فيه

- ابتسمت وقالت لنمضي لنصل الكلية وإلاّ فاتتنا المحاضرة الاولى

- هلمِ إذن

مضيا معاً ، وهما يمزحان ويمرحان معاً، واحدهم مرتـاح إلى الاخـر وكلٍ منهما قلبه معلق بهذا لكنهم لم يفصحوا عن هـذا الميـل وهـذا التعلق ، بل انتظر احدهم يعرب عما يجول بقلبه واكتفـوا بـالنظرات والاشارات والتي هي رسل القلب الذي عـبرت عمـا يعـاني بـأجلى وضوح واصدق تعبير ، يصلا معاً ويدخلان الكلية معاً ولم يفترقـا إلاّ عند بوابة الكلية ، هذه ذهبت إلى استعلامات النساء وهذا إلى الرجال ومضى هو إلى قاعة المحاضرة ولحقته هي مسرعة ، القلـوب بـدأت تخفق لأليفها وتستطيب الكلام معه ، هو يرمقهـا بنظـرة وتـرد عليـه النظرة بابتسامة حلوة بريئة فيطير قلبه ويكاد يصرخ بتلك الكلمة التي ما أصعبها على الفم وما اعذبها على القلب ، بدأ هـذا الصبـاح عـذباً طيباً لهما وبدأت ندى تستميل بودها إليه وبدأ يشعر ويلمس هذا الود ، مازالت هي خجلة وما زال هو متردداً ، هل يصارحها بعميـق حبـه وشوقه لها ، أم ينتظر وما زال التردد سيد الموقف الآن ، ها نحـن في أول يوم من الدوام ، هل أقتحم واقصدها واعبر لها عن هـذا العـذاب وهـذا الألم الـذي اعـاني منـه مصبحاً وممسـياً ، هـل ستتقبل هـذه المشاعر المرهفة وهذه العواطف الجامحة ام ما زالت غير مطمأنة إلى

كل هذا ، بين التردد والخجل ، بقي هذا الحب وهذه المشاعر مكتومة في طي القلوب حتى اقبل اليوم الذي أذنت فيه الكلية بسفرة سياحية إلى آثار مدينة بابل ، والذي ستطاع أن يملك قلبه وعقله ، بقي اربعةً اشهر كل يوم يواعد قلبه ونفسه في ان يخبرها بهذا الحب ، لكنه ينكص ويحجم ويعود خائباً حتى إنها ملّت هذا الخوف وهذا التردد ، اربعة اشهر مضت وهو في عذاب متصل وألم يقفو بعضه إثر بعض ، لكنها الساعة الحاسمة اقبلت وآن الأوان ان اترك للقلب ان يتكلم ويعرب عما

يكابده تجاه من ملكته واصبحت اميرته ، يأتي هذا اليوم الجديد والذي يحمل في طياته بشرى واي بشرى ، إنها الفرحة التي ينتظرها بفارغ الصبر ، ليطلق العنان لقلبه ان يخرج بما يكنه من ود عظيم أصبح خطراً عليه وفتنة ، اليوم هو يوم عيد وبهجة له ، سيكلمها حين تحين الساعة المناسبة وحتى غير المناسبة ، فهو عازمٌ على ان يتخلص من هذا الهم الذي بقي جاثماً على صدره سنة دراسية ونصف السنة ، اقبل إلى الكلية والطلاب يتهيأون لهذه السفرة الممتعة التي سيذهبون إلى مدينة الحضارة العراقية البابلية ، تقدم نحوها واوعز لها ، بأنه يريد ان يكلمها فردت عليه إن سنحت الفرصة ، اتفق معها وعلمت هي بما يجول في خاطره من موضوع ، تسير الباصات المحملة بالطلبة الذين بدأوا يرقصون على نغمات حلوة تبعث في الجسد هزة ، تمضي بهم المركبات حتى يصلوا غايتهم وهي مدينة بابل الاثرية ، ينزل الطلاب فرحين مغتبطين بهذه السفرة التي احبوها واقبلوا عليها اقبالاً ،

النظرات تتبادل بين ندى وأحمد ولغة العيون هي اللغة السائدة ولكن هل يعي ويفهم تلك اللغة ام يجهلها جهلاً ، يذهب خلفها حيثما ذهبت ، لكي تبقى امام ناظريه اينما كانت ، وهي تبادله النظرة والاخرى وهو فرح وقلبه يضطرب لهذه النظرات البريئة ، كانت في غاية الروعة والجمال والاناقة التي جذبت كل الشبان لها ، فهي رائعة في كل شيء متميزة بذكائها وحشمتها وجمالها وتنسيق ثيابها ، الرقة والنعومة التي اتصفت بها كانت ظاهرة وبكل وضوح عليها ، فسلبت لُب حبيبها هذا الذي يتحين الفرصة ليعرب عما يؤرقه من هذه المشاعر الحارقة

يقبل عليها وبكل لهفة ليمضيا معاً ، الجميع منشغل بنفسه وبأليفه وها هو ، أحمد وندى يمضيا معاً ، يشعر بأن الوقت حان للتعبير عن هذه المشاعر المؤججة في حنايا صدره ولكن يأتي الهاجس ويطلب التأجيل ويلح في الطلب ولم يستطع أحمد ان يعرب عما يخالج صدره وقلبه ، سألته ندى :

- ماذا عملت في العطلة ؟

- يجيبها وبكل ثقة ، عملت عاملاً في البناء

- وماذا يعمل والدك ؟

- نحن عندنا ارض نزرع بها الحنطة والشعير ولدينا اغنام وتلك هي سبب معيشتنا

- وما انبلها وما اطيبها من عيشة

- ! ! !

- ما بك يا أحمد هل بدر مني خطأ ما ؟

- انا متعجب من فتاة مثلك ، تعد مهنتي انبل واطيب مهنة

- وما العجب في ذلك وهل هنالك اشرف من النبي محمد (ص) وكان راعٍ للغنم ، ثم افهم يا أحمد لا يعاب العمل أياً كان ، بل يعاب مد اليد والذل والخنوع

- هنيأً لي وانا بصحبة هكذا فتاة ، تنظر بهكذا منظار

- وماذا كنت تظن ؟

- ظننتكِ غير هذا الظن ولكنكِ اطيب وانبل مما تصورت

- هكذا هي نفوسكم معشر الرجال تظنون السوء بالنساء

- ليس هكذا ولكن لأني لم أبلُ العيش معكِ لكي أعي ما هي ندى ومن تكون

- وهل انت محتاج لهذا ؟

- يطرق ويصيبه ذهول ولكنه يكسر طوق الصمت ليرد : نعم محتاج

- ابتسمت واطرقت خجلة وتبعت الخجل بصمت وصمت

– ندى لديّ موضوعٌ معك وهو افضل واحلى واشهى موضوع في كل سنين عمري ولي أمل بأن تفهمي مني ما اقول وتعرفي إنّي رجلٌ جديّ ولستُ بمنافق ولا كاذب

–تقاطعه ، حاشى أحمد ان يتصف بهكذا صفات

– اصيلة كما عهدتك وافضل وأفضل ، لكن لي أمل أن احظى بمقبولية عندكِ لهذا الموضوع الذي أرقني ليلاً وجعلني أتعذب كثيراً

– لما علمت انهما بعدا عن الطلاب وبقيا بعيدين عن الجميع ، قررت ان تؤجل الموضوع وربما رفضت ان يصارحها بمكان يبعد عن الحرم الجامعي ، فقالت تعال لنساير الطلاب ونمضي معهم ، حتى لا نكون عرضة لكلمة نابية وكلمة مجحفة بحقنا واعلم ان موقفنا هذا لا ينسجم مع ما اتصفت به اخلاقنا

– ينذهل ويصاب بالدوار ، لسوء حظه الذي لازمه كثيراً وها هو حتى الآن يلازمه ولم يتركه ليهنأ مع أحلى وأشهى وأعذب امرأة في قلبه ، يرد عليها بتثاقل هلمِ لنرجع لهم

– عرفت حالة الوجوم الذي طغى على وجهه وغطى على ملامحه ولكنها قالت في دخيلة نفسها مهما يكن يجب ان تتصف المرأة بالحياء والعفة لا تعطي نفسها في مكان عام ولا يوجد مسوغ لهذا الكلام

يعود معها دون ان ينطق بحرف ، ولكنها دارت في خلدها إنه امتعض ، لأنها رفضت موضوعه فقررت ان تفهمه ، لكي تنقذه من هم ربما سيراوده كثيراً فتسوء حالته لذلك ،

أحمد انا واثقة منك ومطمئنة إلى اخلاقك ولكن للأماكن حرمة وعلينا ان نتقي انفسنا مواطن الشبهات ألم تقرأ أو تسمع المقولة التي تقول من حام حول الشبهات اوشك ان يقع فيها وان أنأى بنفسي ان اقع بموطن أعاب فيه بسمعتي وشرف أبي وغيرة أخوتي وتربية أمي ،

- وانا لم امتعض ، ولكني أجد اللذة والطيبة والاخلاق في شخصك ، فأحب ان اطيل الكلام مع من ألفتها كصديقة

- كصديقة !

- يتلعثم !!!

- شكراً إذن

- وأعمق واعز وافضل صديقة

- شكراً لك ولصداقتك التي تنم عن كرم اخلاقك وطيب اصلك

يرجعان معاً والطلاب منشغلة تلتقط صورة هنا وصورة هناك وصديقاتها يخاطبنها بأن تمضي معهن وتستأذن من أحمد على ان تمضي معهن

- أتأذن لي ان انصرف معهن ؟

- بكل سرور وعلى الرحبة

- نلتقي عند الغداء

- ان شاء الله

مضت معهن واقبلت صويحباتها يسألنها عما دار من حديث مع أحمد فردت عليهن : لا شيء حدث كنا نمشي معاً ولم نتكلم في موضوع يذكر ، بل سردنا بعضاً من الحديث ثم عدت إليكنّ ولا غير ، وتريدين منا ان نصدق بهذا الكلام

- هذا شأنكِ واعلمي إنكِ غير ملزمة ان تصدقي كلامي ولا ملزمة ان تكذبي

- ولمَ انتِ هكذا متحمسة لإخفاء شيء ما ؟

- مثل ماذا ؟

- اعجاب ، وربما حب

- وهل في هذا عيب او حرام او شيء من قبيل هذا

- لا ولكن لمَ لا تتكلمي وبالأخص نحن اقرب الصديقات إليكِ

- وماذا اقول سوى إنه لم يحدث شيء من هذا المسطور في ادمغتكن

- قالت ساره : بالنسبة لي غير مصدقة

- وشأنكِ

- أيعقل هذا من ندى ! أمن أحد الشبان هكذا !

- من اجل الحب تقصدين أليس كذلك !

- أواه ، فقد وقعت ندى إذن

- ولم لا تقع ، وهل عديمة العاطفة انا أم لا املك القلب الذي يخفق ويميل بالود لأحدهم

- قالت ساره : وقد مال !

- نعم

- وماذا أعجبكِ بهذا الفتى الذي لا يشبهكِ ولا تشبهينه ، فهنالك بونٌ شاسع بينكما

- أعجبني فيه رجولته وخلقه وطيبته واعجبني فيه شيءٌ هو أعز ما أريد في الفتى

- تسارعت الفتيات ، ليعرفنّ ما هذه الصفة التي تريدها ندى ، فقلن بصوت واحد : ما هي ؟

- الغيرة

- ماذا !!!

- الغيرة ولا غيرها ، فهنيأ للمرأة التي تحظى برجلٍ غيور

- فاطمة ترد : صدقتي فالرجل الغيور لا يهين المرأة ولا يظلمهـا ولا يهين كرامتها

- ندى : وهل المرأة إلاّ كرامة

- فأتمنى لكِ ان تكون حياتكِ كلها رغد في هناء في سعادة واتمنى ان تكوني احسنتِ الاختيار واراكِ فعلتي

- تبتسم ندى كمن داعبها وجعلها ترسل الابتسامات تباعاً ، ولكنها قالت تعالنّ لنمضي حيثما الطلاب

- ساره : حيثما مضى الطلاب !

- نعم

- كنت اظن !

- ماذا ؟

- لا شيء ، وهل الطلاب إلاّ وأحمد معهم

- تبتسم وتضرب ساره على متنها وتقول إذا رأيت أحمد فسأقول له : ضربتني ندى ولأشكونّ إليه وجعي

- ندى ترد بمزاح : إياكِ ان تفعلي

- ولمَ ؟

- ماذا سيقول الفتى عنا ؟

- سيقول إنكِ مغرمة به وساعتها سيطير فرحاً ويرقص مرحاً

- ولمَ كل هذا ؟

- لأنه صاحب الحظ الاوفر ، فهو قد سلب قلب ندى وهل ندى بالشيء القليل

- وهو ايضاً ليس بالشيء القليل

- الله الله الله على هذه الغيرة على الحبيب

- يشرق وجهها بالبشر والابتهاج ، فتقول هلمِ لنمضي إثرهم

- من هم ؟

- الطلاب وهل غيرهم احد

- الطلاب ام حبيب القلب الذي اعتصر الفؤاد وبقي ملكاً له حصراً

- يبتسمنّ جميعاً لمداعبة ساره ومزاحها الذي جعل ندى تخجل وتزداد حياءاً فما زالت تخجل من صويحباتها وتخجل منهن . فهي لم تتعود على ان تقص حكايات الغرام وما يختلج في القلب من نبض يعزف على الوتر الحساس ، هي مغرمة به وهو ولهان بها ولكن ما زال

امرهما في القلوب فقط ، يراها مقبلة وهي تضحك ويشرق وجهها متلألأ ويزداد

غضارة ونضارة ، فتبدأ الابتسامات بينهما كلٍ يعطي الآخر ابتسامة ولكنها مغطاة بشيء من الحياء والخجل الموارب عن الزملاء ، بدت قلوبهما تهيم ببعضها البعض ، وكشف امرهما بعض الشيء ، ولكنها مازلت غاضبة حانقة من هذا الاشهار وان كان حباً بريئاً ، جلس الجميع حول المائدة التي وضعت لهم والتي اشترك بها جميع الطلبة ، يجلس أحمد امامها ، فأعطته صحناً من الأرز ثم قطعة من اللحم ثم بعض الفاكهة ، وينظر لها والعين مبتسمة والثغر منفرجٌ من الابتسامات العذبة التي تتوزع بينهما ، كان اشهى يوم في حياتها وحياته على الاطلاق ، فقد أبلت من اخلاقه وعرفت عنه خصالاً وخصالاً مما جعلها تود ان تتقرب إليه شيئاً فشيئاً حتى تنسجم بالكامل معه ، ترجع ندى إلى بيتها وقد احاطتها آيات من الصفاء والراحة والهدوء وقد غمرها الحب في كل جوانبها وامست لا تعي ولا تعقل ، تسألها أمها

– ندى

– نعم ماما

– ما وراء هذا الانشراح وهذه الابتسامات التي تطلقيها في الفضاء ؟

– تبتسم وترد لا شيء

**- لا أصدق**

**- لأني ذهبت اليوم في سفرة ممتعة وقد استمتعت بها كثيراً وكانت ممتعة للغاية**

**- وفقط هذا هو سر البهجة وهذا الانشراح !**

**- وهل يوجد غيره !**

**- لا أعلم ، بل أنا أسألكِ**

**- لا شيء غير هذا ماما**

**- اتمنى**

**- تمني ولم يكن إلاّ ما اخبرتكِ به**

**- لا تنسي اني أنا أم ولدي قلب اشعر بما يجول في قلبكِ**

**- تصمت هنيئه لترد وماذا يوجد ؟**

**- انتِ به اعرف**

**- ما بكِ حبيبتي**

**- لا شيء**

– لماذا إذن تكلميني هكذا

– كيف يعني

– كأنكِ محققة وانا متهمة بين يديك

– لا حبيبتي ولكن اتمنى ان يكون ما تقولي هو الصدق

– وهل عهدتي من ابنتكِ كذباً في يوماً ما ؟

– الصراحة سابقاً لا اما الآن فربما

– تضطرب وتود ان تخبر امها لكنها خجلة وتتلعثم وبالأخص ، لم يكلمها أحمد ، ولم يتفقا على صيغة لكي يقنعا الابوين بها ، قررت ان تنتظر أحمد يخبرها بما يكن لها من عظيم الحب وبعدها ستخبر امها

– لم هذا الصمت وهذا الشرود عن الموضوع ؟

– انا معك ، لم اهرب ولم اغير اي موضوع

– حبيبتي ندى اهتمي بدراستكِ وإياك والامور العاطفية التي ستزول قريباً فهي حلوة جذابة في بدايتها ولكنها معقدة وصعبة حالما تتعمق في القلب

– اصابتها بالصميم ولم تعد تستطيع ان تنكر انها تشكو من ازمة عاطفية اقبلت عليها كقطعة الليل المظلم ولم تتركها حتى تسلبها لذة النوم وطعم الراحة والهناء ، انا تربيتكِ يا امي

- ونعم التربية ونعم البنت

- ونعم الام انتِ

وهكذا يتم تبادل الاحضان والقبلات بين الام وبنتها ويسود بينهما الحب والود والثقة وكأن موجات قلب الام انتقلت إلى البنت ، تترك ندى في غرفتها وتخرج امها لتبقى ندى شاردة في افكارها هائمة في عواطفها وقد داعبها الوسن لكنها مبتهجة بما حل بها من عظيم الود والألفة مع هذا الفتى الذي دخل حياتها ليجعل منها فرحاً وبشراً كلها ، تسأل نفسها :

- من يكون هذا الفتى يا ترى ؟

- فتىً من الفتيان لا اكثر ، وهو طالبٌ معي في ذات مرحلتي ، وهو من محافظة ذي قار وهو فتىً قروي

- وماذا يريد مني ؟

- يريد قلبي

- وكيف دخل وانا المنيعة عن اي اغراء نحو اي حب

- لأنه كان صادق المشاعر والعواطف والنفس ألفته والقلب رامَ إليه

- وهل سيتسمر هذا الحب

- ليعلن عن نفسه أم لاً وبعدها نقرر

- ألم يعلن عن نفسه للآن !

- أجل

- ولمَ ؟

- لأني قد طلبت التأجيل ريثما أكون مهيئة لعاطفة ولحب لا اعلم ما هو ومن يكون

- والآن ؟

- بدا لي إنه صادق وهو لي محب وبي مغرم ولي تواقٌ

- وهل ستسمعي له ان دعاك لحبه

- بكل سرور

- وهل سينسجم الحب ، ليطعم بخاتم في اصبعكِ

- هذا ما أبغيه لكن ليس الآن

- ولم التأجيل ، وانتِ لا تقبلين اي نوع من التواصل حتى يكون هنالك شيء رسمي

- وما فائدة الرسمي ازاء قلوب نقية وبريئة ولا تحمل الدناءة قط

- ولكنها قلوب بشر والبشر محاط بزمرة من الشياطين الذي يزينون له اعماله ليوقعوه بشراكهم

- ولكن هنالك من نجى من تلك الشراك وبقي حراً منيعاً عليها

- وما اندر أولئك !

- المهم ان القاعدة غير معدودة ولنقل لكل قاعدة شواذها

- هذا الدفاع عنه لأنكِ بدأتي تحبيه ؟

- وهل غير الحب !

- بالتأكيد نعم

- لكني اجد كأن روحي معلقة به هائمة حيثما حلّ هو وحيثما نزل

- ولربما الآن يردد كلمات هي أشبه بكلماتكِ

- وانا واثقة من هذا

- وكيف يا ترى !

- لأني أجد القلوب تتواصل مع أليفها وتفكر بمن يفكر بها

## الفصل العاشر

# خواطر الحبيبة

بقيت تنتابها الخواطر حتى غالبها الوسن فأسلمت نفسها إليه ، نامت وهي أشبه بالملاك ببراءتها وفطرتها وهدوءها ، وها هو أحمد يأخذ أطرافاً من الليل وهو منشغلٍ بما يخالج صـدره ومـا يعـتري قلبـه مـن مشاعر تكاد تحرق جوفه ، لم يهنأ بنومه منذ عرفها حتى الآن وكيف له أن يستلذ بوسن وندى بعيدة عنه نائية هناك ، هناك ويرنـو ببصـرة نحو جهة بيتها ، يكتب خواطره وما يستحوذ عليه من مشـاعر حتـى ملأ سجلاً كاملاً ، فقد اخـرج النـار ، مـن قلبـه ليضـعها في السـجل بحرقتها وبلذتها ، ثم يداعب عينه الكرى يترك قلمه او القلـم يتركـه ليسقط من يده وتأخذه سنة من النوم ثم تتبعها اغفاءة ثم نوماً عميقاً .
ينام العاشقان كل وعالمه الذي خلقه لنفسه ، ويفيـق أحمـد كعادتـه مبكراً ولربما هو أول الطلاب يستيقظ صباحاً ، فهم ينامون بعد سهر طويل ويفيقون متأخرين وما زالت في نفوسهم بقايا نومة ، ينهض من فراشه والحيوية والنشاط يدبان في جسـده ، يصـلي صـلاته الـتي مـا تركها قط ثم يغتسل وبعدها يأخذ بمراجعة محاضراته ، ثـم يرتـدي ثيابه ويخرج ليتناول افطاره وبعدها يذهب إلى وطنه الجميل ومسكنه اللطيف ، يصل الجامعـة والابتسـامة مـلأ محيـاه والاناقـة كاملـة في جسده ، يدخل واثق الخطى بطيئها ، وصل إلى باب الكلية ينعرج إلى الحديقة ، ليشم عبق من شذاها الندى وهواءها اللطيف الذي يبعث في النفس بهجة وألقاً وبشرى ويفتح الصدر ، ليسـتقبل نسـمات حلـوة لطيفة ، يجلس على المصطبة ويشعر وكأن شيئاً ما يريد ان يحدث في

هذا اليوم ولكن يتعذر عليه فهم الشيء او حتى معرفتـه ، يقـرأ ويقـرأ حتى يبدأ الطلبة بالأقبال على الكلية ويملؤنها ضجيجاً وعبثاً ، يرنـو ببصره فجأة فيرى طيفاً ولا اعذب ووجهاً ولا اشرق وثغراً ولا ابسم منه ، ينهض والابتسامة ملأ فمه ليستقبل سالبة لبه ومعذبة فؤاده ،

- صباح الخير ندى ، لم ينتظرها ترمي عليه الصباح ، بل بادرها هـو بذلك مما اثار تعجبها ! وكأنه كان ينتظرها

- صباح الخير أحمد

- ندى

- عيني

- تسلم هذه العيون الجميلة ، لـدي موضـوعً معـك ، وأود ان ألقيـه عليك واصارحكِ به ، فأني لم أعد اتحمل ثقله في صدري

- تفضل

- لنجلس إذن

- تعال إذن هنا

- فجلساً معاً والمسافة بينهما قليلة ، تكفي ليمد يده لها ولتمد يدها إليه حتى يمتزجا معاً ، جلس مقابلها والحياء يملؤها والخجل يملأه ، قرر ان يكسر طوق الصمت ويتحلى بالشجاعة ويصارحها بمـا أرق عليه لياليه الطوال .

– تبتسم له ابتسامة هادئة لطيفة ، لتقول له تكلم ، فالآن دورك وعليك ان تعرب عما يؤرق قلبك وما السبيل لانشراح صدرك

– ندى أنا أعاني من مرض صحبني لأكثر من عام وما زال يؤلمني

– اصابها ذهول وزادت دهشتها وردت عليه : ابعد الله عنك كل مرض وعافاك من كل شيء لا تقل هكذا وإلاّ غضبت عليك وأخذ بخاطري منك

– يسمع هذا الرد منها ويرى الذهول اعتراها ، فيطير فرحاً بهذا الخوف والقلق عليه ، وتخيرت من الاطباء ، فلم اجد أحداً يجد لهذه العلة من دواء يشفيها

– ما زلت تقول علة سأغضب عليك واقسم على ذلك ، قل لي ما بك يا أحمد

– مرض ...

– ماذا ؟؟؟

– يتردد ويتلعثم ، لكنه يطلقها أخيراً : الُحب

– مااااذا !

– مرض الحُب

– هذا هو المرض الذي تشكو منه

**- هو لا غيره**

**- تبتسم وقررت ان تريحه وتخفف عليه قالت : وما اسعدها تلك التي تحظى بحب فتىً مثل أحمد**

**- حقاً !**

**- اجل والف حقاً**

**- ما اسعدني بها ايضاً**

**- هل تحبها لهذا الحد**

**- واكثر من هذا واكثر**

**- ومن اين هي ؟**

**- من هنا واشار إلى الكلية**

**- هنا !!!**

**- نعم**

**- من اي المراحل ؟**

**- الثانية**

**- مرحلتنا يعني**

- اجل

- وهل اعرفها ؟

- حق المعرفة

- ومن هي ؟

- وهل غيرها

- من يا أحمد والتردد يسودهما ، والقلق يملؤهما ، والحياء يغمرهما

- ندى

- من !

- أنتِ

- وجهها الابيض يصبح كأنه قطعة حمراء ، وريقها قد جف ، وقلبها اضطرب ، ونفسها يتقطع ، وعيناها بين الرفع والخفض ، وحركاتها بين العبث والصواب ، ولسانها بين النطق والصمت ولن يصدرها منها شيء سوى كلمة تعجب ، أنا !

- أجل والله أنتِ

اثارتها هذه الكلمة وجعلتها تنذهل خجلاً وحياء ، اخيراً نطقتها يا أحمد ، فلم اكن اعلم أن لها هذا الوقع الموسقي وانت تنطق بها ، يا ألهي ما اعذبها وانت تلحنها تلحيناً وتلقيها عليّ ، سأكون اسعد بنات

الارض بك وستكون اسعد شبان الارض بي ، يسود بينهما صمت يعقبه اطراق من رأسها وحياءاً ولكنه قرر ان يبادرها بالكلام ، ليكسر حاجز الصمت والخجل

- ندى

- ترفع رأسها إليه والخجل واضح جلي عليها ، نعم

- ما بكِ ؟

- لا شيء

- وهل يا ترى أجد قبولاً لقلبي عند قلبكِ

- بكل حياء وخجل ، نعم

كمن ضرب على أم رأسه ، أحقاً ما تقول ندى ! أحقاً أصبح لقلبي قلباً يتوق له ويغرم به ! هذه الكلمة التي لا تتجاوز حروفها الثلاث ، هي السعادة التي كنت انتظرها كثيراً حتى سلبتني لذة الكرى وجعلتني أتعذب بالنوم كما اليقظة ،

- لا عذاب لنا بعد اليوم

- يفرح ويبتهج ، ماذا !

- اجل لن نتعذب بعد اليوم

- نحن الاثنان !

- نعم

- ما اروع قلبك ، ولله دركِ ما اجمل حرفكِ وأرق روحكِ

- وماذا كنت تظن ! قالتها بحدة مزاح

- كنت أخال أنّ العذاب لي وحدي

- ولمَ هذا اللؤم ، ولمَ هذه الأنانية التي تتصفون بها ايها الرجال ، أتظنون انفسكم انكم اصحاب القلوب العاشقة والنساء مجرد قلوب متحجرة

- يبتسم لها ويداعبها ، ليس هكذا ، ولكني أنا الذي اعلنت عن حبي ، وانا الذي عانى ما عانى لهذا الحب ، وانا الذي أثرتكِ نحوي ، وانا الذي بدأت الحب على حين غفلة منكِ

- ألا فأعلم ، انك ما بقيت منتظراً أياي لولا يقينك أني أبادلك الشعور ذاته ، ولولا انجذابي اليك لما استمرت مشاعرك المرهفة والحساسة لهذا اليوم

- إذن

- لا اقول الفضل لي واكون مثلك ولكن الفضل لنا نحن الاثنان

- ومن أعذب ومن ألطف من أميرة النساء ومن أرق وأنبل من ملكة الجمال

– وانت تجيد فن الغزل بالنساء واخشى من هذا

– ولمَ اذا كان لكِ حصراً

– أخشى ان يكون بحجة انه غريـزة فيـك وبعـدها تتغـزل في النسـاء وعندها سأقتلك ان تغزلت بإحداهن !

– الله ما اجمل الغيرة عند النساء وما اقساها

– وكيف جمعت الضدين يا ترى ؟

– لأنها تكون مفرطة في بعض الاحيان ، وليس لها وجـود في بعضـها الاخر

– ولكنكِ نسيت ان الغيرة هي ردة فعل لحُب ولا غيره

– اجل ، اعرف هذا وأدرك أن الغيرة هي حب التملك ايضاً

– فسأغار عليك من كل شيء ، أفهمت

– فهمت يا ملكتي وما لي لا افهم وقد وقعت في أعظم وطن

يتبادلان اعذب الكلمـات وأرقهـا وهـم في غايـة النشـوة والسـرور ، عندها تنهض ، لتقول له سأذهب الآن ، يرد وكله ابتهاج وفرح ، فقد حظي اخيراً بمراده ونال ما تمنـاه ، ولكـن سـتأخذين روحـي معـك حيثما حللتِ ايتها الحسناء ، تبتسم له وترمقه بنظرة تقطر حباً وتودعه مع السلامة ، تذهب ولكنها اعطته املاً واشراقاً وحبـاً لكـل شـيء ،

كان بحاجة إلى حبيبة تعيد توازنه فكان أشبه بالبائس الحزين ولكنـه امسى و كأنه طائراً محلقاً في أعلى السماء ومرفرفاً هنا وهناك والأمل يملأه ، لم تدخل لأي محاضرة ولم يدخل هو ايضاً ، بـل ذهبـت إلى بيتها وذهبه هو إلى القسم الداخلي وآيـات الفـرح واضـحة عليهمـا وتغمرهما غمراً ، تعود كفراشة تعبت من هم أثقل على صدرها وهـا هي تستريح منه وتنفك وتبقى حرة طليقة ، تدخل والسرور هو طابع وجهها ، فتدخل غرفتها فترمي بجسدها على فراشها رمياً بملابسها ، من فرط سرورها ذهبت في التفكير كل مـذهب ، فهـي الآن في ذروة السعادة ولا احد يستطيع ان يضـاهي سـعادتها ، رمـت بكـل اعبـاء الهموم التي اعتصرت قلبها وها هي تقع بحب فتىً وليس ككل الفتيان ، فهـذا الفتـى يحمـل الخلـق والغـيرة والتربيـة والاصـالة والرجولـة والطموح لتحقيق مستقبلٌ مشرق لنفسه ، هذا الفتى له جاذبية أخشى عليه النساء ، فربما تنجذب احداهن إليه ولربما ذابـت إحـداهن فيـه ولربما وربما واخذتها الغيرة عليه من اول يوم اعلانه حبها ، من أيـن أقبلت ايها الفتى القروي ولكـن سيمائك تشـير الى إنـك مـن قلـب المدينة ولعل روحك تتوق للعيش فيها ، وبعدها اقبلت عليها سنة من النوم فنامت وعلى وجهها ابتسامة عذبة ، هربت من الواقع ، لتذهب إلى احلامها والتي هي احلى عالم يحيط بـه العشـاق ، أحمـد يرمـق السماء تارة ويرمق الارض تارة ويسأل نفسه هل هو في الارض أم في السماء ، فنفسه فرحة مستبشرة وروحه طائرة محلقة في اعلى الفضاء ، هذا اليوم يجب ان يحفظ تاريخه فكتب في ٢٠/٣/٢٠١٠ ، وقـال يجب ان احفظ تاريخ اللقاء الاول وتاريخ الاعجاب وتـاريخ الحـب

وربما تاريخ الخطوبة وبعدها تاريخ الزواج ، فجأة ابتسم لنفسه وقال لأحفظ تاريخ السنة كلها ، لأن ايامها كلها اعياد وفرح عندي ، فكيف لي ان اخصص يوماً دون آخر ! ، ومضى الليل على خير ما يمضي من الليالي التي مضت ، نام أحمد نوماً هادئاً وعلى وجهه ابتسامه غمرت وجهه ، وغرفته التي يسكنها ، لوحده كانت خير وطن له يعيد توازن نفسه به ، فالأمل بدأ يلوح لي على احلى واتم ما اطمح به ، بدأ اليوم الثاني وأحمد يكاد يلامس السماء من فرط تعلقه بالفضاء ، فهو أشبه بطائرٌ محلق في اعلى الفضاء ، يفيق كعادته مبكراً وان كان مازال في عيينه بقية إلى نوم ، لأنه لم ينم كثيراً في هذا الليل الجميل الذي ذهب على خير ما يذهب ، الروتين اليومي ممل ، لكن الالتزام ببرنامج مخطط ومرتب ، لم يشعرك بالملل ، أراد ان يرتدي اجمل ملابسه حتى وإن خالف الزي الرسمي الذي تفرضه الجامعة على طلابها ، يريد ان يملأ عين حبيبته بشتى السبل ، وهو كذلك ، يخرج ولم يراجع محاضراته ، ولم يقرأ سطراً واحداً ، بل مضى وقته ينسق في ملابسه ويغير تسريحة شعره ويلبس قميصاً سمائياً فاتحاً وبنطلوناً اسوداً وحذاء جلد اسود ، ينظر إلى نفسه ، فلم يجد شيئاً جديداً في شكله او هيئته ! يخرج وقد أدركه الوقت ، فهو دوماً يسبقها في الوصول إلى الجامعة ، لا حباً في الوصول مبكراً بل لكي يحظى بتحية الصباح التي تلقيها عليه عندما تراه امامها وهو دوماً يضع نفسه بالقرب من عينها ، ينتظرها عند بوابة الكلية ، ليدخل معها ، فيعلن حبها علناً حتى لا يبقى أي شبه او اي ريبة في وقوفه معها ، تقبل وكأنها بدرُ ، تحييه ويرد التحية بأعذب الغزل وأرق الكلمات ،

يدخلان معاً وقد تراشقت نظرات الطلبة عليهما منها ما يفرح ومنها ما يزدري ، بدأ الاهتمام يكون هو السمة الغالبة عندهما ، فهي تهتم بأدق تفاصيله وهو يهتم بأدق تفاصيلها ، يأكلان معاً ، يقرآن معاً ، يجلسان معاً ، هي قصة حب إذن ، لكنه ليس حباً كباقي قصص الحب التي يطغى بها السخف حيناً والدناءة حيناً آخر ، بقيت هذه العلاقة بريئة نقية اصيلة حتى أتموا عامهم الثاني وهم بأحسن حال وحال ، لم يلمس لها يداً ولم تستفزه أي شهوة نحوها إلاّ شهوة الحب والشوق الذي لا يستطيع ان يقاوم حدته ، قضوا السنة واحدهم يشد من عزم الآخر حتى بزّ كل منهما اقرانهم لكن أحمد يفوقها بالمعدل ، مضت العام على خير ما يمضي ، فالحب يغمرهما والدعابة والغيرة تملكهما ،

يأتي موعد الامتحان ، لكنه لم يكن جافاً قاسياً ، بل استقبلوا الامتحانات على خير استقبال ، فكانا يشدان عزمهما حتى يثبتان جدارة في تحقيق النجاح المطعم بحب واي حب ، ينتهي العامُ ألأولُ لهما وهما على احلى وابهى عاشقين ، لم يتركها تذهب ، لتنسخ محاضراتها إلاّ وهو معها ولم يجعلها تذهب إلى النادي إلاّ وهو معها ولم يجعلها تذهب إلى مراجعة أستاذ إلاّ وكان معها ، كان كالظل لها وليس بمراقب لها ، فالثقة والغيرة هما أوضح السمات البارزة في علاقتهما الفتية ، اثارته غيرته ذات يوم ان اقبل احد الشبان من غير مرحلة ، ليطلب منها محاضراتها في العام الماضي ان كانت تحتفظ بهما ، اقبل أحمد غضباً عليه ويكلمه بحدة ، لكنه اعتذر وقال شكرا

لكم ورحل ، تنظر اليه ندى وآيات الغضب والنار المشتعلة في داخله تطغى عليه ، تسأله ما بك

- لا شيء

- انا ندى يا أحمد

- ماذا كان يريد هذا ؟

- يسأل عن محاضرات المرحلة الاولى

- ولم اقبل إليك ! ألم يكن مكتب استنساخ ويسأله ،

- لا اعلم

- حبيبتي انا اغار عليك من هذا الهوى الذي يدخل إليكِ ، فكيفَ لا أغار وارد احدهم بالقرب منكِ

- وانا مولعة بك ايها الفتى الغيور

- وانا مفتون بكِ ايها القمر المنير

- ما اجمل تلك العيون التي ترى من بنت عادية قمراً منيراً

- ليس السر في العيون ، وانما في هذا الملاك الذي ابهر القلب والعيون ، العين لا تكذبَ ، بل عبرت عما رأته ماثلاً أمامها

- إذن القلب هو الذي يصور الاشياء بهذا الجمال ، وهو الذي يصور للعين رؤيا الجمال

- وهل غيره شيء يعكس تلك الرؤى !

- أحبكَ

- ينصت ليجد في قاموس كلماته كلمة تضاهي هذه الكلمةَ ، فلم يجد إلاّ أن يردها ويعيدها بنفس النغمة : أحبكِ

- ما ألذها في فمك ، وما ألطفها وأنت تتغنى بها

- أحبكِ ،،، أحبكِ ،،، أحبكِ

- تكاد تذوبُ من فرط سحر هذه الكلمة ، لكنها تماسكت وقالت : إذن نحن على خير إذا كانت هذه الكلمة شعار حبنا

- نعم والله ولنكافح ظروف الحياة معاً

- وأنا معك في كفاحنا من أجل أن نحيا الحياة التي تليق بنا

- سأكون خيرَ حبيب وأفضل زوج

- وأنت كذلك

- ندى

- عيونها

– انا اشعر بسعادة لا تضاهيها سعادة ، واشعر بدفء وحنان ، لم اكن اشعرُ به حتى وقعت في حبكِ واحاطني قلبكِ بأسواره المنيعة

– وانا ايضاً كنتُ تائهة لا اجد للحياة إلاّ الروتين الملل والحياة الهادئة الوادعة

– وكأننا على حالة ترقب وانتظار

– لا شك في هذا ، وهل بعد الانتظار إلاّ الفرج وها قد حصل الفرج بامتزاج قلبين ، هما منذ الازل خلقا لهذا الامتزاج .

يعود أحمد إلى قريته التي يوماً بعد آخر يرى البؤس يحل بها والقحط يخيم عليها ، مال اغلب ابناء القرى للسلك العسكري ليس حباً في هذا المجال الذي هو ازهاق للأرواح والانفس لكن لجأوا من اجل معيشتهم ، الفتى مفعم بالحب ولها طاقة عالية وهمة اعلى ، يسلم على اهله فيستقبلونه استقبالاً حاراً ومرهفاً ، يسأل عن اخواته واحولاهن واحدة تلو الاخرى كما دأبه ، ثم يجلس ساعة وبعضها عند ابويه ، ليقص عليهما احاديث من الجامعة ، ينام ليفيق ، عصراً فيخرج إلى اترابه الذين احبهم وأحبوه ، فيقضي وقت العصر كله مع أصدقائهِ فيأنس بهم ويأنسون به بما يقص عليهم من احاديث الهوى والغرام مما يجعلهن يطربون إلى نغم كلامه وحسن ايقاعه في آذانهم ، يحدثهم عن الحب وجنون الحب ولكنهم لم يعلموا انه يقص عليهم بعضاً من قصة حبه ، فترى أحمد يبالغ في وصف الحبيبة ، ويجعلها القمر ذاته وربما احلى ويصف عذوبتها وتراه يتكلم بصيغة المفرد

وليس الجمع مما اثار احدهم وقال له وهل بنات بغداد كلها تشبه هذه التي تحدثنا عنها ؟ وقع هذا السؤال على أحمد بالوقت الذي نسى نفسه او كاد ، انتبه إلى كلامه وحاول ان يصرف الكلام عن نفسه ويأتيهم بقصص أحبوها وألفوها ، مساءاً يحب ويعشق ان يمشي على طرف النهر ويعبر إلى ذلك الجانب بصحبة رفيقه هذا او ذاك ، لكنه اليوم يخرج لوحده ولم يكن بحاجة إلى اي أنس ، احتاج الخلوة ، لكي يطلق لنفسه ان تنشر ما في جوفها من حب ومشاعر وعواطف ، يخرج وقد شارفت الساعة العاشرة مساءاً ، فينطلق كالغزال فيمضي هنا ويجلس هناك ويتمشى هنالك ، يصل إلى القنطرة التي يعبر بها إلى الضفة الاخرى ، فتراه يود لو حلق في الفضاء ليعبر هذه القنطرة ، فنفسه محلقة في اعلى السماء ، فما بال الجسد باقٍ على الارض ! تذكر احاديث الهوى كلها وجعل يعيد ويعيد الكلام من بداية حبه حتى يومه هذا ، بل حتى ساعته هذه ، أحمد وقعت اخيراً ؟

– ينتبه مذعوراً او كالمذعور ، ويتساءل لمن الصوت ؟

– مرآتك التي جعلتها ترى أفعالك وتعلمك اخطاءك .

– آه عرفتك وكيف لي ان انسى خاطراً طالما كان معذبي دوماً

– كيف انت الآن بعد ذلك العذاب ؟

– أتكلم ام ستسلبني تلك السعادة التي احظى بها وهذه البهجة الـتي غمرتني لا اود أن تفارقني

– تكلم ولك علي أن لن انطق بكلمة إلاّ التي ترضيك وتطيب قلبك

– وقعت في حب ، وهو الشيء الوحيد الذي جعلني سعيداً

– مباركٌ عليك هذه السعادة التي تجنيها من حب او من عمل او مـن نجاح

– حقاً هذه المباركة !

– أجل ، ولمَ استغرابك ؟

– كنت اظنك لا تحب أن تراني عاشقاً .

– انا اريدك أن تكون ذو عقل وقلب ، فلن أطلب منك أن تجرد قلبك عن عمله ولكن ليس ان يطغى على عقلك

وبقي أحمد يسأل نفسه وترد الجواب عليه وهو فرحٌ بهـذه الأسـئلة وهذه الأجوبة ، كانت القريـة في هـذا المسـاء رائعـة وكـأن ملامـح القحط والجدب قد اضمحلت عنها ، ولعلّ هذا الجمال الـذي يـراه أحمد فيما حوله يعود إلى جمال قلبه الذي صـور لـه الاشـياء بـأجلى واحلى صورة ، يرجع إلى بيته بعد ان انتصف الليل وسكنت الاحيـاء وآوت إلى مضاجعها واستقرت النفوس كـلٌّ لمـن يـألف ويسـكن ، يعود إلى بيته وقد غمره الشوق إلى بغداد ، وهذا الوقت يسلب مهـج

وارواح العشاق وحده الرب من يعينهم على ما يكابدونه من ألم يقض مضاجعهم ويؤرق نومهم ، ينام بعد جهد جهيد وبعد سهر وأرق حتى الفجر ، نام وعليه أن يفيق مبكراً ، ليذهب إلى العمل ، لكنه غاص في نومٍ عميق جداً لم يستيقظ حتى اقبل أذان الظهر ، نهض متثاقلاً وفي عيينه بقية إلى نوم أو يقظة متثاقلة ، نحى الغطاء عنه ونهض بتثاؤب ودخل الحمام ليغتسل ، يخرج من الحمام ويرى ان هذه الحالة لا تروق له ولا ينبغي له أن يستمر على هكذا حال ! فقرر أن ينظم مواعيد يومه كلها من نومه ويقظته وراحته وعمله وجده وعبثه ، يأكل طعامَ غداءه ويقررُ بعدها ان يقرأ محاضرات المرحلة الثالثة التي جلبها معه ، ليقرأ ويتقن المادة عسى أن يلم بها او ببعضها ، قرأ وقرأ حتى ادركه الملل وسأم من جفاف المحاضرات ، قررّ ان يتركها جانباً ، ويخرج إلى اترابه ويجد ألواناً من المتعة معهم ، يخرج ويعود وينام ويقرأ ويعمل هكذا كانت عطلته الصيفية ، فقد قضاها بتعب واعياء وشوق وحب ، لكنه تحمل وجلد في هذا كله ، تقبل ايام العطلة على النهاية وتقبل ايام الدوام في الجامعة مسرعة وتحمل في طياتها بشرى واي بشرى لقلب محبٍ ناحل البدنِ من فرط شوقه لوصل حبيبة تسكن في قلب العاصمة ويسكن هو في مدن الفرات الاوسط والجنوب .

كانت ندى تفكر به دوماً وتشتهي وصاله بأحرّ من الجمر وألظى من النار ، كانت تكابدُ اياماً ولياليأ حتى انها كانت تحن وتحن لرؤيا هذا

الفتى الذي لامس شغاف القلب ونفذ إلى اعماقه واستقر في مكانـه ، كيف احواله الآن ؟ ماذا يعمل الآن ؟ هل هو يعاني بمثل ما اعاني ؟ لا شك إنه يعاني من حرارة الشوق اضعاف ما اعاني منـه ، لأن روحـه تواقة إليّ وهائمة بحبي ، اخذت تتساءل لماذا لا يوجد تواصلٌ بيننا ، فأنا بحق مشتاقة ملتاعة من كثرة الشوق له ، أمها ترى حالتها فتثيرها وتجعل ندى محط نظر وعطف امهـا ، تراهـا امهـا شـاردة الـذهن ، تنصت كثيراً ولا تتكلم إلاّ لمامـاً ، وتعـيش معهـم بجسـدها ، لكـن روحها محلقة بعيداً عن الجسد ، اشـفقت امهـا علـى حالـة ابنتهـا ، فقررت ان تسألها وتلح في السؤال حتى تعرف العلة التي نحت بأبنتها هذا المنحى !

– ندى

– نعم ماما

– ما بكِ ؟

– كمن يتمنى هذا السؤال ، لا شيء

– حالتكِ لا تروق لي

– لمَ !

– انا التي تسأل

– تنصت ، ولكنها تنطق بحسرة ومازالت خجلة من امها ولا تود أن تعلن لها صراحة حبها فقررت ان تستميل امها شيئاً فشيئاً حتى تطمأن للخجل ان يمضي عنها

– ندى قولي حبيبتي ما الذي يجعل من هذا الجمال يضمحل وينكمش ، أراكِ في غير عادتك التي ألفتك بها

– هي ذاتها ندى ، لم تتغير ولم يعترضها ايّ مكروه

– وما سر هذا الذي أراه عليكِ

– تخجل وتضطرب ، ولكنها ما زالت لا تستطيع أن تخبر أمها في شيء من ذلك ، تنصت وتنصت لتبادر امها في الكلام

– هل أقبل أحدُ الشبان إليكِ ؟

– كالصاعقة وقع هذا السؤال ! لكنها ردت بكل تردد واضطراب وتلعثم ، أجل

– ومتى حدث هذا ؟

– قبل بدء الكورس الثاني

– من هذه السنة ؟

– نعم

– وماذا اراد منكِ ؟

- قال إنه يحبني

- وصدقتي !

- لا ترد بكلمة وازدادت حيرتها وأضطربت كل حواسها

- أتحبينه انتِ ؟

- هو شاب طيب وطموح وخلوق واصيل

- يعني انكِ تحبينه ؟

- ن... ع ... م

- كيفَ احببتِ شخصاً ولم تعرفي عنه شيئاً ؟ أبهذه السهولة اسلمتِ نفسكِ لفتىً لا نعرف عنه اي شيء ، هذا الظن بكِ !

- تشعرُ بخزي الضمير ، لكنها أعربت لأمها إنها لم تخطئ باختيارها وانه فتىً وليس كباقي الفتيان واخذت تعدد مزاياه وخلاله ومآثره التي عرفتها عنه

- ولمَ كل هذا الدفاع عنه ولمَ كل هذا الحرص عليه

- لأنكِ لم تعرفي عنه شيئاً احببتُ ان اعطيك بعضاً من صفاته التي جعلتني اطمأن إليه

- هل جلستِ معه ؟

- نعم ماما

- وكم مرة ؟

- خمسة مرات فقط

- فقط !

- كنت اجلس معه برفقة زميلات لي ، ليشرح لنا بعض المحاضرات التي يعسر علي فهمها ، اما لوحدي فلم اجلس معه إلاّ عندما صارحني بعميق حبه وغرامه

- ماذا كان يقص عليكِ ؟

- احاديث عن الحياة واحاديث عن طموحه ، واحاديث عن حياته الصعبة والشاقة

- هل من بغداد هو ؟

- لا

- اين إذن ؟

- محافظة ذي قار

- مااااااااذا !

- هو من سكان القرى في محافظة ذي قار

– ماذا دهاكِ ! ما اتعس حظي وحظك بهـذا الفتـى القـروي ، أأنـت عاقلة عندما تتكلمين ! أأنتِ فاهمة ماذا تنطقين !

– وماذا هناك يا امي

– سواد وجهكِ ووجه امكِ

– وجهكِ ابيض ناصع البياض دوماً يا امي

– من القرى ، فلاح يعني ، ابن فلاح وليس فلاح ، ولربما لديه اغناماً يرعى بها ، لا شك ان له اغنام يرعى بها

– اجل هم لديهم أرض واغنام يرعون بها اخوته الاصغر

– وما الفرق اذا كانـت الاغنـام تعـيش معهـم في البيـت وتشـاركهم طعامهم وشرابهم ربما

– ليس هكذا يا امي

– ماذا يعمل هو ؟

– طالب في كلية الهندسة وهو من أذكى وافضل الطلبة عندنا

– سألتكِ ماذا يعمل الآن ؟

– طالب

– لا تلعبي بأعصابي

- يعمل في ارضهم وبعض الاحيان عندما يشح الرزق يذهب إلى مجمع العمال ، ليعمل في البناء

- أيعقل هذا ! ثمرة البيت وفرعه الطيب ، يكون نصيبها هذا الفتى القروي ، راعي الاغنام

- كلها خلال لا يلام الرجل عليها بل هي صفات حسنة تبعث في النفس همةً وطموحاً ورغبةً في الوصول إلى ارقى وارقى درجات الرقي

- ندى حبيبتي ، هذا الفتى لا يناسبكِ ولا يناسب طبيعتنا وكيف لكِ ان تعيشي معيشتهم إلاّ ان تكوني ولدتي عندهم ودرجتي في بيوتهم وبنفس ظروفهم

- جن جنونها لسماعها هذه الكلمة ! ولمَ يا امي لا يناسبني ! ألم يكن معي في ذات الجامعة ، ألم يكن بذات المستوى الثقافي معي وان كنت لا اشك انه يفوقني مرات ومرات

- كلامك خالٍ من المنطق والعقل ، بل هو كلام عاطفي ولا يؤخذ به

- حتى انتِ لم تطرحي سبباً لرفضكِ الفتى !

- رفضته جملةً وتفصيلا ، فهو لن يكون زوجكِ المناسب ولن أوافق عليه قط

- ماما ماذا حصل ، أيعقل هذا منكِ ، ألم تقولي ان الحب والتفاهم أهم ما في الحياة الزوجية

- بالطبع قلت هذا ولكن لا ان تختاري عبثاً وشخصاً لا يناسبكِ

- أعدكِ يا أمي لو جلستِ معه ساعة أو بعضها ستعدلين عن رأيك هذا واقسم على هذا

- لا أريد أن اجلس معه ولا أن احادثه ، وعليكِ من الآن أن تكفي عنه وتتركيه

- ماذا !

- وهل انتِ على تواصلٌ معه ؟

- لا

- ولماذا لم يكن هنالك ثمة تواصل

- ألم أقل لكِ

ماذا ؟

- إنه فتىً طيب واصيل ويتحلى بخلق عظيم وشرف ، شريف ولا يقبل أن يكون تواصلاً حتى يحصل بيننا شيء رسمي

- خطوبة !

- نعم

- وهل تكلمتم في هذا ؟

- نعم

- أظنكِ تكلمتِ معه في كل شيء ولم تضمري عليه شيئاً

- بل هو من تكلم وقال انه يريد ان يدخل من الباب

- أيحبكِ بمثل هذا الحب الذي تحبينه ؟

- وأكثر وأكثر وأكثر ، ان انا إلاّ نقطة في بحر حبه وغرفة من محيطه

- انا يهمني سعادتكِ وفقط ، ولا ارى أن لك سعادة بهذا الاقتران

- لا تكوني قاسية يا امي

- ومتى كنت قاسية معكِ ؟

- ابداً لم تكوني ، لكنكِ الآن تبدين أكثر قساوة من كل الظروف التي تصحبني

- افهمي انا اريد لكِ زوجاً صالحاً ، تقرُ عينكِ به ويجعلك بمأمن من ضروب الحياة المختلفة ويكون لكِ حياةً كاملة

- وهذه مواصفات كلها في أحمد وان كانت بعضها هذه

- شهادتكِ فيه لا تصح ، لأنكِ تحبينه

- حتى وان كانت هي الحق الذي لا شائبة فيه

- اسمعي ندى وافهمي ما اقول ، عليكِ أن تدركي أن اباكِ وإخوتكِ لن يقبلوا بهذا الفتى ولن يسمحوا أن تتزوجي رجلاً بعيداً عنا في كل شيء

- يا إلهي أيعقل ان تتكلمي بهذه الطبقية يا أمي ؟

- نعم يعقل هذا

- كيف لكِ ان تفهمي ذلك بهذه الصورة المادية

- أظن أني قد أعطيت رأيي حول مراهقتكِ التافهة والحظ التعيس هذا

- لكن يا أمي هو معي في ذات القسم وهو من أذكى وأبرع واطيب طالب في كل الكلية حتى ان الاساتذة استشفوا له مستقبلاً مرموقاً وهو سيكون استاذاً في الجامعة في ارجح الظن

- هذه الوعود الوردية لا احبذها ، ولا احب سماعها فأقتنعي بها انتِ

وتركتها مذهولة مشدوهة من قساوة هذا الكلام وحدة نبرتها التي لم تسمعها طوال عمرها ، كيف ستخبر أحمد ، سيغضب من هذا الكلام ، وأنا لن اسامح نفسي ان اغضبت حبيبي الذي هو الأمل وخير أمل وشريك حياة وخير شريك ، سيفهمني وسيتقبل رد امي برغم غلظته .

أحمد يقبل على الجامعة ولا أرض تسعه ولا سماء تظله ، فالفرحُ بادٍ عليه والابتهاج يغمره ، كان فتىً رائع المنظر والهيئةُ فقد غير تسريحة شعره بما تحب ندى واوصته بأن يحافظ على لحيته مدرجة ودخل الجامعة بكامل الاناقة وحسن المنظر وهمه هو الوصول حتى يقابل شخص الحبيبة ، ليشكو لها ألم الشوق الذي عانى منه ما عانى ، يقبل عليها أحمد وهو بذات الوجه البشوش الذي تطغى عليه اسارير الفرح والسرور ،

صباح الورد والياسمين المعطر بعبير الورد

- صباح الورد حبيبي

- كاد ان يصرخ لولا ان اسكتته ، حبيبي كلمة هي اجمل الكلمات التي سمعتها طوال عمري ، حبيبتي انتِ

- كيفَ أخبارك ؟ كيف امورك ، هل تعلم اني مشتاقةٌ إليك

- يا الله ، يا الله ، يا الله ماذا اسمع ! هل أنا حي ! هل أنا نائم !

- لا يا حبيبي أنت حي ويقظ

- ندى كلماتكِ تلامس شغاف القلب وتفذ إلى اعماقه ، وأنا أكاد اذوب بكِ

- وانت صاحب أرقى وأعذب كلام وألطف بيان واحلى تعبير

– ما هذه الموسيقى العذبة التي أريد أن ابقى اسمع منها واسمع حتى أطرب لها ويرتوي قلبي من سماعها

– لهذا الحد صوتي يعجبك !

– واكثر واعذب واحلى واملح يا ايتها الحسناء الفارعة القوام ، وحسنة الوجه ، وطيبة الاصل ، وكريمة المحتد

– أكاد أذوب وأنا أصغي إلى سماع هذه النغم الحلوة التي هي أعذب وأشهى ما أسمع ، حتى إنها أنستني ما اردت أن اخبرك إياه

– ماذا حبيبتي تكلمي

– اخبرت امي عن قصة حبنا

– نعم ! ! !

– ترمقه لترى علامات وجهه ، علامَ تدل لكنها رأت اسارير البشر تطغى على وجهه ، ففرحت لذلك وبعدها إسترسلت ، لتخبره عما دار من حديث وكيف بدأ ، وكيف كان النقاش يقاطعها فجأة

– وماذا كان ردّ أمكِ عليّ ؟

– تصمت وتطرق بوجهها ثم تشيح بوجهها ذات اليمن وذات الشمال حتى قالت له : لم تقبل بهذا الحب ولم ترضَ عني وعنك

– توقعت أن يكون هكذا ردها ، قالها بكل اتزان وثقة

– تعجبت من هذه الثقة ومن هذا الجواب ، لكنهـا سـألته ، وكيـف توقعت هذا ؟

– لأنها لم تعرفني ويقول المثل الدارج : من لا يعرفكَ لا يقدرك

– اعجبها هذا الرد منه ، فهي لا تريد أن يغضب حبيبها لذلك فرحت لتقبله ردة فعل امها فشكرته على حسن الفهم

– وهل تنال الحبيبة إلاّ بجهدٍ جهيد ومعاناة يتبع بعضها بعضاً !

– حقاً هكذا ،أنت تنظر إلى الموضوع !

– اجل

أخذت تقصُ عليه طبيعة أهلها وإنها الوحيـدة لهـم والمـدلله واهلـها صعبين من ناحية تزوجيها ، أحمد

– نعم

– هل سيكون الفارق المذهبي عائقاً بيننا ؟

– من ناحيتي ، لن أهتم لهذا الاعتبار وانا راضٍ بكِ كيفما تكوني على اي دين واي مذهب الهم عندي شخصكِ وروحـكِ ، لكـن حبيـبتي كيف ينظر اهلكِ إلى هذا الامر ؟

– تنصت وتتردد لتقول : اغلب الظن لا يوافقون ، لأنهـم مسـتبدون برأيهم كثيراً

– سأسعى لنيل رضاهم واحظى بقبول منهم وسأبذل قصارى جهدي في هذا

الخشيةُ والخوفُ على مصيرهما يبدأ من الآن وكلاهما ممسك بقلبه يترقب الاحداث التي ستقبل عليهم ، يحاول ان يسليها وينسيها مرارة وقساوة الكلام الذي سمعته من امها امس ، فيطلب منها ان ترافقه ، ليذهبا إلى النادي ، ليأكلا طعام الافطار معاً ، تمشي معه وقلبه يخفق له وقلبه مولع بها ، يسيران وكأنهم ورود تمشي على الارض ، كانت في غاية الجمال وقد إرتدت احب ثيابها إليه وهو المانتو النيلي ، فكانت تحب هذه الملابس لأن أحمد كان يعشقها ، قضوا بعضاً من الوقت معاً في ألوان من احاديث الغرام التي تعصر القلب ، كان أحمد صادقاً في مشاعره لذلك وصلت تلك المشاعر إلى قلب ندى بأعذب صورة وأروع تعبير حتى لا مست كلماته شغاف قلبها وأقشعر لها بدنها ! يستمر الحب بينهما ويكبر وكلما كبر الحب تعمق في القلب اكثر واكثر حتى امسى احدهم مدمناً على الأخر ! صديقات ندى معجبات بهذا الفتى الذي يحمل ملامح الرجولة كاملة ويحمل الطيبة والغيرة الجنوبية التي اتصف ابناء الجنوب بها ، فتقبل ساره لتمازح ندى : كيف رأيتِ حبيبك المتيمِ ؟

– اروع واطيب وانبل من رأيت في كل حياتي

– يا الله ، يا الله ، يا الله !!!

– واكثر من هذه ، فهو طفرة من جنس الرجال ، الغيرة ، والاهتمام ، والتفاهم ، والثقافة ، والادب ، والطموح ، كلها طافحة فيه فكيف لفتاة لا تذوب بهكذا رجل

– ترد فاطمة : لو كانت واحدة من هذه الصفات لوافقت بالزواج بأي منهم يطلب يدي

– ترد رند : أحمد يبدو انه طيب ولكن ، هلّ اتفقتم على شيء

– ندى : مثل ماذا ؟

– ساره : خطوبة يا مهندسة

– ندى : نعم تكلمنا ، لكن لدينا بعض الامور، نريد أ ن نرتبها معاً ونتفق عليها .

– ربي يسعدكم حقاً ، تليقان بعضكم لبعض ، هكذا ردت رند

– شكراً لكِ حبيبتي

واستمرت ندى معهن تقص عليهن ألوان من أخلاقه وطيبة وغيرته وطموحه الذي يلح في تحقيقه والبنات يسمعن منها ويعجبن بهذا الاختيار المناسب .

# الفصل الحادي عشر

# الاعلان عن الحب

كانت ايام الجامعة كلها عيدٌ وافراح لهما ، فيجدُ أحمد اللذة كل اللذة بالحديث معها ويكاد يذوب قلبه بها ، وكانت ايام العطل التي تعترض السنة الدراسية ، هي اشر ايام على العشاق الذين يجدون الجامعة مكاناً لعشقهم ، كانت المرحلة الثالثة ، هي المرحلة التي عاشها أحمد بأحلى واعذب سنة في كل حياته حتى الآن ، الحبُ هو اجمل ما في الحياة جملةً وتفصيلا ، يومياً يقضيان شطراً من الحديث معاً ويستلذان معاً حتى اقبل اليوم الذي يبدأ الامتحان الكورس الاول ، عندها كانت لديهم عطلة اسبوع قبل الامتحان ، اقبل إليها يطلب منها ان يكون ثمة تواصل معها فترد بصمت واطراق واحمرار ، يعتري وجهها وذبول في هيئتها عموماً ، لكنها لم ترفض له طلباً قط وواعدت نفسها ان تسعده بقدر ما يبذل من اجلها ،كانت ندى تنظر لأحمد وكأنه الفتى الذي لا يشبهه فتىً من الفتيان ، تفهمه ويفهمها وتتمنى ان يقر عينها بهذا الطموح الذي يحمله وهذا النبوغ الذي يتحلى به ، تغار عليه عندما تقبل بعض الزميلات يطلبن منه ان يشرح لهن بعض المحاضرات ، فيبتسم لها ويعدها لن يشرحن لأي منهن وهي ما زالت تدلل عليه وهو فرحٌ بهذا الغنج وبهذا الدلال ، مرت عليهم فترة ضعف مستواهم الدراسي وفترت همتهم حتى انتبه ذات يوم واخبر حبيبته :

– ندى علينا ان نضع العواطف والمشاعر على جنب ونتنبه لهذا المستقبل الذي بين أيدينا

- تتفاجأ من هذا الكلام ، وظهرَ الوجوم على وجهها وقالت له : وشأنك ان اردت ان تضع القلوب جانباً

- ليس القلوب يا حبيبتي وإنما نحن الآن نمر بظروف هي صعبة ونحن نصارع الزمن حتى نخرج منه بمستقبلنا الذي رسمناه معاً

- وماذا تريد مني ؟

- نخفف تواصلنا ومكالماتنا ونضعها لأوقات الشوق ولهيب العواطف الجامحة

- تمام أوافقك الرأي

- عن طيب خاطر وتقبل الموضوع أم عن خصام ودلال ؟

- خصام طبعاً

- وهل بين المحبين يقع خصام ،فإذا كان ، فإنه افضلُ واعذبَ وأرق خصام

- هذا انت ما زلت تمارس الحب بالرغم انك تريد ان تضعه جانباً !

- حبيبتي ان اضعه جانباً ليس ان ألغيه ، بل تكاد روحي ان تموت في اليومِ الف ميتة ، لكني أستلهم العزيمة والقوة منكِ

واتفقا على ان يتركا أمر العواطف في القلب ولا يتركا هذا المستقبل الذي يلوح أمامهما وعليهم ان ينجزا ما بين ايدهم من دراسة ، بقي

تواصلهم في الجامعة طبيعياً جداً ولكنه لا يكون تواصلاً خارج الجامعة إلاّ في حالات اشتداد لهيب الشوق فيما بينهم ، فيتصل أحدهم على الثاني ، فيجد الثاني كأنه ينتظر هذه المكالمة بأحر من الجمر ، ويستمر وضعهم هذا حتى انتهت العام على خير ما ينتهي ، وتواعدا ان يكونا من الأوائل حتى يقدما معاً للدراسات العليا فمضى هذا الوعد كأنه دستور ألزما نفسيها به ، كانت حياتهم حلوة لطيفة هادئة لم يكدرها أي كدر ولم يعكر مزاجهما أي معكر ، الغيرة كانت فيه طافحة جداً ، فهو يغار عليها حتى من هذا الهواء الذي يقبل عليها ، كانت هي تتفهم هذه الغيرة وتعشقها وتعدها عاملاً مهماً في تدعيم الحب ، يذهبون إلى النادي معاً ويقرأون معاً فيخوضون في ألوان من الكلام دون ان يشعرا بملل أو ضيق ، فكانت حياتهم باسمة لهم بأوسع ما تبتسم الحياة لأبنائها ، كانت أمارت الحب طافحة عليهما حتى يخيل إلى الناظر إنها روح واحدة شقت إلى قسمين .

تعود ندى إلى بيتها في يوم من أيام الدراسة وذهنها مشغول وقلبها غارق بهذا الفتى وهذا الحب الذي ألهب مشاعرها واحاسيسها وجعلها ثائرة بتلك العواطف وتلك الاحاسيس ، تدخل إلى بيتهم وتسلم على أمها وتدلف إلى غرفتها مسرعة ، رمت محاضراتها وبعثرتها على الارض ورمت بجسدها على فراشها ونامت على وجهها ، اقبلت إليها أمها لتسألها :

- ندى

– تفيق وتعدل من نومتها ، نعم ماما

– ما بكِ ؟

– تحاول أن تموه على أمها بأنها متعبة ولا شيء غير هـذا ، لا شـيء سوى اني متعبة واشعر بالنعاس

– ما كنت اتوقع هذا منكِ

– ماذا ماما

– منذ متى تخفين عن أمكِ ما تعانين منه وما تتعرضين له

– أصابتها بالصميم ولم تعد تنطلي عليها حيلها وتمويهها على أمها ، فلقد وضعتها بمرمى حجر وعليها ان تفصح عما يختلج في صـدرها وإلاّ فأمها لن تتركها ، تتردد والـذهول يغمرهـا ، فتكتفـي بـأطراق رأسها خجلاً وحياءاً

– حبيبتي ندى ، أليس أمينة سركِ أنا وصديقتكِ الوفيـة الـتي لم ولـن تخذلك قط

– نعم والله فأنتِ الوحيدة التي أمن وأطمأنَ لها .

– مادمت هكذا ، كيف هان عليكِ ان تكتمي أحوالكِ عني ؟

– لم يهن عليّ ، ولكني خجلة منكِ ولا أملك الجراءة ، لكـي أبـوح لكِ مما اكابده واعاني منه

- وهل بين الأم والبيت هذه القيود ؟

- لا ولكن كلما أردت أن اصارحكِ بما يختلج في داخلي لا أملك لساني ، فأكتفي بالصمت وانطوي على نفسي

- لا يا حبيبتي لا تقولي هكذا ، فأنا أمكِ ولا توجد بيننا هذه القيود

- وبالفعل لا توجد اي قيود

- الآن تكلمي ما بكِ حبيبتي ؟

- أحمد يريد ان يخطبني ؟

- ماذا !

- نعم

- يعني إنكِ مازلتِ على تواصلٍ معه ولم تكفي عنه

- تطرق برأسها ولم تعلق سوى كلمة : أحببته

- وكيف لكِ ان تحبي شخصاً مثله ! ندى هنالك فوراق جمة بينكما فنحنُ لا نعرف عنه شيئاً وهو شيعي وانتِ سنية ، هل سيقبل ان يتزوجكِ واضافة إن هنالك فوراق كبيرة بينكما

- اصابها الذهول من رد أمها وأحست إنها بدأت تحارب من أجل حبها ويا ترى هل ستكسب الحرب أم ستقع شهيدة لحبها ولقدرها ، فلم تعلق على كلام أمها بحرف

– إياكِ ان يصل الموضوع إلى أبيك وإخوتكِ وإلاّ فيومكِ عسير

– أتركوني واختياري ، أنا لست طفلة ولا بمراهقة طائشة ، بل دعيني اختار شخصاً أعيش معه بحب طوال حياتي أرجوكِ يا أمي

– المسألة إنكِ لم تحسني الاختيار ، فكيف لكِ ان تعيشي معه وانتِ بعيدة كل البعد عنا ، فأنا لا اتحمل بعدك يوماً واحداً ، فكيف لي ان اتحمل الصبر على بعدك وانتِ هناك هناك في اقصى الجنوب

– وأنا سأكون سعيدة معه يا أمي وأتفقنا على كل التفاصيل معاً

– ما شاء الله عليك ! تتصرفين وكأنّ الامر كله بيدك

– على العكس ، فالأمرُ كله بيدكم وأنتم أهلي وعزوتي وكل ما أملك ، لكن هل يهون عليكم ان تكسروا خاطر أبنتكم الوحيدة !

– لم ولن يهون ولكن ..

– ماذا يا ماما

– لا أعرف

– لما رأت التردد بادٍ على أمها والام لا ترفض لأبنتها طلباً ولكن تسعى جاهدة لمتعتها وسعادتها ، ولكنها تود أن ترى الفتى وتسمع منه

– سيتشرف بالمثول عندكِ وهو مستعد أن يتحمل كل شيء من أجلي
.

– هل أنتم على تواصل عبر الهاتف ؟

– نعم ماما

– منذ متى وأنتم تتواصلون ؟

– من مدة وجيزة

– اليوم أريد أن أكلمه واسمع منه ، عسى أن أجد حلاً أقنع به أباكِ

– تقبل امها وتحضنها بقوة وتردد آيات الشكر والثناء على أمها

– تبتسم لها وتحضنها وتقول لها : لا يهمني إلاّ مصلحتكِ يا ندى وهمي كل همي هو سعادتكِ ارجوا ان تفهمي هذا يا حبيبتي

– افهم وبكل وضوح ، ولكن أريد منك حلاً لنقنع أبي بهذا الفتى ، وأنا مستعدة أن اعيش معه وليكن تحت ظل بيت من بيوت الطين او من سعف النخيل

– ماهذا الايثار وما هذه التضحية من اجل الحب !

– أخترتُ شريكَ حياتي وعلي تقع تبعات ذلك الاختيار ، وأعدكِ لن أتذمر ولن أشتكي قط منهُ .

– تنصت وترى نفسها غير قادرة على اقناع بنتها بأي نصيحة تسديها إليها ، فقالت سأكون معكِ لا عليكِ يا حبيبتي ولكني أم وأخشى عليكِ أن تقعي بقصة حب كاذبة وما أكثر تلك القصص التي نسمعها ، فسرعان ما تتلاشى تلك الحياة القصيرة وتنقلب إلى بؤس وجحيم لا يطاق

– لن يكون هذا قط ، أحمد يعدني روحه التي بين جنبيه ولن يفرط أو يقصر بحبه إياي ولا إهتمامه وغيرته عليّ

– سأكلمه وأنظر في الأمر

– سأكون سعيدة حتماً ، لأنك ستتعرفِ على رجل وليس ككل الرجال

– هذا ما أقدره أنا وليس انتِ

– !!!

تلجأ إلى الصمت وتكف عن الجدال الذي لا ينفع ، فهي فرحة ، لأنها أحست وكأنها قطعت شوطاً من المسافة لتقرب أحمد لعائلتها واقرب الابواب للولوج إلى العائلة يكون عن طريق الأم هذا ما أدركته وأخذت تعمل الحيل في بلوغ رضى أمها ،

واتصلت بأحمد ، تنبئُ بما حصل لها مع أمها ، وإنها ستتصل به لتكلمه ، وعدها أحمد أن يكون عند حسن ظنها به وسيكون متقبلاً لكل كلامها ولن يغضب ولن ييأس ولن يقنط ، هذه الوعود أخذها

أحمد على نفسه ، ولكنها أصرت على وعد لم يعدده كما عدد وعوده الكثيرة تلك

– أحمد

– نعم يا أرق وألطف من نطق بأسمي

– نسيت وعداً لم تضفه إلى قائمة وعودك الكثيرة

– ما هو يا عزيزتي وطفلتي المدللة

– أن لا تتركني

– وهل أستطيع العيش بدونكِ ما عاذ الله أن اهنأ أو يغمض لي جفن أو يهدأ لي بال وانتِ بعيدة عني فكيف لي بتركِكِ !

– حقاً يا حبيبي

– وألف ألف حقاً يا نبض قلب حبيبك الذي ألهبت كل أحاسيسه هذه الكلمة

– وما هي ؟

– حبيبي

– وما رأيك لو خاطبتك بأحلى وأشهى وألذ منها

– كرمٌ منكِ مشهود ، وسعادة تغمرني لا يعلم بها إلاّ الله وانتِ

- يا حبيبي انت

- وما هي ...

- أ ح ب ك ......

بكل روية وهدوء ، يشبه الهمس وقطعت حروفها تقطيعاً يكاد يشبه تلحين أغنية رومانسية هادئة فأثارته حتى عجز عن الرد ولم يبوح بحرف ولم يتمكن من النطق ، بل لجأ إلى الصمت والصمت والصمت ، ليبقى يستلذ بوقع هذه الكلمة التي أيقظت روحه من سباتها التي إعتراها ، وبقيت تناديه وتناديه وهو لا ينطق وكأنه بحالة إغماء وقد خدرته ندى بمخدرها الذي لا يقاوم ،فسقط الفتى ببحر حبه لها وعميق شعوره نحوها ، بقيت تناديه وتناديه حتى هددتهُ بأنها سترحل وتغلق الخط عندها أفاق وقال : ما ألذها من كلمة وما اجمل وقعها في القلب يا ملكة البيان ، تعبيرك يدخل إلى عمق احشائي ، فيلامسها وينفذ إلى باطنها ، فيستقر في مستقر قلبي ما بين الخفق والنبض تقع تلك الكلمات ، ويستمر الكلام حتى يبلغ الفجر ، أن يطل عليهما ، فأحست بتثاؤب واحس بنعاس ، عندها قررا أن يناما على أمل اللقاء صباحاً عند الجامعة حيث مكان ولادة حبهما واستمرار عشقهما ، ينهيان المكالمة بحب كما بدأها بحب ، يقبل الصباح وفي عين كلاهما بقية لنوم لم ترتوي منه بعد ولكن الدوام يكون سلوة لهم من النوم ، يستقبلها منتظراً على الدوام وكأن تحية الصباح هي اول الغيث لبدء نهارٍ جميلٍ لهم ، يدخلان معاً وكأنهما

مخطوبان ، ولكن ولا خاتم يزين يديهما ، ولا قـران يلـم شملـهما ، الحب كان ملاذاً لنفسيهما للترويح عما يكابدان من ضيق وشـدة في حياتهم ، ذات يوم جلساً علو المصطبة في وسط الحديقة التي تحيط الكلية من كل الاتجاهات ، تسأله ندى

– حبيبي

– روحه

– أود ان أسألكِ واخشى سوء الفهم

– وهل يفهمني احد غيركِ وهل يفهمني شخصٌ غيركِ

– يا حبيبي لأني لا أريد أن اثقل عليكِ بسؤالي ، فيحدث سوء بالفهم ، أنا اخشاه ولا اريده أن يقع بيننا

– لن يقع مطلقاً بعون الله ، فنحن قلبٌ وروحٌ واحـدة ، كيـف لهـذا الامر أن يحدث

– متى ستفاتح اهلي بموضوعنا ؟

– لم يتفاجئ ، بل فرح واستبشر وكأنه منتظرٌ هذه الافتتاحية ، اتمنى اليوم قبل غد والان قبل بعده لكن يا حبيبتي انـا لسـتُ مهيـاً للـزواج حسب مقايس اهل المدن ، فلو كنـا هنـاك لمـا كلفنـا الـزواج تلـك التكلفة التي سيكلفنا الآن ، يا ترى ، هل سيقبل اهلك بزوج لأبنتهم لا يملك بيتاً ولا عملاً ولا إيٍّ مؤهلٍ يؤهلني لطلب يدكِ

**- حبيبي تعال ، لنجد حلاً لهذا إذن**

**- وانا معك ومستعد لأي فعل اقوم به لنلم شملنا ونروي ضمأ بعضنا بعضاً .**

**- بكل الاحوال ، الزواجُ لا ينفعنا في مرحلة الدراسة**

**- بعد اطراق وصمت يتردد بكلمة ، نعم**

**- ولكن علينا ان نسعى لعقد القران ، لنكون لبعضنا البعض أمام الله والناس**

**- وهذه أمنية ولكن هل سأنالها ؟**

**- سأستعين بأمي ولكنها تشابه أبي بالتفكير وامي لا تريد ان اتزوج بعيدةً عنها أقصى الجنوب**

**- تلك سنة الحياة ، فالمرأةُ خلقتُ لزوجها وأطفالها وليس لتقضي العمر كله مع أهلها**

**- بالتأكيد ، لكنهم أولياء أمورها ولهم الكلمة الفصل في ذلك**

**- بالفعل هذا ولكن هل يعلمون إنّ قلباً يكاد يتفطر أسىً ولوعةً**

**- لا يعلمون ذلك ولو علموا لربما أشفقوا ولربما غضبوا ، فما زال أهلي شرقيين في نظرتهم نحو المرأة**

- ولكن علينا ان نسعى جاهدين لإقناعهم ، فأنتِ عليكِ أهلكِ وأنا عليّ أهلي

- حسناً لنبدأ إذن كفاحنا من أجل عقد القران الذي نسعى إليه سعياً

- أحمد سيكون أسعد من يمشي على الأرض بحبه وزواجه

- ندى ستكون أسعد نساء الارض بحبيبها وزوجها

يسود بينهما الحب والدعابة ساعة وبعض ساعة ثم يفترقان ، ليدخلا المحاضرة معاً ، كانت حياتهم في الجامعة حب كلها ومزاح ومرح وكانت عملية ، فلم يملك الحب عليهم كل شيء ، بل عصى الدماغ ان يخضع لسلطان القلب والهوى ، بل استمرا على محاضراتهم ودروسهم ولم يفرطا في درس قط ، ذات يومٍ كان عيد ميلاد لدى صديقتها رند ، فعملته في الجامعة ودعت صديقاتها فقط ، كانت ندى تضحك وتمزح وهي في غاية السرور والبهجة والرضى ، فمر عليهن أحمد ، فنظرت إليه البنات كلهن إلاّ حبيبته فكانت هي المتحدث وانشغلت بمزاح زميلاتها فبقي يرمقها بنظرات حب بريئة وهي مستمرة بضحكها ، فنظرات البنات إليه وكيف ينظر لها فنبهتها احدى صديقاتها بأن شخصاً ما يسترق السمع والنظر لها ، فالتفتت وإذا به شخص الحبيب فخفضت صوتها وملأها الحياء وأطرقت برأسها ، نادته احداهن ودعته إلى ان يأكل معهن ، فأقبل إليهن وهو خجلٌ لكنه كسر حاجز الخجل والحياء وسلم عليهن فرددن عليه السلام وحبيبته مازالت صامته ، لكنها تعطي ابتسامات جميلة عذبة ،

فقدمت له احداهن بعض الحلوة وقطعة من الكيك ، فأكل بعضاً منها ، فقالت له ساره : إنّهَ خجلان لأن ندى هنا ، فأبتسم وابتسم ندى وابتسمن كلهن ، فأخذت الواحدة تلو الاخرى تتحرش به بالكلام ومازال هو الفتى الذي يكسوه الحياء ويغمره الخجل ، تسأله إحداهن :

- أحمد

- نعم

- أتحبها ؟

- ظلمتيني بهذا الكلمة

- كيف ؟

- لأني تجاوزت مرحلة الحب منذ زمان وأنا الآن مدمن بها مولع وولهان ووو

- الله الله الله ، هكذا رددن جميعهن وندى مازالت ساكته لا تنطق بحرف وهو الذي أثار إعجابهن بجوابه الذي ينم عن قلب نقي وروح طيبة وحب بريء نقي ، ترد عليه رند ، أحمد متى ستتم خطوبتكما فوعدّ عليّ لأنشرن لكم بوست وأبارك لكم به عقدكم القران

- هذا ما نسعى حالياً إليه ونتمنى ان نوفق به

– وفقكم الله لكل خير ونحن سنفرح لكما أشد الفرح ، لأنكما كما قيل الطيبون للطيبات

لم يبقى اكثر من هذا ، لأنه أحس بثقل وجوده حسبما يتصور ، فقرر ان يعتذر منهن ورمى المعايدة لزميلته ولما همّ بإن يتركهن ركضت خلفه ندى :

– حبيبي حبيبي

– يا احلى من نطق بها وأعذب من نطق بأسمي

– أتعرف إني مولعة بك وولهانة حتى الجنون بك

– أتعرفين أني أذوب بهواكِ ومغرمٌ بك لغاية لم يصل إليها عاشقٌ قبلي وسيعسر على عاشقٍ بعدي

– الله الله ما ألذ كلامك وأمضاه في قلبي وروحي ، ياهذا فقد ملكت روحي وكل كياني ، يا هذا ملكت نفسي وعقلي والهوى معاً ، فتعال وخذ الجسد ، فلم يعد يتحمل بعدك عني

– سيغمى عليّ بعد سماعي كلمات من هذا السحر الذي أسمعه وهذا اللحن الموسيقي الذي يطربني ، فأنا الذواق وأسمع لحناً ولا أعذب ورقة ولا ألطف

– أتعلم أنك مصدر هذا الولع وهذا الإلهام وهذه الديمومة بحبنا !

- وهل تعلم أميرة النساء بأنها هي المثير والمحفز لتطلق الروح العنان لتعبر عما يختلج في هذا القلب الذي أخذ منه الحب كل مأخذ طارت روحاهما وحلقت في اعلى السماء فتعانقت روحيهما مرة ومرة ومرات ، ولكن الارواح عندما تتعانق تطلب الجسد ، ليتم الاتصال بين المادي والمعنوي من هذا الانسان .

- تعود إلى منزلها بعد أن ودعها بأحلى وألذ وأطيب وداع ، فلم يتركها تركب المركبة حتى يرمقها لحين لحظة جلوسها وحين تبادله النظرة والنظرات حتى تتقدم المركبة خطوة وخطوات حتى تغيب عن انظاره ، فتكاد نظراته تخترق هذه المسافة ، ولكنها يلمس قلبه ، فيجدها ها هي متوغلة فيه متربعة في داخله أميرة وليس ككل الأميرات ، رجعت ولا أرض تسعها ولا سماء تظلها فهي حرة طليقة ، فرحة مستبشرة ، الفرح غمرها ، والحب طفح منها ولم يصعب على الناظر إليها إنها تعيش قصة حبٍ هي أقرب إلى الذوبان والولع من كلمة حب التي ينادى بها كلُ من أحس بخفق في قلبه أو اضطراب بين نبضاته ، ورجع أحمد إلى القسم الداخلي وكأنه لم يمشِ على الأرض ، بل تحركه قوى خفية وهو في غاية من الفرح والبهجة ، لأول مرة يعود من الجامعة ، فيرمي بجسمه على فراشه بملابس الجامعة وتأخذه سنة من التأمل الصامت المفرح ، يتأمل ضحكتها ودلالها ودلعها وكلماتها وحركاتها وهمساتها ، أخذه النوم الهادئ فسرعان ما غاص في النوم ، فأقبلت الاحلام تباعاً ولم يخرج من حلم

إلاّ واعقبهُ حلم آخر أحلى منه وأشهى وألذ وهو راضٍ بهذه الاحـلام ونفسه مسرورة بكل تلك الخيالات التي تراوده

واستمر الحبُ وكله حلوٌ عذبٌ بريءٌ لم يعكره أي عائق حتى أقبلت السنة الرابعة والتي هي آخر سنة لهم في الجامعة وعلى أحمد أن يتهيأ ، ليخطب قرينته ، فكيف له أن ينشغل عن موضـوع هـو الصـميم مـن مواضيعه كلها ، بـدت رائحـة حبهـا تفـوح وبـدأت الأم تتـذمر مـن مكالمات واتصالات وحكايات حتى دعت أبنتها يوماً إن يقبل أحمد بأهله ، ليخطبها حتى يعرفا نتيجة حبهما هل سيجتمعان ، أم إن لأبيها رأيٌ آخر ؟ ندى يدب الخوف في أوصالها وتشعر بخوف من مستقبل لا تعرف عنه شيء ، فهي تدرك إن أباها ذو طبع قاسٍ ومزاج متقلـب وشخصية معقدة نوعاً ما ، لكنها عولت على حبه لها وحرصـه علـى مستقبلها ، ثلاث مراحل إجتازها أحمد وهو من الأوائل على مرحلته ، لكنه بدأ يقلق من مصيره الذي يخص قرينته ، يسألها كثيراً عن أهلها وعن طبيعتهم وكيف هم حتى سألها ذات يوم بينما هما جالسـان في حديقة الكلية :

- ندى

- نعم حبيبي

- ما رأي أهلكِ بأبناء الجنوب ؟

- يحبونهم ويمدحونهم كثيراً

– وهل تعرفين شخصاً من أقربائكم تزوج من غير مذهبه أو دينه ؟

– نعم

– من ؟

– عمتي

– حقاً !!!

– أي والله

– ظهرت أمارات الفرح والسرور عليه حتى حمد الله وأثنى عليه

– ولمَ هذا الفرح ولمَ كل هذا السرور !

– هذا يعني لا يوجد مانعٌ أن يتقدم رجلٌ شيعي ليطلب يد سنية

– ! ! !

– أراكِ أطرقتي وأحجمتي عن الكلام ؟

– هذا الموضوع نكرههُ ونمقته وبالأخص هنا في بغداد ، ولكن أتعرف إني أخشى من هذه الناحية ، فربما يدخل طرف سوء ، فيخرب علينا هذا الصفاء الذي تنعم به أسرتنا بنظرتها الطيبة نحو التشيع والشيعة

– بعون الله لا يوجد هذا السوء وسنكون على خير يا رب

– أتمنى ذلك ومن صميم قلبي ، أنا صرتُ أعد الأيام حتى نقترن ونريح أنفسنا من هذا العذاب الذي نعاني منه متى أصبحنا ومتى أمسينا

– أنا سأفاتح أهلي بالموضوع في عطلة نصف السنة وسأتقدم إليك فوراً لنتم عقد القران وبعد التخرج نقيم الزواج ما رأيكِ ؟

– وهذا ما أتمناه ولكن عليك أن تذهب لتقنع أهلك يا أحمد

– الأهل راضون وهم معي ولن يرفضوا لي دعوة

– حبيبي لدي موضوع يجب أن أعرضه عليك وأنا أخجل من طرحه ، لكن شهد الله ليس لي غاية إلاّ مصلحتنا لا أكثر

– تفضلي يا روح حبيبك كيف لكِ أن تتكلمي بهذه الصيغة ، فأنتي مالكة الروح والقلب معاً

– أهلي سيطلبون منك عملاً ومنزلاً ، فهل تستطيع أن تأمن لنا بيتاً نعيش فيه وليكن بسيطاً وعليك أن تدبر عملاً ، لنعيش لنقوم به حياتنا فربما لن نحصل على عمل بعد تخرجنا مباشرةً ، فيكون العمل خير سند نستند عليه لتمضي حياتنا معاً هادئة مطمئنة

– المنزل سأوفره لكِ وهذا وعدٌ عليّ والعمل بإمكاني أن أعمل كاسباً لمدة من الزمن ولكنني يا حبيبتي لدي أملٌ بأن أعيش في المدينة وأترك حياة القرية ،فأمضي في المدينة ، لكي أحقق لنفسي ما تحلم به وما تود أن تصل إليه

- وماذا يود أن يبلغ حبيبي ؟

- أريد أن أكون مهندساً ممن يتركون أثراً في هذا البلد الـذي مزقتـه ونخرت أوصاله حروب جمة ومآسي مروعة ، فأريد أن أعمل وأعمل وأعمل ، فلدي حتى الآن ثـلاث وسـتون خارطـة منهـا مستشـفيات ومولات وطرق مواصلات وفنادق بأحدث

تصاميم وجسور ، فقد رسمت جسراً وأريد أن أعرضه علـى رئـيس القسم عسى أن يعرضه على العميد وعسى أن يقدمه العميد إلى الوزارة ، لتعمل به فقد بذلت من الجهد ما جعلـني أهجـر النـوم والراحـة إلاّ قليلاً

- أرني إياه أولاً وإلاّ خاصمتكَ

- وهل أقوى على خصام الحبيب !

- حبيبي عليك أن تبدأ بأهلك وتسرع بهذا الأمـر وأتمنـى بـذهابك إليهم في نهاية هذا الأسبوع

- سأخبرهم عند ذهابي وهذا هو الموضوع الوحيـد الـذي يشـغلني ويقلقني ، لأنك أفضل ما أملك في حياتي ولا أريد أي عارض يعترض طريقنا

- ستكون ملكي يا أحمد

- وستكونين ملاكي يا ندى

يتبادلان الحب دوماً حتى بمناقشاتهم ، ويتبادلان المزاح البريء دوماً وهما عنا حالتهم في فرح وغبطة ، يذهب أحمد إلى أهله وقلبه يكـاد يذوب حرقةً وتشوقاً لمباركتهم في اختياره الذي يسر قلبـه وبدنـه ، يصل إلى القرية ، فيرها على حالها من الإهمال والتقصير بحق أهلها ، فالحياة تكاد تعسر وتشتد هنا ولكن أهـل القـرى لهـم جاذبيـة قويـة تربطهم بأرضهم ، فالأرض عندهم كل شيء غالٍ ونفيس ولا يعوضها أي شيء مهما غلا ثمنه رغم بؤسهم وحالتهم التي يرثى لها ، لكنهم مازالوا يحمدون الرب على كل حال ومآل ، يدخل عليهم ، فيهشون ويبشون له ، فهذا الفتى الوحيد من بين إخوانه وأبناء عمومته من بلغ هذه المنزلة التي يغتبط بها أيما اغتباط ، إخوانه قد شحبت وجوههم من كثر الكد والجهد في الأرض وأخواتـه قـد تغـيرت ألـوانهن كمـا تغيرت كثير من ملامحهن الجميلة ، يفرح الجميع به ويحتفون به إيما احتفاء وهو راضٍ كل الرضا عن هذه الحفاوة التي يحبها ويطيب لها ، يقضي شطراً من الحديث معهم ويقص عليهم أنباء من قصـص تلـك الحسناوات اللواتي يمررن أمامه ، ينهض إخوته كلٍ لشـاغلٌ يشـغله حتى بقي أحمد وأمه وأباه فأراد أن يبدأ الكلام ، لكـن التلعـثم طغـى عليه والحياء بدأ يدب في أوصاله لكن تذكر وعده لحبيبـة قلبـه وإنـه يتوق لهذا اليوم الذي ينتظره على أحرُ مـن الجمـر ويتلـهف لـه أيمـا تلهف ، يفاتحه أبوه بعدما رأى تردده وتلعثمه الذي يخفي موضـوعاً خلف لسانه ، يبدأ الأب بكلمته التي افتتح الحديث معه :

– أحمد

**– نعم**

**– هل عندك موضوع ما ، فإني أراك متردداً ولعلك تخفي كلاماً ما**

**– بعد تردد وابتسامة بريئة ، الحقيقة يـا والـدي نعـم لـدي موضـوع معكما حصراً**

**– تفضل يا قرة العين نسمعك**

**– أبي أنا وصلت إلى نهاية الحياة الجامعية وقريباً أقر عينك بحصولي على شهادة الهندسة وسأكون رفعة لرأسك**

**– منذ طفلتك وأنت رافع رأسَ أبيك وأنا أشهد بذلك**

**– أبي فأنا قد عزمت على أن أقترن وآن الآوان لكي أصارحكم بـأني قد لبيت طلبكما في تزويجي**

**– تريد الزواج حبيبي ؟ هكذا تكلمت أمه**

**– نعم يا أمي**

**– وأظنك قد أخترتها ؟ هكذا تكلمت أمه أيضاً**

**– نعم يا أمي**

**– هي معك ؟**

**– نعم**

- أكبر أم أصغر منك ؟

- بذات العمر ، فنحنُ معاً بذات المرحلة وبذات القاعة الدراسية

- بغدادية هي ؟

- نعم

- هل عرفتها ؟ هل عرفت أخلاقها ؟ هل فكرت بمصيرك معها ؟

- فكرت كثيراً حتى مللت التفكير وملّني وأنا أطلب العون منكما ، لكي تجدان حلاً لنلم شملنا

- أتحبها ؟ هكذا خاطبته أمه

- يطرق حياءاً ويغض الطرف ولكنه يجيب : نعم

- الله الله هذا يعني إنك متقن للعبة ولهذا الروتين وتبتسم الأم ويبتسم الأب

- أريد أن أحظى بموافقتكما وقبولكما ودعمكما لي

- لك الرضا والقبول والدعم ولكن من هي هل تشبه حالتنا ؟ وضعها المالي مشابه لوضعنا ؟ طبيعتهم مثلنا ؟

- يطرق خجلاً ، ويزداد القلق عليه ولكنه يكسر حاجز الصمت ويرد : تختلف عنا في كل شيء إلاّ قلبها وروحها

**– هذا لا يكفي يا بني ، وهذا يصعب عليك ، فهي من طبيعة تخالف طبيعتك ، هي بنت المدينة المدللة وحياتها ناعمة وتختلف عنا كامل الاختلاف وقديما قيل خذ من ملتكُ حتى تعرف معيشتك ، فتقضي معك حياة هي تماماً كما عاشتها مع أهلها ولن تعيرك بإملاق ولا غيره**

**– أنا مهندس ، وهي مهندسة ، وكلنا سنعمل معاً ، ونشق طريق الحياة معاً فأنا وهي لا نختلف بالثقافة ولا درجة الوعي ولعلي أكثر ذكاءاً منها وأبرع في كثير من الأمور، فالاختلاف سيكون بوجهة نظر أهلها ومدى تقبلهم هكذا زواج**

**– هذه القسمة صعبة وتحتاج إلى كثير تعب وجهد مضاعف**

**– أنا سأقوم ببناء شقة لكما تجاور بيتنا وأنت رجلٌ تعمل ولست بالكسول ولا بد أن تأتي الوظيفة إليك ، لكي تنتشلك من كل ما تعاني منه وتوفر لك حياةً حرةً كريمةً والتي هي الحياة التي تطمح بها أنت**

**– ستأتيان معي ، لكي تطلبان يدها من أهلها ؟**

**– بكل تأكيد ولكن أين يسكن أهلها ؟**

**– الأعظمية**

**– ماذا !**

**– الاعظمية**

**– هي سنية إذن !**

**– نعم**

**– وهل سيقبلون بنا ؟**

**– نعم لأنهم لا يعيرون أي اهتمام لهكذا أمور ، فلديهم قلب طيب ويحب كل الناس**

**– سنمضي وعلى الله التوفيق يا بني**

**– والله لن يخيب أملنا بهم**

**بقي والد أحمد يتدارس الأمر ويبحثه من كل جوانبه ويرى بواطن الأمر ، يتشاور مع زوجته فيصل إلى نتيجة وهي أن يذهبوا ليطلبوا يد كريمتهم والباقي يترك بيد الله ، أحمد كان مشتت الذهن ، ملتهب المشاعر ، مضطرب القلب ، يقبل الليل ويلف السماء ويغشي الأرض بسواده فتبدأ محنة العشاق تتصاعد وتصل حتى الغليان ، بقي أهله يدرسون الموضوع وقد شغلهم جداً ، يذهب أحمد صباحاً إلى الأرض وقد بدا شوقه وحنينه لها يتواصل ويتواصل حتى حنّ لها أي حنين ، بقي يعمل حتى شارف النهار ، أن ينتهي، فالفلاح لديه جاذبية نحو أرضه لا حدّ لها ولا وصف ، يعود ليلاً ، ليريح جسده ويجلس إلى أبيه وأمه فيتدارس الموضوع معهم من كل اتجاه ، تتصل به حبيبته وقد نبض بها قلبه فسارع إلى الرد :**

- حبيبٌ اشتقت ، إليه ولـي في اليـوم الالاف مـن النبضـات تصـرخ بأسمه

- تبتسم له وتقول ماهذه الرقة وما هذه المشاعر المرهفة ، يا ويلي من حُبك الذي جعلني أهيم بك

- حبيبك ملهمٌ بحبكِ أيما إلهام ، يا حبيـبتي مـا أرق لطفـكِ ، ومـا أطيب قلبكِ ، وما أعذب حديثكِ

# الفصل الثاني عشر

# تحقيق الحلم

يبدأ الكلام بينهما كأحلى ما يكون الكلام وتبدأ هي تتساءل عنه وعما آل إليه المصير ، يخبرها بأنّ أهله قد اقتنعوا بها وسيقبلون يوم الأحد إلى أهلها ، تفرح وتبتهج وتأخذ له موعداً من أهلها، تسألها أمها عن الوقت الذي يأتون به ، فأخبرتها ربما ضحىً أو عصراً من يوم الأحد هذا ، تستعد ندى لاستقبال أهل خطيبها ، أباها يسأل عنه فترد ندى بأنه معها في الكلية وهو من أهـل الناصـرية ومعيشـتهم هـي إنهـم في إحدى قرى الناصرية وعندهم أرض يعملون بها ولديهم اغنام يرعونها إخوته الصغار

- ماذا ، قالها بكل غضب

- تطرق وترد هو ما حـدثتك بـه ولكنـه معـي في ذات القسـم وذات الجامعة ، وسيتخرج مهندساً معمارياً وهو مـن أنبـل وأذكـى وأكثـر الطلاب خلقاً وأخلاقاً

- لا أراه مناسباً لكِ أبداً

- لمَ يا أبي

- أولاً هو بعيدٌ عنكِ في كل شيء ، فهو من أقصى الجنوب وطباعهم يختلفون عن طباعنا ، وطبيعة معيشتهم تختلف عنا ، وكيـف لـي أن أصبر على بعدكِ كل هذا البعد

- أبي ، هل نسيت عمتي ، فهي قد تزوجت في البصرة ، وخالتي قد تزوجت وذهبت إلى أمريكا

- تزوجت رجلاً من أقاربنا وليس غريباً عنا ، فهذا الفتى لا نعرفه ولا يعرفنا وثم قولي لي من أين ستعيشين معه ، فما زلتما في أول الطريق وتحتاجان إلى مدة من الزمن ، لتنهضا بحياتكما

- سنحصل على الوظيفة ونعمل معاً ، وبالتالي نبني مستقبلنا ونشق طريقنا معاً ، وأخذت تتوسل إلى أبيها لنيل موافقته وأعلنت له إنها مستعدة أن تتحمل كامل المسؤولية على اختيارها ولكن الأب مصر على رفضه ، رفضاً قاطعاً ، تركها وهو غاضبٌ عليها وهذا يحدث لأول مرة منذ طفولتها ، غضبت ندى وأحست بألم ومرارة تختلج في صدرها ، فلجأت إلى فتى أحلامها وأميرِ الرجال بعينها وملك قلبها وصارحته بما جرى :

- حبيبي

- نعم حبيبتي

- لدي نبأ غير سار وأخشى أن أغضبكَ

- تكلمي يا قرة العين

- كلمت أهلي عن قدومكم لنا لطلب يدي

- يقاطعها فرحاً ، نعم ...

– لكن ....

– ماذا ؟

– أبي ...

– ماذا يقول ؟

– تردد وتلعثم وصمت يعقبه صمت وصمت ثم بكاء وبكاد متصل

– ماذا قال ؟

– غير راضٍ وأظنه مصر على رأيه ولم يقتنع بكل محاولاتي وكل المحاولات التي توسلت إليه بها باءت بالفشل وأنا أكاد أموت يا أحمد

– يصمت ويصمت ، فيخفت صوته

– تناديه حبيبي ... حبيبي ... حبيبي

– لكنه مازال ساكتاً ولعلّه لا يقوى على الكلام ، فلجأ إلى الصمت الذي يلجأ إليه المذعور

– أكلمكَ يا حبيبي ، فرد عليّ فأكاد أموت عند صمتك يا حبيبي

– أبعد الله عنكِ الموت يا حبيبتي ، ولكني كمن أصيب على أم رأسه من فرط الذهول والذعر لم أكن متوقعاً ، إني سأسمع خبراً كهذا

– يا حبيبي ، وعدٌ عليّ أمام الله لن أتخلى عنك ولن أتركك قط ، بل سأبقى وأبقى لأخر عمري معك

– سلم عمرك وأطاله الله لأنكِ ملكي وملاكي وملاذي وكهفي وسندي وأخذ يعدد لها صفاتها التي يراها بها

هذا الكلام يملأ قلبهما ويغمر روحيهما ، تخاطبه كمن يخاطب روحاً له ويخاطبه كمن يخاطب قلباً له ، يتبادلان ألواناً من الحديث معاً وكلٍ لديه مقترحٌ ما ، فيتناولان بعض الحيل وبعض الطرق ، لكي يقنعا أهلها بأنه الزوج المناسب لأبنتهم ، ويستمران في الحديث حتى يقبل الفجر عليهم ومازالوا في الكلام ، كأنهم تكلموا قبيل لحظات ، يتركان بعضهما البعض ، ليلجأ كلٍ منهم إلى النوم عسى أن يكون خيرُ سلوة لهما ليريحا ، أنفسهم من عناء النهار وما سببه لهم ، ينامان وليس بالنوم الذي تنام به الحواس ، بل نامت عيونهم لكن قلوبهم مازالت صاحية ولعلها لن تنام ولن تهدأ حتى تنال ما أحبت وما ألفت ،

يأتي يوم الأحد ينهض من فراشه ولعله لم يذق طعم النوم إلاّ قليلاً ، يستيقظ ليتجه إلى بغداد وهو حاملٌ قلبه بيده وتكاد روحه أن تعتصر ، أهله يفيقون يودعونه بأرق كلمات لكن أباه خاطبه بكلمة أبكته طوال الطريق حتى وصل إلى الجامعة ، يا أحمد عليك ألاّ تتعلق بها كثيراً فنحن لا نعلم ما تخبئه الأيام لك ، يصمت لسماعه كلاماً بهذه القساوة ، لن يهدأ ولن يجد للراحة طعماً حتى يصل إلى الحبيبة ،

ليجدد معها ألوان من الحديث ، ليبحثا عـن سـبيل لهمـا في محنـتهم الكبرى ، يتداول معها شطراً من الحـديث ، يـنفس بهـا عـن روحـه وعما تعاني وتنفس هي عن روحها وما يختلج فيها من ضروب الألم والمرارة ، ينتهي كلامهما بخاتمة يتفقان عليها وهي أن يذهب بنفسه إلى أبيها طالباً يدها مستأذناً منه ، بأنّ يسمح له أن يقبل أهله ويطلبون يدها وتكون الخطوبة رسمية ويعده بأن يكون خير زوج وخير سـند لبنته في كل حياته ، يمضيان إلى المحاضرات ، فيحضران درساً هنـا ومحاضرة هناك حتى انتهى اليوم ، وهما على اتفاق بأن يـأتي إلـيهم اليوم ليجلس مع أبيها ، سألها عنوان بيتهم ، فأعطته وصفاً ، لكنه لم يدرك ذلك ، فأراد أن يتبعها إلى دارها حتى يحفظ العنوان ، وبالفعل مضى معها حتى أوصلته إلى بيتها فأعطته اشارة إلى بيتها ولم يمضـي معها أكثر حتى مضت الى بيتهم ، بل اكتفت بـأن أشـارت إليـه بـأن بيتهم ذاك ومضت إلى البيت ورجع هو إلى القسم الداخلي

أخبرته بأن أنسب وقت هو ليلاً بعد العشاء مباشرةً ، ليأتي إلى أبيها ، تقبل الساعة التاسعة مساءاً وهي بقلب واجف يكاد يعتصر عصراً من فرط القلق ، أهلها كلهم موجودون وهذه فرصة ، لعل قلوبهم تـرف لهذا المقبل الغريب الطالب ليد كريمتهم على سنة الله ورسوله ، على حين فجأة وإذا بجرس الباب يطرق ينهض أخوها الأصغر ، فسـرعان ما عاد وهو يقول : أبي إنّ على الباب شاباً ويود مقابلتك حصراً هـل أدخله أم تخرج إليه ، يخاطبه الأب بـأن يدخلـه إلى مكـان الضـيوف ريثما يلبس ثيابه التي يستقبل بها ضيفه ، يدخل أحمد وإثناء دخولـه

كراج البيت منعطفاً إلى باب الاستقبال ترى قلبه يكاد يذوب ونفسه تتوق لكل شيء في هذا البيت ، هذا البيت هو ألذ وأشهى وأرق مكان لامس شغاف قلبه ، بقي صامتاً ولم يشِ بأي كلمة لأخيها الذي يبدو عليه ملامح العبث والكلام والمرح ، لكنه حاول أن يصمت ، ليأتي والده ليعلما من هذا الغريب القاصد دارهم ، بعد فترة وجيزة وإذا بوالد ندى يقبل ، فينهض أحمد معانقاً إياه بحرارة أحس عليها والدها بأنها تخفي أمراً ما أو رجاءاً ما ، بعد الترحيب والسلام والروتين الذي يفتتح به الحديث بين الغرباء عادةً يسأله والد ندى :

– أهلاً بك عزيزي ، لكن من أنت ؟ وما هي حاجتكِ التي نخدمك بها ؟

– يظهر من هذا إنه ودود وله ضمير حيّ ، فبدت أمارات الفرح تختلج في صدر أحمد فيرد عليه : أنا أحمد زميل ندى في الكلية

– يتفاجئ من هذه المفاجئة واكتفى بالصمت والدهشة اعترته لكنه رد بعد هذا الصمت وهذه الدهشة : تفضل بنيّ

– طار قلب أحمد لهذه الكلمة ، عمي أنا من محافظة ذي قار ، وأنا أعيش مع أهلي ولدينا أرض نعمل بها ولدينا اغنام كثيرة ولدي ستة إخوة وخمس أخوات ونعيش كلنا في بيت واحد

– نعم بارك الله بكم وحفظكم الرب

– عمي أنا لدي طموح ورغبة في الرقي والنهوض بنفسي ولدي أمـل بأن أكون مهندساً معمارياً ناجحاً والله قد منحني هذا الأمل وهـا أنـا مهندس معماري وهـا أنـا على مـدى ثـلاث سـنوات أفـوق أقرانـي وأتصدرهـم بالمعدل ، لأني أحمل رغبـة وطموحـاً عاليـاً في التقـديم للدراسات العليا وهي أمنية طالما حلمت بها وأسأل الله أن يوفقني بها

– وفقك الله يا أصيل

– هذا الفتى أقبل إليك حاملاً قلبـه وروحـه ، ليلـتمس منـك أمـراً أن سهلته له وأعطيته إياه يكون من أسعد المخلوقات

– جعلك الله سعيداً دوماً وإن شاء الله لن أرد لك تلك السعادة

– حفظك الله يا عم وجعلني بك قرير العـين ، أقبلـت إليـك بشـرفي وغيرتي وأصالتي وطيب محتدي وكلـي فخـر ورجـاء وشـرف بـأن أستأذنك بأني أقبلت وحدي دون أهلي ، لكني منتظرٌ منـك كلمـة حتى يقبل أهلي يطلبون كريمتكم ندى لي على سنة الله ورسوله

– يتفاجئ كمن أصابه شيء وتزداد نظراتـه حـدة علـى أحمـد وهـو يحدق على الأرض تارة وعلى وجه أحمد تارةً أخرى

– بقي أحمد يسترسل بالكلام حتى لم يبقَ في جعبته كلمة إلاّ ونطـق بها حتى خاطبه والدها

– بني هل تعرف إن ندى هي البنت الوحيدة لنا ونحن لا نتحمـل أن نعطيها لأقصى الجنوب وكيف لنا أن نتحمل فراقها عنا ؟

- وتلك هي سنة الحياة يا عم المرأة خلقت لتسكن في بيت زوجها وليس لأهلها إن هي إلاّ زائر كريم عند أهلها فحسب

- بني هنالك فارقٌ في الطبائع بينا وبينكم هل تتقبل هذا الاختلاف بيننا؟

- بكل سرور وعلى العين والرأس

- ثم نحن على مذهب أهل السنة وأنتم من الشيعة !

- وماذا يعني !

- هنالك فارق كبير بالمذهب والفقه يختلف فيما بيننا

- وما الضير في ذلك ! وأنا لا أعبأ بهذا كله ، فقد أخترت شريكة حياتي لطيب قلبها وطهارة ذيلها وكرم أخلاقها ولم أكن أعرف معتقدها أو دينها وهذا لم ولن يهمني بقدر اهتمامي بشرفها وطيب أصلها وثقافتها

- وهذا من كرمكم وطيبتكم لكن

- يقاطعه ويكاد ريقه أن يجف من فرط خجله وسروره بتلك المحاورة والرجاء الذي يترجاه من والدها ، سأكون سنداً لها طوال عمري

– بني فهي متعودة على نظام يختلف عـن نظـامكم أنـتم في القـرى ، كيف لي أن أزوج أبنتي لبيئة لـم تألفها ولـم تعرفها وهي التي تعـودت النعومة والراحة والسكينة

– نحن لن نسكن في القرية ولن نعمل في الأرض بل ، نحـن سـنعمل حسب مهنتنا وهي الهندسة فكلانا يحمل شهادة الهندسة

– أين ستعيشان إذن وماذا ستعمل وأنت ما زلت طالباً ؟

– سأشتري بيتاً في قلب المحافظة وأنـا أعمـل ولـن أعـرف الكسـل والخمول ولم أمد يدي لأي أحد بـل سـنبدأ حياتنـا ونحـن يـداً بيـد لنواجه معتركها ونمضي في طريقها معاً

– ستواجهان صعوبات جمة

– بالتأكيد سنواجه ذلـك ، لكـن سـنكون أقـوى منهـا وسـنواجهها بقلوب قوية لا تعرف الفشل ولن تركن إلى الاستسلام والقنوط

– هذا كلام غير منطقي ، بـني الـزواج لا يصـب في مصـلحتك ولـن تحقق حلمك الذي تسعى إليه ، فعليك أن تختار إما مستقبلك الـذي تحلم به أو زواجاً ربما لا يناسبك

– لا يا عم ما هكذا الظن بك ! لمَ لا تقل إني سأحظى بأمرين عظيمين هما الزوجة الصالحة والمستقبل المشرق

– لا يجتمعان معاً في يداً واحدة

– أعدك بأن سأجمعهما معاً

– بني هذا كلام غير واقعي فبالله عليك قولي : لو تزوجتما الآن أين ستعيشان ؟ من سيدبر أمر زواجكما ؟ من سيتدبر أمر مصروفكما ؟

– أهلي وأنا

– لا تعتمد على أهلك ، فأنت سوف تكون رجل ذو مسؤولية ما ينبغي لك أن تبقى عالة على أهلك لأخر العمر

– لمدة من الوقت ثم أننا سنعمل أنا وزوجتي معاً ونساهم في بناء عشنا الزوجي معاً

– أنصحك أن تبقي همك وتفكيرك لمستقبلك وهذا أهم وأهم من الزواج

– ينصت وقد جف ريقه ونفدت كل الكلمات التي في قلبه من فرط إحراجه

– أبني المستقبل فأنت على ما يبدو لك أمل في مستقبلك ولديك رغبة ملحة ، وطموح فعليك أن تعد عدتك وتلزم طريق العلم لتحقق تلك الغاية التي تسعى جاهداً لها

– ولكنك تبدو محطماً لآمالي يا عم !

– لا يا حبيبي على العكس ، أسمع بني إنك دخلت قلبي وإني والله لا أريد إلاّ نصحك وإرشادك وعليّ أن لا أبخسك الحقيقة ، فأنت

تحتاج لعشر سنوات ربما لتحقق هذه الأحلام التي تحلم بها فكيف تريد مني أن أزوجك أبنتي لتعيش عالة ، عليك كما تعيش أنت عالة على نفسك وأهلك

– ولسنا عالة لكننا نحتاج دعم الأهل ، لنكون على خير

– إلى متى بني ؟ إلى متى وأنتم محتاجون دعم أهلكم لكم؟

– حتى يأتي الفرج وهو قريب آتٍ لا شك في ذلك

– أيعقل هذا كلام مثلك بعقلك وطموحك ورغبتك !

– ينصت ويلجأ إلى الإحجام ويكتفي بالتحديق في الأرض

وأخذ يسرد لها القصص والحكايات والعِبر والمواعظ والتي هي تجارب خاضها وخاضها غيره ، أن كنت تحتاج المستقبل والعلم عليك أن توفر نفسك وروحك له وحده ، لأن العلم لا يجتمع وأفخاذ النساء كما يروى ؟ وأحمد يشعر بألم ومرارة وتكاد الأرض تدور به وتأخذ السماء لتسقطه وهو يتأرجح ما بينهما ، عندما أتم نصائحه شعر أحمد بالملل والخيبة ، عندها قرر أن يستأذن منه ، ليخرج فأذنّ له وودعه أجمل وداع ودعا أبنه الأصغر أن يوصله حيث قسمه الداخلي ، لكنه أبى وأصرّ على الإباء ، مضى الفتى والهموم تصحبه وتؤرق عليه ليلته وتنغص عليه ، لا يعلم إلى أين يمضي فهو تائهٌ غارقٌ ولا يجد ملاذاً ينجيه مما به ، يتجول في أزقة بغداد بعد أن أستقل مركبة لتطوف بها دجلة ، فنزل وأخذ يتمشى على ضفاف دجلة ،

ينظر إلى دجلة وتأخذه المشاعر ذات اليمن وذات اليسار ، فيجهش بالبكاء حتى بلّلت دموعه خديه واحمرت عيناه ، ينام على حافة النهر كالفقير الشريد الذي لا مأوى له ، يمر الناس أمامه يحسبونه قد سكر وهذه فعل الخمر التي شربها ولا يشفق عليه ، أحد ليعرف ما هي علته وما هو الأمر الذي أوصله إلى هذا الحال ، بقي على حالته هذه حتى نهره أحد رجال الشرطة ، فانتبه على حاله فإذا بالفجر يلوح في الأفق ، إلى أين يذهب والسواد في عينيه يحجب عنه كل نور ولم يعد يبصر الطريق ، يقرر أن يذهب إلى زيارة الإمام الكاظم ، لعلّه يجد متنفساً لنفسه التي تنشد الراحة والسكينة والطمأنينة ، توجه وأذان الفجر لم يحين بعد ، وصل إلى الحضرة المقدسة ، فدخلها بخطوات متثاقلة وجسد واهن ، لحظات ولحظات من التأمل وقراءة القرآن وبعض الأدعية والأوراد أحس براحة تعتري قلبه وصفاء يدب في روحه ، فيغمر قلبه ويهدأ من روعه ، بقي في الحضرة حتى أشرقت الشمس وأضاءت الكون بنورها فجعلت للدنيا نوراً مشرقاً ، فخرجن النساء الى هرجهن ومرجهن وعبثهن وضجيجهن ،والرجال الى عملهم والاطفال الى لعبهم ولهوهم ، يذهب بعدها إلى القسم ، ليغتسل ويذهب بعدها إلى الجامعة ، لعلّه يهنأ ويرتاح من كآبته ، يدخل القسم ويغتسل ولبس أحلى ثيابه وبينا هو يرتدي ثيابه ، فإذا بهاتفه يرنّ عليه يرفعه ، فإذا هي حبيبته ندى

- صباح الخير حبيبي أحمد

- بتثاقل وألم ، صباح الخير حبيبتي

- كيف حالك اليوم ؟

- يكاد يبكي ولعل دموعه بدأت تتجمع في عينه وتنتظر أن تنهمر على وجنتيه ، بخير والحمد لله

- أتصلت بك كثيراً لماذا هاتفك مغلق ؟

- كان الشحن قد نفد

- قلقت عليك

- بدأت الدموع تنزل تباعاً ، حقاً ندى ؟

- ومن غيرك يستحق أن أقلق عليه قولي !

- أكاد أذوب على سماع طيب كلماتك ورقتها وأنتِ سندي وملاذي من كل ما يدهمني

- وسأكون كل راحتك يا حبيبي

- وأنتِ لكذلك والله

- حبيبي

- نعم يا ملاكي

- مالي أراك وكأنك مكسور الجناح ولمَ كل هذا الانكسار والانكماش ؟

- أنتِ السبب

- ماذا !

- وهل غيركِ أحد يؤثر في نفسي كل هذا التأثير !

- ولم يا حبيبي !

- ندى

- عمرها وروحها وقلبها

- أحبكِ

- تبكي ودموعها تسيل على خديها ، وترد عليه بأعـذب منهـا : أنـا مغرمة بك

- لماذا أحرم منكِ ؟

- لن يحرمني منك أحد ولا أي ضرف ولا أي شيء فأنت لي وأنا لك

- وأباكِ ؟

- ماذا قال لك ؟

- يحتاج إلى أن نجلس لأقص عليك الحديث كله

- حسناً ، سأنتظرك في الحديقة

- تمام إذن

- بانتظارك

- مع السلامة حبيبتي

- مع السلامة حبيبي

يدب النشاط بجسمه ويغمره الفرح والسرور ويتهيأ ليسرع إلى لقاء الحبيبة ، يذهب مسرعاً إلى الجامعة ، فيدخلُ ركضاً ، يصبح عليها فترد الصباح عليه ، يجلس يقص عليها ما حدث مع والدها أمس وهي تسمع منه ، عندها قالت له : ما ينبغي لك أن تسقط هذا السقوط ولا ينبغي لك أن تذوب كما يذوب الملح في الماء ، علينا أن نتحلى بروح الشجاعة والصبر لمواجهة أي شيء ، يتفقان على أن يهتما بمحاضراتهم وبالأخص هذه المرحلة هي أهم مرحلة وعليها ٤٠ درجة من المعدل ، فعليهم أن يبذلا أقصى جهودهما ، ليحصدا أعلى الدرجات بها ، كانت ندى خير سلوة له وكان هو خير سلوة لها ، أراحه كلامها ، ورد إليه بهجتهُ وسرورهُ ، ينطويان على نفسيهما ويتخذان من الدراسة والجد والاجتهاد سبيلاً لهما ، بقي أحمد يعاني من صراع في أن يثبت لنفسه ولأهل ندى إنه يتحمل المسؤولية ، بقي أحمد يراوح بين الجامعة والقسم ، وأهله في القرية يسمعون أخباره ، فيملؤون أنفسهم غبطةً وفرحاً بهذا الفتى الذي سيرفع رأس أهله عالياً ، الطموح والرغبة والأمل يجتمعان في شخصه ، فيلح في الوصول لغاية يسمو بها ، فيحقق مستقبلاً له ولعائلته ، الملامح القروية لا تتشابه مع

ملامح المدينة ، أحمد يختلف عن أبناء قريته بنفسه الطموحة لغدٍ مشرق ومستقبلٍ زاهر ، فهو يتوق في أن يعيش حياةً مدنية حضارية ومستمدة من الروح القروية أصالةً وتراثاً ، أهله لم يقبلوا على بعده عنهم وهم يريدون أن يبقى معهم ، ونفسه لا تتحمل أن تبقى في الريف والمعيشة الريفية الشاقة على نفسه الودودة الهادئة والناعمة ، كلما سنحت له فرصة عرض على أهله وحاول أن يقنعهم بأنّ حياته لن تكون هنا في القرية ، بل حياته يجب أن تتطور وتصل إلى أوج معالي الرقي الحضاري والتقدم في كل شيء ، يجد في دراسته ويجتهد بعد أن أستأنف وقت الخطوبة إلى حين وأقتنع بأن تفاحتين لا يمكن أن يمسكهما بيد واحدة ، فمضى على جدّه واجتهاده حتى أتم عامه على خير ما يتم ، الطريق أمامه طويلة ومعقدة ، أحلى ما بالحب هو التفاهم وقبول الأخر وهذا ما كان به أحمد وندى ، اتفقا على أن يمضيا في سبيل الدراسة عسى أن يحققا ما تصبو إليه نفوسهما ، وبالفعل كانت الأشهر ثقيلة عليه وقاسية ، لكنها تحملها برباطة جأش وعزيمة وثبات موقف وبدعم وإصرار من سالبة لُبه ، تقبل الامتحانات النهائية وهو منتظرٌ لها على أحر من الجمر ، ليجتازها كدأبه بامتياز ، بدا الشحوب والوهن في جسده وظهر ملامح الضعف عليه حتى كاد أن يصل مرحلة الجفاف وكل هذا وأمله بتحقيق حلمه لم يتزعزع ، كانت عواطفه بريئة كبراءة القرية التي ولد ودرج فيها لذى لم يترك عواطفه رغم إلحاح نفسه وروحه على مواصلة طريق العلم والمعرفة ، أعطاها وعداً وأقسم ليبرنّ بهذا الوعد ، أتموا امتحاناتهم وكانت المرحلة الرابعة هي مرحلة الكفاح والجهاد المستميت بالنسبة لهما ،

تركا العواطف مدة حتى خارت تلك العواطف وكادت إن تتلاشى إلاّ لتلك الارواح العذبة والقلوب الحية ما ينعشها ، مارسا الحب طوال فترة حياتهم الجامعية كأحلى ما يكون الحب ، وكأعذب ما يمكن أن يمارس ، كانت فخورة به جداً وكان هو فخوراً بها ، كلما ذهب إلى أهله قص عليهم من أنباءها ما جعلهم يتخيلون ملامحها ماثلة أمامهم وتمنوا أن تقبل عليهم اليوم قبل غدٍ ، يوم ويوم وآخر وغيره حتى أقبلت النتائج لتعلن بنجاحهما وبتفوق أحمد بدرجته التي تمناها وهي الامتياز ، اتفق مع ندى أن يرسل شهادته معها إلى أبيها ففعلت ، ولما سلمته الشهادة مط شفتيه ولكن بداخله رغبة في أن يدعم هذا الفتى ، لكنه يعلم إن الطريق امامه ما زالت وعرة وشاقة وعلى الفتى الذي يتحلى بتلك الطاقة أن يبني مستقبله دون أي عائق يقف أمامه ولعلّ الزواج من أكبر تلك العوائق التي تقيد وتزيد من صعبة هذا المستقبل وهذا الطموح وتلك الرغبة في مواصلة الدراسة حتى نيل شهادة الدكتوراه ، سلمت ندى شهادة أحمد بضرف مغلق إلى والدها ولم يكتب عليها أي شيء ، فتح والدها الرسالة وإذ به يقرأ درجاته والتي هي كلها فوق التسعين وأعطي تقدير امتياز ، قرأ الاسم فإذا هو أحمد لا غيره ، ابتسم وبداخله فرحة لهذا الفتى الذي يصر على النجاح ، ولكنه سيتعثر بعقبات إن تزوج ، الزواج يشغل الطالب عن درسه ويجعله ينشغل بما يدر عليه مالاً لينفقه على أسرته ، جربت ندى كل السبل مع والدها ، ليقتنع بهذا الزواج ، لكنه أبى وبقي على إباءه ، لم يعي ندى ولا أحمد إنهما يشقان طريق حياتهما وحيدين وليس لديهم أي عائل يعينهم إلاّ نفوسهم ، ينظر والدها لهذا الزواج

من عدة أوجه ، فلم يهتدِ لأي منها ، فموافقته تعني بعد ابنته عنه وهو الذي لم يتعود بعدها ، ويرى إن خطيب ابنته مازال فتىً يافعاً ولم يحصل حتى الآن على أي عمل يمكنه من مواجهة صعوبة الحياة الشاقة عليه وبالأخص هو يريد أن يستقل عن الروح الريفية ويتجه نحو التطور والرقي ويتخذَ سلم العلم طريقاً له يرسمه لكل حياته المستقبلية ، تخرج أحمد وبعد شهرين من تخرجه وكان هو من أوائل الطلاب مما مكن له فرصة حصوله على درجة وظيفية في ذات الكلية وذات الاختصاص وهذا يحتم عليه أن يبقى في بغداد ، لأن دوامه يفرض عليه ولعلّه فرح بهذه الوظيفة أيما فرح واستبشر لها أيما استبشار ، فهذه الوظيفية ستسهل عليه الصعاب وتذلل له أغلب العقبات ، ذات يوم يتفق مع ندى في أن يقبل أهله ، ليطلبوا يدها مباشرةً واتفقا على أن يكون الأمر سراً بينهما ، وبالفعل أقبل أحمد مع أهله وهم أمه وابوه واثنين من أعمامه وأخته التي تزوجت قبل مدة من ابن خالتها ،وصلوا الى بغداد وتغمرهم السعادة وتحيطهم البهجة ، يميل السائق بهم الى الاعظمية ، فيدخلون في شوارعها وكلهم دهشة لهذا المكان الذي لم يحلموا ان يمروا عليه في حياتهم ، كان أحمد هو دليلهم في مشوارهم هذا ، يصلون الى بيت ندى وقد أنبأهم أحمد بأن البيت ذاك ، قلبه أخذ بالاضطراب والنبض الذي يعلوا ويهبط ، ولكنه كعادته يرمق السماء بنظرة كلها عطف ومروءة ، ليلتمس منها التوفيق وقضاء حاجاته ، نزلوا وواضحة ملامحهم الجنوبية ، القروية فيتقدمهم والد أحمد بزيه العربي الذي يفتخر به ، يطرقون الباب ، فيخرج لهم والد ندى ، ليفتح الباب فيتعجب ويكاد يصعق من فرط

تعجبه ودهشته بهؤلاء القرويين القـادمين ، يـرمقهم ولـم يجـد كلمـة يعرب بها عن حالته ، فتلكأ أمامهم ولم يملك عقله ولا نفسه ، بادر والد أحمد بالسلام ، فرد عليه السلام ودعاهم إلى الدخول ، فدخلوا وكانت هيئتهم هي الهيئة الريفية ففرح الأب بحضورهم وبتقديرهم إياه ، يدخل النساء إلى الـداخل ليجـتمعن مـع صـويحباتهن ويمضـي الرجال إلى مكان الضيوف ، يجلسون وبعد التحية والسلام ، يبادر عم أحمد ليعلن لوالد ندى :

- نحن أقبلنا عليك من محافظة ذي قار وأخذ يعـرف نفسـه ونسـبه وكل المعلومات العامة من عملهم وسكنهم إلى آخر الأمور التي هي ما تكون بما يعرف البطاقة الشخصية

- فيفرح ويقر لهم بنسـبهم الشـريف وإنـه يعـرف بعـض رجـالاتهم فيفرحون لهذه العلاقة

- نحن أقبلنا عليكم اليوم ، نطلب يد كريمتكم لولدنا الأستاذ أحمد ، وما أتى بنا إلاّ طيب أصلكم وفرعكم

- لنا الشرف بكم ، لكني سبق وأن تكلمت مع أحمد في أمر الزواج وشرحت لأحمد ما هي دوافع رفضي وإلحاحي في الرفض

- يقاطعه والد أحمد لا نريد أن نسمع أي رفض ، بل نريد مباركتك لنا وليتم الله علينا الخير والبركة

- رافقتكم البركة دوماً ولكن صدقوني من حبي لأحمد وبعد سماعي قصته ، أحببت أن أنصحه ولا أبخسه النصيحة ، أحمد فتىً طموح وعليه أن يوطن نفسه لهذا المستقبل الذي يلوح أمامه

- ولا تنسَ إنه حصل على درجة وظيفية وهو الآن معيدٌ في ذات الكلية ويحصل على راتبٍ يؤهله ليتزوج ويستقبل بحياته التي يطمح أن يعيشها كما يحب ويشتهي ، وأخذوا يسردوا له كل الامور التي تجعل من أحمد مقبولاً لديه ، فقصوا عليه من الحكايات مما جعله يعجب بنكهة كلامهم وملوحة حكاياتهم وينذهل من طيبتهم وبراءتهم التي كانت واضحة فيهم ، ومضت النساء يتعارفن مع بعضهن البعض حتى كدن أن ينسين أمر الخطبة .

بقي أهل أحمد في ضيافة والد ندى حتى أحسن ضيافته على أحسن ما تكون الضيافة ، خرجوا وهم راضون عنه وعن طيبته وكرمه وحسن مجلسه ، ولكنه لم يعدهم بشيء مما أقبلوا عليه ولم يرفض لهم رفضاً ، قاطعاً بل ترك الأمر له ليسأل عنهم ويجمع المعلومات التي يحتاجها كل والد فتاة يراد خطوبتها .

كانت تلك الوظيفة التي حصل عليها أحمد تعني له طوق النجاة وبالفعل كانت كذلك ، لا مانع لديهم من الزواج لكن والدها لديه شروط ولعلّ كلها أو أغلبها مما هو في مصلحة أحمد أكثر من مصلحته هو أو ابنته ، الملاحظ في هذا الزواج الذي لم يتم بعد إنهم لم يعيروا إلى تمذهب كل عائلة ولم يهتموا بهذا الفرق ولم يعطوه أي

كلمة من نقاشهم حول الخطوبة والزواج ، وهذا ما أثار عجب أحمد وندى وأهليهم معاً ، فقضية الدين موكـولٌ أمرهـا إلى الـرب ودعـوا العباد تتقرب إليه بالطرق السهلة والميسرة ، فهو في كل الاماكن ولا يحده مكان ولا يمكن أن يحتويـه مـذهب مـن المـذاهب ، هـو رب الناس جميعا وليس لمذهب دون آخر ولا لناس دون ناس .

بقي كذلك الفتى ما يقارب ستة أشهر علـى حالتـه تلـك حتـى نقـل حياته نقلاً كلياً أو بعض منه إلى بغداد ، لأن دراسته وعمله أصـبح في العاصمة ، فقرر بعد التي واللّتيا والجدال أن يقنع أهله ليدعوه يمضي في السبيل الذي اختاره في حياته ، هـو الآن معيـدٌ ولكـن بعـد سـنتين سيكون أستاذاً يشار إليه ، تمكن أحمد من أن يجمع مالا يشتري بيتاً بعد طول معاناة وإلحاح وجهد حتى حصل على هذا البيت الـذي لا تتجاوز مساحته خمسين متراً ، لكنها كانت كفيلة لإسـعاده وتمتعـه بمن أحب وهوى ، يأثث البيت رويداً رويداً حتى استقرض مالاً لكي يؤثث هذا العش وما كان المال يكفي لذلك ! لكنه حـرم نفسـه مـن ألوان من المتعة والنعيم ، ليوفر لنفسه المال الذي يأثث به بيته الزوجي الصغير ، أهله لم يقدموا له أي دعم مالي ، لأنهم كانوا أحوج منه لهذا المال ، وكان أصعب ما عانى منه أهله هو بعده عنهم واتخاذه بغـداد سكنا له ، لكنهم اقتنعوا لأنهم وجدوا في ولدهم ما جعلهم يرضخون لطلبه هذا ، فهو قد سر قلبهم وأثلج صدورهم ورفع رأسهم ورأوا أن حياته تغيرت .

ندى مارست ضغط أمها وإلحاحها على زوجها بأن الفتى سيحقق لهذه البنت ما توده وما تحلم به فهذا الفتى يحبها وينوي الوصال بها والاقتران بها فعلامَ تمنع من الاقتران به وأثبت الفتى إنه كفؤ لها ويستحق أن ينال زهرة حياة أهلها ووردة عمرهم ، بعد طول لأي يقر بالموافقة ولربما كانت على مضض منه ، لكنه أقر بها أخيرا ، ولكنه قرر أن يشترط عليه أن يتم الخطبة بعد اكماله امتحان الماستر ومناقشة بحثه وهذا هو شرطه الذي اشترطه .

يصل الخبر إلى ندى فحالما سمعت بالخبر حتى فرحت ومن فرط فرحتها أغشي عليها ولكن أمها سكبت قطرات من الماء على وجهها فأفاقت وتخال نفسها وكأنها في حلم ولعلّه ألذ حلم في حياتها ، تبادر مسرعة ، لتبشر حبيبها فتراه يرقص فرحاً ويطرب مرحاً ويكاد يملأ الدنيا طرباً وفرحاً بهذا الخبر الذي أشعل فتيل روحه وجعله يطير وما هو بالطائر ولكن روحه حلقت في أعلى السماوات ناشرة البهجة والسعادة ، يخفق قلبهما معاً ويفرحان وتبدأ ندى تطلب منه ما تود وما تحب وما تشتهي وما تطيب نفسها له ، يستمع لها وكله أذن صاغية لهذه الحبيبة التي ما أروع قلبها وأعذب روحها وألذ حديثها .

البغداديات يملكن رقة وعذوبة ولذة في كلامهن تسلب عقل أقسى الرجال وأغلظهم ، فيبدئون برسم بيتهم أو عشهم المستقبلي الذي يكون جنتهم التي يطلبونها من الرب ، وكانت تلك السنة قاسية عليه بما تحمل كلمة القساوة من معنىً ولكن للرجال عزيمة يعرفون بها ومسؤولية يجب أن يتحلو بها ، مضى شهر وشهر وآخر وهو مستمر

في دوامه كمعيدٍ في الجامعة وطالبٍ في ذات الوقت في الدراسات العليا ، وساعده الله كما عانى وسيعاني من هذه المسؤولية وهـذا العـذاب الذي يشتهيه ويستطيب له ويستلذ ، كانت أيام حبه حلوة عذبة وفتاته التي هام بها قلبه وتعلق بها كانت في غاية من الطيبة والرقة والعذوبـة مما جعلت الفتى لا يقاوم سحرها وفتنتها ، الفرصة تمر مر السحاب ، فانتهزوا فرص الخير ، كان هذا القول نصب عين أحمد ودوماً يردده وبقي منتظراً أي فرصة تقبل حتى يمسك بها ويتشبث بها ، الفتى لم يكن من أولئك الشبان الذين تحركهم الشـهوة العارمـة الـتي تقـوى وتشتد في فترة الشباب وتبرز بقوة في تلك السنين ، يا ترى هـل أنـت مستعدٌ لهذا الارتباط وهل أنت قادرٌ على أن تجمع بين الأمـرين بـين الدراسة التي وصلت بها لمرحلـة حرجـة وتحتـاج إلى تنطـوي علـى نفسك وتتسلح بعدة كعدة المحارب وبين ارتباط وزواج وبالأخص إنك لا تملك سنداً يدعمك ويشد من عزيمتك ويقوي أزرك وينهض معك ؟ ؟ ؟

هذه الأسئلة ، ضلت تدور في مخه ولم يعطِ جواباً شـافياً لهـا ، لكنـه عزم أن يعطي ما لقلبه من حـق عليـه ،ولكنـه لـن يفـرط ويـبخس مـا للمستقبل من حق ، قريباً سيدخل لمرحلة الماستر ، فقـرر أن يجتـاز هـذه المرحلـة وبعـدها يتـزوج وبـذلك يـوفر علـى نفسـه الوقـت والمسؤولية التي تتعلق به جراء زواجه ، وليتخذ من الحب آصرة دعم معنوية وقوة روحية تشحذ من عزيمته وتشد مـن أزره ، فتواعـد مـع حبيبته واتفقا على ذلك ، بالرغم من صعوبة الموقف وحراجة الظرف

، لكنهما تحملا تلك الأعباء لوحدهما وأثبتا إنهما يستطيعان أن يملكان قلبيهما ، لكي ينعما حياةً حلوة وزاهرة ومشرقة ، استأنف الخطوبة ريثما يكمل شهادة الماستر وطلبت منه ندى أن يكون ذلك مهراً لها ، وتوعدها بأن يكون عند حسن ظنها ويجعلها تفتخرُ به أمام أهلها وأترابها ، وهكذا تنتظر الحبيبة خطيبها حتى يكمل عدة مهرها الذي هو فاتحة خير لحياةً حرةً كريمة ، فلم تستطع الأمور الطبقية ولا الثقافية ولا حتى المذهبية وسائر الأمور الشكلية أن تذر مشاعر صادقة بريئة وحب كله إخلاص مطعم في وفاء ومحاط بثقة واهتمام ، ولعلّ الأجيال التي ستأتي من ندى وأحمد سيعجبون بتلك الأصرة وبتلك العلاقة العاطفية التي جمعت شملين بذات نسيج مختلف وذو طبيعة مختلفة كلياً ، استطاع الحبُ أن يذوب كل شيء أمامه وبقي هو صاحب اليد الطولى واللسان الذي لا يفحم ، الفتى يملك الطاقة التي يريد أن يقفز بها إلى الأمام ويملك المشروع الذي يؤهله ليكون من أولئك الرجال الناجحين ، كان متمرداً على كل شيء ، التقاليد ، العادات ، طريقة المعيشة ، المأكل ، الملبس ، وطن نفسه ليبلغن سبل النجاح وإن كلت همته وإن ضعفت عزيمته ، مشاريعه التي رسمها وبقي يخطط لها قدمها إلى وزارة التعليم العالي ، فأعجبت بها وأقرتها وتكفلت وزارة الإعمار بها ووفرت له فرصة وفرصة وأخرى ، حتى بقي طالباً في الماستر ومهندساً في إحدى شركات الإعمار ، واستمر على نشاطه ودأبه المستمر في جده واجتهاده حتى بلغ شهادة الماستر وكانت كعادته في حصوله على الامتياز ، وهكذا تمضي الأيام إثر الأيام والفتى على جده واجتهاده ولم يقصر في حبه ومشاعره ، بل ،

كانت حبيبته تنظر له بعين ملؤها الإعجاب بهذا الفتى الذي ملك قلبها وعواطفها وأقر عينها وأسرّ قلبها ، ويـأتي ذلـك اليـوم الـذي انتظـره طويلاً حتى كاد أن يملّ الانتظار وإذا به يوم مناقشـة بحـث الماسـتر الذي أعده ، فيدعو والد ندى لحضور هذا اليوم البهي والذي سيكون يوماً مشهوداً له ، يلبي والد ندى الدعوة ويقبل وكله غبطـة وسـرور بهذا الفتى الذي ألحّ على الوصول فوصل وألح على الامتيـاز ، فنالـه عندها لم يبقَ في مرام الفتـى إلاّ تلـك الفتـاة الـتي سـلبت كـل كيانـه وجعلته يهيم بوادٍ عميق لا يعرف له منفذ ، حالمـا تم مناقشـة بحثـه وأعلنت النتيجة ، أقبل بتلك الشهادة وهو ممسك بأمـه وأبيـهِ ليقـدم بحثه وشهادته إلى والد ندى مهراً لها ، فضحك والدها وقال : لم يبقَ أمامي إلاّ المباركة لك بالتفوق والنجاح والمباركة على خطوبتك من ابنتي ندى وأتمنى أن يكون زواجاً ميمونـاً ، وأعطـي أحمـد موعـداً لخطوبته ، يفرح أهله بعودته إليهم وقد نال درجة لم ينلها أي أحد من أبناء القرية ، رفع رأس أهله وذويه عالياً بما حققه من تقدم ملموس في الحقـل العلمـي ، يضـرب موعـداً للخطوبـة ، فيتسـارعُ الأهـالي والمعارف بالتبريكات لـه ، وهـو فـرحٌ ومغتـبطٌ أيمـا أغتبـاط بهـذه الحشود المهللّه له ، يأتي اليوم المشهود ويذهب كل أهله قاصـدين بغداد ، ليشهدوا عقد القران الميمون الذي كان عـن حـب وسـيعقد على حب وسيستمر في الحب ، بين تلك الزغاريد والاغاني المفرحة يقترن العاشقان ويقبل أحدهما الآخر قبلةً هي الأولى مذ تعارفا ، يخيل إلى الناظر إليهما كأنهما قطعتي قمـر شـقت الى نصـفين ، ويتبـادلان ألواناً من الحديث بينما هما معاً حتى أمسى ذلك اليـوم هـو عيـدهم

الأكبر الذي شهدوه في كل حياتهم منذ ولدوا ودرجوا حتى يـومهم هذا ، ويقبلها فجأةً ، فتنظرُ إليه مشيرة إلى جموع الحاضرين ، لكنهُ أعادها ثانياً، فابتسم الحضور جميعاً لتلك القبلة البريئة ، فيخاطبهـا بكلمة : مباركٌ لنا هذا العقد يا قسمتي ونصيبي ، فترد عليه مبروك لنا هذا العقد يا حبي المقسوم منذ خلقت وستبقى إلى الأبد ، فيبتسـمان لهذا الحب المقسوم ولهذه العاطفـة الصـادقة ويعـودان إلى سمـرهم ولهوهم وذكريات عشقهم منذ التقيا حتى يومهم هذا .